# عاشوراء الدم والشهادة

يـومُ الطَـف.. مَحْـوَرٌ وَقَـفَ عِنْدَهُ الزمَـنُ لِيَـدُورَ حَوْلَه مُتريّثـاً ثـمّ يَنطَلِقُ فِي مَسـاره وَهوَ يَحمِلـه خُلـوداً وَمَجداً وَفَخراً، وَيَحْمِله أيضاً دَماً وشَـهادةً وأسـىً وَلوعةً، وَيحمـلُ مَعهُ صَرخَةَ الحُسَـين عليه السلام (ألا هَل مِنْ ناصر يَنصُرنا... ألا هَل مِنْ مُغيث يُغيثنا... ألا هَل مِنْ ذابٍّ يذبّ عَن حُرَم رَسولِ الله صلى الله عليه وآله...)، وَيحمل أيضاً ألَم وَلوعَة عَقيلة الطالبيين زَينَب بنْت أمِير المُؤمنينَ عِند وَقفَتِها عَلى جَسـد أخيها سَـيّد الشُـهداء عليه السلام مُخاطِبةً جَدّها رَسـولِ الله صلى الله عليه وآله: (يا جَد هذا حُسَين بالعَراء، مُقطّع الأعضاء، مَسْلوب العمامَة وَالرداء...).

كل هذا قَد منَح عاشُـوراءَ الدم والشَهادة رُموزاً وَدلالات، اختَزنَتْها ذاكرة الأجيَال وَقد تَواصَتْ أنْ لا تَنساهُما، أوْ أنْ يَضيعَ عَنها، وَعاهدت الحُسَين عليه السلام عَلى ذلك، فَكان أنْ دَفَعتْ جيلاً بَعدَ جيل ضَريبةَ هذا التَواصي المُبارَك قَرابينَ وَشُهداءَ، حَفَلَ بِهم تاريخُ عاشُوراء، تَقرّباً لله، وَحبّاً لِبيت النبوّة المُبارك، وَثَباتاً عَلى نَهْج الحُسَين عليه السلام.

إنّ ذاكِرة السـائِرينَ عَلى دَرْب الحُسَـين عليه السلام تَنشطُ فِي عاشُـوراءَ وَيزيدُها نشاطاً وَعُنفواناً إنشـادُ المُنشـدِين، وَترنّم المُترنمِين، وَالتفنُـن فِي التَعبير عَنْ صوَر المَأسـاةِ المُروّعةِ، وَالمَظلوميّة الضَخْمَة التي أَلَمّتْ بالحُسَين عليه السلام وَأهل بَيته.

نَعمْ تَسْـتَعيدُ الذاكِرةُ نَشـاطَها فإذا كلّ الإنشاد وَالتَفنُن يُلامسُ الروحَ مُلامَسةً، فَيستَنزفُ الدَمْعَ حَسْرَةً وألماً، وَلو أنّه استَطاعَ النفوذ بَدَل المُلامسة لَفجّرَ الروحَ أَلَماً وَحُزناً وَلما استَطاعَتْ قَراراً أو استقْراراً فِي هَذا الجَسَد الفاني، كَالذي حَصَلَ مَعَ الشَريف الرَضي قدس سره.

وَصُوَر التَعبير عَنْ مَكانَة عاشُـوراء الدَم وَالشَـهادة فِي نفوس السائِرينَ عَلى دَرْب الحُسَين عليه السلام تأخُذ أشْـكالاً مُتَعـدّدة، وَضروباً مُختَلفَة، لكنّها جَميعاً تَسـتَمدّ شَرْعيتَهـا أو مَشْروعيّتَها مِـنْ قَول الصادِقين عليهم السلام: (أحْيُوا أمْرَنا، رَحِمَ اللهُ مَـنْ أحْيا أمرَنا)، وَإحياءُ الأمْر هذا لا يَتَقيّد بشَـكل خاصّ، أوْ مَسـار مَخْصُـوص، بَل يَتَنوّع وَيتلـوّن حتّى يَتَوزّع عَلى عُـرْض عَريض مِنْ أشْـكالِ الشَـعائِر وَالطُقوس وَألوانِ التَعبير، وَيَتَحكّم فِيها حُبّ الحُسَـين عليه السلام، وَمستَوىً مِنَ الوَعي يَسـتَدرج المُحبَّ إلى اختيار شَـكل التَعبير أوْ لَونِه، لذا أحْسَـب أنّ مِنَ الخَطأ أنْ يَنتقدَ ناقدٌ ضَرْباً مِنَ التَعبير، لأنّ نَفسَهُ لا تَميلُ إلَيْه أوْ تَزهدُ فيه.

نَعمْ إنّ مِنَ الصَحيح أنْ نَتْرُكَ لمحبّي الحُسَين عليه السلام مُمارَسَة الشَكل الذي أحبّوه أوْ ألِفوه في التَعبير عَنْ المُواساة أوْ يَرَوْنَ أنّهُ يُخَفّف مِنَ المُعاناة، وَأخالُ أنّ الأجيالَ القادمة مِنْ مُحبيه سَوْفَ يُنتِـجُ وَعيُها وَثقافَتُها أشْـكالاً مِنَ التَعبيرِ لَمْ تُنتَج بَعْدُ، وَمعَ ذلـك فَإنَّ حَديثَ الصادِقينَ عليهم السلام يَمنحُها الشَرْعيّة.

وَمُواساةً لِصاحِب الأمْر (عَجّلَ اللهُ فَرَجَهُ) وَالتزاماً بَحديث الصادِقينَ عليهم السلام كانَ هَذا الجُهْدُ المُتواضِعُ المُتَمثّلُ فِي هَذِهِ الوُرَيقاتِ التِي تَناوَلتْ عاشُوراءَ الدَم والشَهادَة فِي جَوانِبَ مُتَعدّدَة.

# ملامح الشعر الحسيني في كربلاء

• سلمان هادي الطعمة

ينابيع عرفت كربلاء المدينة الإسلامية الخالدة في التاريخ، ذات المجد الأثيل والتمدن الأصيل، لما حوته من قدسية وعلم وأدب وصرح ثقافي عتيد. وقد أنجبت على مرّ القرون شعراء مجيدين كانت لهم مكانة سامية في المجتمع العراقي، لاسيما في القرن التاسع عشر ميلادي/ القرن الثالث عشر الهجري، وقد مارس هؤلاء الفنون الشعرية كلها من غزل ومدح وفخر وحماسة ورثاء وما إلى ذلك، ولكنهم برعوا في فن الرثاء براعة فائقة بسبب المأساة الحسينية التي حدثت في كربلاء باستشهاد أبي الشهداء الإمام الحسين ابن علي عليه السلام وصحبه الغرّ الميامين.

وأدب الرثاء كما هو معروف فن قائم بذاته، وهو كسائر الفنون الشعرية مليء بالعواطف الزخارة، لكن بحثنا هنا يقتصر على أدب الرثاء الحسيني الذي يشكل سفر جامعاً لحادثة الطف وسيرة الشهادة المتمثلة بالأبطال من آل هاشم وبني علي. وقد رثى الإمام الحسين ابن علي عليه السلام جملة من الشعراء كربلاء بقصائد عصماء كانت صرخة مدوية في وجه الظلم، وعنوان بارزاً تشع منه ألواح الفضيلة، مما أكسبت الشعراء ذكراً حسناً وشهرة طائلة وغير خاف أن تلك القصائد صدرت عن قلبٍ مكلومٍ وشعور صادق وعاطفة محتدمة فيً التاريخ الإسلامي، ومن الخطوب الجليلة التي يضوع منها عطر التفاني في سبيل المبدأ.

ولعل أبرز من رثى سيد الشهداء الإمام الحسين ابن علي عليه السلام وأهل بيته الأطهار في هذه الفترة أعني القرن التاسع عشر هم: الشيخ هاشم الكعبي الحائري والشيخ قاسم الهر والحاج محمد علي كمونة والحاج بدقت والسيد أحمد الرشتي والشيخ محسن أبو الحب والشيخ موسى الأصفر والشيخ علي الناصر السلامي والشيخ كاظم الهر والسيد جواد الهندي والسيد عبد الوهاب آل وهاب واضرابهم، وقد اخترت على سبيل الاستشهاد خمسة منهم في هذا البحث، وهم:

## ١ـ الشيخ هاشم الكعبي الحائري:

هو الشيخ هاشم ابن حردان ابن إسماعيل الكعبي الدروقي الحائري، من مشاهير شعراء كربلاء أبان القرن الثالث الهجري، هاجر إلى كربلاء واستوطنها خلال احتدام الفرقتين الأصولية والإخبارية، وحضر على علمائها عدة سنوات حتى صار من أهل الفضل والأدب، وبرع في فنون الشعر، وتوفى سنة ١٢٣١هـ. معظم شعره في رثاء ومديح أهل البيت عليهم السلام. له ديوان شعر أخرجته المطبعة الحيدرية في النجف باسم (ديوان الشيخ هاشم الكعبي الحائري) وأعادت طبعه ثانية سنة ١٩٦٥م/ ١٣٨٥هـ، ثم تصدى الأديب الفاضل السيد محمد حسن الطالقاني لشرحه والتعليق عليه. وشعره على العموم رقيق منسجم، صادق التعبير، يدل على روح فياضة تزخر بالعواطف والأحاسيس. قال من قصيدة في رثاء الإمام الحسين بن علي عليه السلام:

أرأيت يوم تحملتك القودا
من كان منا المثقل المجهودا؟
حملتها الغصن الرطيب وورده
وحملت فيك الهم والتسهيدا
وجعلت حظي من وصالك أن أرى
يوماً به ألقى خيالك عيدا
لو شئت أن أعطي حشاي صبابة
فوق الذي بي ما وجدت مزيدا
أهوى رباك وكيف لي بمنازل
حشدت على ضغائناً وحقودا
أمعرس الحيّين مالك لم يجب
مضنى ولم تسمع له منشودا؟

ومنها قوله:

إنسان عيني يا حسين أخيَّ
يا أملي وعقد جماني المنضودا
مالي دعوت ولا تجيب ولم تكن
عودتني من قبل ذاك صدودا؟
ألمحنةٍ شغلت عني أم قلىً
حشاك أنك ما برحت ودودا؟

## ٢ـ الحاج جواد بدقت:

هو الحاج جواد بن محمد حسين ابن الحاج عبد النبي ابن الحاج مهدي الأسدي الحائري الشهيد ببذقت، المولود في كربلاء سنة ١٢١٠هـ والمتوفي بها سنة١٢٨١هـ، وأشتهر هذا البيت ببدقت وهو لقب جدهم الحاج مهدي الذي أراد أن يقول عن الشمس بزغت فقال لتمتمته في لسانه بذقت فلازمه وصار لقب له وأسرته. وكان الحاج جواد قد أمتهن بيع الحبوب، وصار الشعر عنده سليقة وهواية.

كان فصيح العبارة، لطيف الإشارة، بديع السبك، مدح السادة آل لرشتي وكان له منهم القبول الحسن، وحصل منهم العطاء الجزيل والنيل الغزير.

وشاءت المقادير أن يحضر كل يوم في ديوان السادة المار ذكرهم، ويحاور الشعراء حتى بزّ أقرانه، وكان ذلك الالتقاء الفكري أثره في تفكيره. خلّفَ الحاج جواد ديوان شعر مخطوط كلّه من الجيد، لكنه احترق، وفيه قصائد رثى بها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهرين، كما أشتمل على الأغراض الأخرى.

وقد سعيتُ في جمع ما تناثر من شعره في المجاميع المخطوطة، وأصدرته في ديوان طبع بلبنان سنة١٩٩٩م. وها هو ذا ينقلك بفخامة أسلوبه، وديباجته الرائعة إلى آفاق بعيدة من الإحساس الرفيع في قصيدته التي رثى بها أبا الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وهي من قصائده المشهورة.

شجتكَ الضعائن لا الأربع
وسال فؤادك لا الأدمعُ
ولو لم يذب قلبك الاشتياق
فمن أين يستر سل المدمع
توسمتها دمنةً بلقعاً
فما أنت والدمنة البلقع
تخاطبها وهي لا ترعوي
وتسألها وهي لا تسمع
فعدتَ تروم سبيل السلوّ
وسهمك طاش به المنزع
خذوهُ بألسنة العاذلين
فقد عادَ في سلوة بطمع
هل ارتعت من وقفة الأجر عين
فأمسيت من صابها تجرع؟
فأينك من موقف في الطفوف
يحط له الفلك الأرفع؟
بملمومةٍ حار فيها الفضاء
وطاش بها البطل الأنزع

ومن روائعه الخالدة قصيدة أخرى رثى بها الإمام الحسين عليه السلام، استهلها بقوله:

غدات أبو السجاد والموت باسط
موارد لا تلغى لهن مصادرُ
أطل على وجه العراق بفتية
تناهت بهم للفرقين الأواصر
فطاف بهم والجيش تأكله القنا
وتعبث فيه الماضيات البواتر
على معرك قد زلزل الكون هوله
وأحجن عنه الضاديات الخوادر
يزلزل أعلام المنايا بمثلها
فتفضي بهول الأولين الأواخر
وينقض أركان المقادير بالقنا
إمام على نقض المقادير قادر
أمستنزل الأقدار من ملكوتها
فكيف جرت فيما لقيت المقادير؟
وأنَّ اضطرابي كيف يصرعك القضا
وأنَّ القضا إنقاذ ما أنت آمر؟
بأن ابن بنت الوحي قد أجهزت به
معاشر تنميها الأماء العواهر
فما كان يرسي الدهر في خلدي بأن
تدور على قطب النظام الدوائر
وتلك الرفيعات الحجاب عواثر
بأذيالها بل إنما الدهر عاثر
تجلى بها نور الجلال إلى الورى
على هيئة لا أنهنَّ حواسر
يطوف على وجه البراقع نورها
فيوهم راءٍ أنهنَّ سوافر

## ٣ـ الحاج محمد علي كمونة:

هو الحاج محمد علي بن محمد بن عيسى آل كمونة الأسدي أحد شعراء كربلاء المجيدين، ولد بها حدود سنة ١٢٠٠هـ وتوفي بالوباء الذي اجتاح المدينة سنة ١٢٨٢هـ وذهب ضحيته جمع غفير من أبناء البلدة. كانت له مكانة سامية في الفضل والأدب، وله آثار دلت على سمو مقامه وعلو منزلته. اندفع يختلف على المجالس العلمية والأندية الأدبية، وانصرف إلى درس مقدمات العلوم كالنحو والصرف، وحفظ عيون الشعر العربي، حتى صار أحد الشعراء المبدعين في نظم قصائد الرثاء، وراح يهز بشعر أعطاف القلوب، ويمتع الآذان والنفوس، وقد كانت لقصائده رنة استحسان يتذاكر بها الأدباء والمتأدبون في المجالس، لما لها من قوة السبك ولطف الأسلوب ودقة المعنى ورقة البيان.

لقد كان الشاعر قليل الاتصال بالناس سوى بعض الشخصيات التي أشاد بها وأثنى عليها، وفي رثائه دوّنَ تواريخ وفيات من اشتهر منهم بالعلم والأدب، وطبع له ديوان شعر صغير باسم ديوان ابن كمونة وذلك سنة ١٩٤٨م/ ١٣٦٧هـ بتحقيق: محمد كاظم الطريحي. أما ديوانه الكبير الذي عرف بـ(اللئالئ المكنونة في منظومات ابن كمونة) فقد أتلف في حادثة معروفة.

ويحوي ديوانه جميع الفنون الشعرية، كما أن له في مأساة كربلاء قصائد تنتزع الإعجاب. ونختار من مراثيه هذه القصيدة في رثاء الإمام الحسين بن علي عليه السلام التي تعتبر من خيرة مراثيه:

عرا فاستمر الخطب واستوعب الدهرا
مصاب أهاج الكرب واستأصل الصبرا
وطبق أرجاء البسيطة حزنه
وأحدث روعاً هوله هونّ الحشرا
وجاس خلال الأرض حتى أثارها
إلى الجو نقعاً حجب الشمس والبدرا
ومارست له حتى السماء وزلزلت
له الأرض وانهدت أخاشبها طرا
وغير عجيب أن تمور له السما
ومن أوجها تهوي النجوم على الغبرا

ومنها قوله:

وأعظم بخطب زعزع العرش والخنى
له الفلك الدوار محدودباً ظهرا
غداة أراق الشمر من نحره دماً
له انبجست عين السما أدمعاً حمرا
فيالدماء قد أريقت ويالها
شجر فتت الأكباد حيث جرت هدرا

وهذه قصيدة أخرى يظهر فيها تمسكه بولاء أهل البيت عليهم السلام:

متى فلك الحادثات استدارا
فغادر كل حشىً مستطارا
كيوم الحسين ونار الوغى
تصاعد للفرقين الشرارا
فلم ترَ إلا شهاباً وروى
وسهماً بنقع المنايا توارى
إلى أن أطلّ بها فادحاً
تزلزل منه الوجود ومارا

أخذت هذه الصورة في ستينيات القرن الماضي لأحد المواكب الحسينية في منطقة (خان النص) ويظهر في الصورة الخطيب الشيخ شاكر القرشي.

وعـاد ابـن أزكـى الـورى متحداً
وامنـع كل البرايـا جـوارا
تجـول علـى جسـمه الصافنـات
وتكسـوه مـن نقعهـا ما اسـتتارا

## ٤ـ الشيخ محسن أبو الحب:

هو الشـيخ محسـن ـ الكبير ـ بن محمد الحويـزي المعـروف بأبـي الحـب، شـاعر وخطيـب فـي غنـىً عـن التعريـف، جمـع الفضائل، واستكمل عدتها، وهو ينتمي إلى أسـرة عربية أدبية معروفة تنتسـب إلى قبيلة (بنـي كعـب). وله في كربلاء حدود سـنة ١٢٤٥هـ، وتوفي بها سنة ١٣٠٥هـ، واندرج في معـارج الأدب والفضل حتى بلغ الغاية وأوفى على النهاية، فهو أجد المشـاهير الذين برز شـعرهم بعناية واهتمام. اندفـع يحفظ أدب الطـف الذي تنـوع في مقتل الإمام الحسـين عليه السلام، فأرهف إحساسه وألهب شعوره اليقـظ، ولما أن قوي طموحه، واشـتد ولعه بفـن الخطابة والنياحة علـى الإمام المظلوم الحسـين بن علي عليه السلام، أرتقى أعواد المنابـر، فكان الخطيـب المفوّه الذي أخذ يلتقط صوراً من فنه، تسـاعده على الوصول إلى هدفه السامي. إنَّ ديوانه طبع مؤخراً في بيروت سـنة ٢٠٠٣م بتحقيق الدكتور جليل كريم أبو الحب، أشـتمل علـى قصائد في إعراض شتى، كما حوى قصائد الرثاء التي صوَّر فيها مأساة كربلاء الدامية.

أن من بين هذه الـدرر اللامعة، والصور المبدعـة التـي يضمها ديوانه، يقـف القارئ على أسمى قصيدة تناقلتها المجاميع ورددها خطباء المنبر، وهي في رثاء سـيد الشـهداء الإمـام الحسـين عليـه السـلام ومطلعهـا.

إن كنـت مشـفقةً علـيَّ دعينـي
مـا زال لومك فـي الهـوى يغريني

ولعـلَّ البيت الذي تغنـت به الركبان من كونه أحسـن بيـت قيل في الرثـاء، يعطينا صـورة صادقـة يؤيدُ مـا اعتقـده الأدباء في ذلـك، وهو يقول الشـيخ محسـن أبو الحب عن لسـان حال الإمام الحسين عليه السلام.

إن كان ديـن محمـد لـم يسـتقم
إلا بقتلـي يـاً سـيوف خذينـي

وقال مـن قصيدة أخرى فـي رثاء الإمام الحسين الشهيد بن علي عليه السلام:

أبكي ويبكي كل من في محفلي
حتـى يحـن لحالـي الجلمـودُ
ولـرب قائلـة علامـك قلـت يـا
هـذي اتركنـي فالمصاب شـديد
قتـل الحسـين فـأيّ عيـنٍ بعـده
لـم يعمهـا التسـكاب والتسـهيد
أيسمّر بي ذكر الحسين ولم أذب
حزنـاً لـه إنـي إذاً لجليـد
إنـي لأبكيـه وأعلـم أننـي
قصـرت والأعـوال ليـس يفيـد
ذنبـي عظيـم حيـث إني لـم أكن
عنـه بعرصـة كربـلاء أذود

وقال في رثائه أيضاً:

إلا يابـن بنت المصطفـى أي فادح
عـراك وخطب حلّ ضـك بمربع؟
يمينـاً بمـن ألقـى عليـك أزمّـة
خلايـق مـن سـامين عـزاً ووضـع
لأنـت الذي ما خامـر الضيم منزلاً
حـواك ولـم يظفـر لديـك بمطمع
وإن الـذي وافـاك لـو شـئت ردّه
لما اسـطاعَ أن يومي إليـك بأصبع

٤ـ السيد جواد الهندي:

هو السـيد جواد بن محمد علي الحسيني الهندي الحائري المولـود في النصف الثاني مـن القرن الثالث عشـر الهجـري والمتوفى سـنة ١٣٣٣هـ، كان خطيبـاً ذاكراً للإمام الحين عليه السلام، وكان مثالاً طيباً يقتدى

بـه في تواضعه الجم إلى جانب الحق واغاثته للملهوف وإعانته للمظلوم وسخطه على الظالم وفـي بذل كل قواه لأعـلاء راية الحق ورفع لوائه. قال عنه الشـيخ محمد علي اليعقوبي: ما رأيت ولا سـمعت أحداً من الخطباء أملك منه لعنان الفنون المنبرية على كثرة ما رأيت منهم وسمعت، فقد حاز قصب السبق بطول الباع وسـعة الإطلاع في التفسـير والحديث والأدب والنقـد والأخـلاق والتاريـخ، ورثاه الشـاعر أبو المحاسـن الكربلائي بقصيدة عصماء مطلعها:

ليومـك فـي الأحشـاء وجـدٌ مبرّحُ
برحتَ ولكنَّ الأسـى ليس سـرحُ

وكان رحمه الله طموح النفس، واسـع الخيال، اسـتبعد الرصين مـن القول وامتلك البليـغ مـن الـكلام له ديـوان شـعر صغير مخطوط يشـتمل علـى قصائـد معظمها في مدائـح النبـي المختـار وأهـل بيتـه الأطهار ومراثيهـم، وفـي قصائـده كان صـادق الشـعور، وفيها قوة النظم ومثانة التركيب وجزالة المعنـى. وإليك قوله من قصيدة رثى بها الإمام الحسين عليه السلام.

غريـب بأرض الطف لاقـى حمامه
فواصلـه بيـن الرمـاح الشـوارع
أفديـه خـواض المنايـا غمارهـا
بـكل فتـى نحـو المنون مسـارع
كماة مسوا حرّى القلوب إلى الردى
فلم يـردوا غير الردى من مشـارع
فمـن كل الثايـا شـمردل
طـلاب المنايـا فـي ثنايـا الطوالع
ومـن كل مقـدام السـرايا بغـرة
تنيـر كبـدر التـم بيـن الطلائـع
ومن كل مرقال إلى الحرب باسل
سوى الموت في أجم القنا لم يصارع
ومن كل قدم خائض الموت حاسر
ومـن كل ليـث بالحفيظـة دارع
توصلوا لحفـظ الآل بالصبر غدوة
فأضحوا وهم طعم السيوف القواطع

وله قصيدة أخرى فـي رثائه، لا تقلّ قوةً ومتانـةً عن سـابقتها، وقـد أبدع فيهـا غاية الأبداع، قال:

هوى فهوى العرش الجليل على الثرى
وعفّـر وجه الديـن وابتهج الكفر
وأمست سماء المجد تبكي عميدها
وأوضحـت ربوع العلم غامرها قفر
وكاد الثـرى شـجواً يسـيح بأهله
غداة على صدر الحسين رقى شمر
رقى صدر من عرش العلا دون كعبه
ومن دونه الأفلاك والشمس والبدر
وقـى صدر مـن صدر النبـوة مهده
ويـا طالما ربـاه في حجـره الطهر
وأقبـل للفسـطاط ينعـاه مهـره
بروحي وجسمي يفتدى ذلك المهر
يرجـف أطبـاق الثـرى مـن صهيله
وتـذرف مـن أجفانـه أدمـع حمـر
فاقبلـن ربـات الحجـال صوارخـاً
تزلـزل مـن إعوالهـا البحـر والبر
قد احدودبت فمـا دهاها ظهورها
فطوراً لها ممشـى وطـوراً لها عثر

إن الإنسان ليقف مبهوراً أمام هذه القصائد التي صوّرت حادثة الطف بتفاصيلها الدامية، وأبرزت المبادئ السامية التي استشهد دونها أولئك الأماثل من الأئمة العظماء.

وإن القـارئ للصفحـات التـي قدمناهـا سـيقف بنفسه مع تفاعل شـعراء الإمامية مع مبـادئ أئمتهم التي أعلنـت للملأ أن صاحب الحـق مهما كان ضعيفاً، لابد أنه سـينتصر علـى الظالم، وهكذا عاش الإمام الحسـين عليه السـلام حياً في كل قلب، يحب الحق والخير، ويعرف معنى التضحية والفداء ■

# الحسين الخالد

• عبد الأمير جمال الدين

هَتفتُ بِاسْمِكَ فِي داجٍ مِنَ الظُلَمِ ... فَبادَ دَيْجُورُها مِنْ أَحْرفٍ بفَمِي
نَسَجْتُ مِنْها لِقَلْبي حُلّةً حُرِقَتْ ... بالنارِ نارُ الأسى وَالهَوْلِ والسَقَمِ
سَكبْتُ مِنْ فَوقِها مَاءَ العُيونِ عَسى ... أَنْ يُطفِئَ الدَمْعُ ما بِالقَلْبِ مِنْ ضَرَمِ
اللهُ يا واهِباً دِينَ الهُدى دَمَهُ ... يا مُنقِذَ الشَرْعِ مِنْ أنيابِ مُنتَقِمِ
تُعْطِي دِماءً ونُعْطي أدمُعاً أَثَرى ... دَمْعاً حَروناً يُجافِي تارَةً كَدَمِ؟!
قَدْ يُنبِئُ الدَمْعُ فِي عَينِ المُعانِدِ عَنْ ... خافِي النِفاقِ وَقَدْ يُنْبِي عَنْ النَدَمِ
أَعْطَيْتَ لِلساحِ نَفْساً كُلَّها كَرَمٌ ... (وَالجُودُ بِالنَفْسِ أقْصى غايَةِ الكَرَمِ)
يا مُبْكِيَ المَلأ الأعلى دُمُوعَ دَمٍ ... يا مُلْهِبَ الأنفُسِ الغَيْرى لَظى أَلَمِ
رَقيْتَ صَهْوةَ تاريخٍ يَميدُ أسىً ... يَنُوشُهُ الظُلْمُ فِي أَنْيابِ مُلْتَهِمِ
بَزَغْتَ لِلشَرْعِ قِنْديلاً يُصارِعُهُ ... لَيْلٌ بَريحِ الهَوْلِ وَالشِرْكِ وَالعَدَمِ
حَمَلْتَ قَلْبَ النَبيّ المُصْطَفى وَيَدَ الوَصِيّ ... تَرْمِي قُلوبَ الشِرْكِ بالضَرَمِ
وَقُمْتَ تُبْعِدُ كُفْرَ الجاهِليّةِ عَنْ ... دُنْيا الشَريعَةِ بالإقْدامِ وَالشَمَمِ
وَلَمْ تَمُدَّ لأَبناءِ البُغاةِ يَداً ... وَلَمْ تَضَعْ فَوْقَ دَرْبِ الذُلِّ مِنْ قَدَمِ
وَثُرْتَ تَبعَثُ أَصداءً مُدَوّيةً ... وَمَسْمَعُ الدَهْرِ مِنْها صارَ ذا صَمَمِ
تَبقَى إلى آخِرِ الأَجْيالِ جامِحَةً ... فِي أَنّةِ اللّيْلِ وَالأيامُ فِي هَرَمِ
تَبثّها وَهْي لا زالَتْ مُجَلْجِلَةً ... نامَ الفَنا دُونَها طُرّاً وَلَمْ تَنَمِ
رَقَتْ عَلى عالَمِ الذِكْرى فَذابَ بِها ... صَوْتُ النَبيّ وَصَوْتُ الحَقّ وَالقِيَمِ
بَيْنَ العُلوجِ وَبَيْنَ الكافِرِينَ بِما ... أَوْصى الإلهُ لِطه سَيّدِ الأُمَمِ

لا لَـمْ تَكُـنْ غَيْـرَ صَيْحاتِ النَبـيّ عَلى ... أَجْـلافِ سُـوءٍ غِـلاظٍ طُغْمَـةٍ بُهُـمِ
وَغَيْـرَ صَيْحـاتِ إبْراهِيـمَ فِـي مَـلأ ... عَلـى التَماثِيـلِ عُكّافـاً بِـلا بَـرَمِ
وَغَيرَ صَيْحـاتِ نُوحٍ فِي الأوْلى ظَلَموا ... أَنْ ارْكَبُـوا مَعَنـا لَبّـوا بِـلا نَعَـمِ
وَغَيْـرَ صَيْحـاتِ لَيْـثِ اللهِ حَيْـدَرَةٍ ... فِـي مَسْـجِدِ السَّـيْفِ شَـلّتْ كُلَّ مُنْهَزِمِ
أَذّنْـتَ فِيـهِ فَـذِي الأرمـاحُ سـاجِدَةٌ ... تَبْكِـي خُشُـوعاً وَذِي الأسْـيافُ نَهْرُ دَمِ
سَـجِيّةٌ مِـنْ بَنِـي الزَهْـراءِ خالِـدَةٌ ... وَسُـنّةٌ مـا نَفاهـا غَيْـرُ مُتّهِـمِ
أَئِمَـةُ السَّـيْفِ وَالأبصـارُ شـاخِصَةٌ ... وَقـادَةُ المَـوْتِ وَالأسْـلاتُ فِـي نَهَـمِ
مـا أَدْبَـرَتْ قَـطُّ رايـاتٌ لَهُـمْ نُشِـرَتْ ... تَسْـتَقْبِلُ السـاحَ بِالمِطْعانَـةِ الخُـذُمِ
وَلا امَّحَـتْ شُـهُبٌ زانَـتْ أَكُفَهُـمُ ... كَوَجْنَةِ الشّـمْسِ فِـي غُصْنٍ مِـنَ العَنَمِ
تَلُـوحُ فِـي داجِيـاتِ الحَـرْبِ لامِعَـةً ... كَالبَـرْقِ يَصْحَبُهـا طَـلٌّ مِـنَ الدِيَـمِ
هـذِي الرُجـولاتُ أَذْكَتْهـا جَماجِمُهُمْ ... فِـي كُلِّ مُسْـتَعِرٍ لِلْحَـرْبِ مُضْطَـرِمِ
أَعْلَـوا عَلَيهـا بُنُـودَ الوَحـيِ زاهِيـةً ... يَعْشـوا إلى ضَوْئِها الضُـلّالُ فِي الظُلَمِ
صـارَتْ صَحارِيهُـمُ لِلْنـاسِ مُنْتَجَعـاً ... لِلْدِيـنِ لِلْحَـقِّ لِلإقْـدامِ لِلْشَـمَمِ
بِهِـمْ غَـدا الرَمْـلُ جَنّـاتٍ تَفِيـضُ سَـناً ... فَيَرْتَـوِي بِجِناهـا طالِـبُ القِيَـمِ
قُمْ وَانْظُرِ الصَّيْدَ فِي سُوحِ الجِهادِ تَرى ... الفَـرْدَ مِنْهُـمْ تَحَـدّى أَلْـفَ أَلْـفَ كَمِي
أَشْـفَوا مَآسِـيّ صَـدْرِ الديـنِ إِذْ نَـذَرُوا ... صُدُورَهُـمْ لِلْوَغى فِـي مَوْكِـبِ الهِمَمِ
فَهُـمْ لَـدى كَرْبَـلا أمثُولَـةٌ نُسِـجَتْ ... مِـنَ المُـرُؤاتِ فِـي آفـاقِ مُقْتَحِـمِ
شَـكَتْ شَـرِيعَةُ طـه لابْنِهـا ظَمَـأ ... فَقـامَ يَهْتِـفُ باسْـمِ اللهِ هـاكِ دَمِـي
فَقَـدْ رَأى المـوتَ عِـزّاً وَالحَيـاةَ مَـعَ ... الطاغِيـنَ ذُلّاً وَيـا لِلْـذُلِّ مِـنْ بَـرَمِ
فَثـارَ يَرْفِـلُ بِالعَـزْمِ المَتِيـنِ وَفِـي ... فُـؤادِهِ عَيْـنُ ذِكْـرِ اللهِ لَـمْ تَنَـمِ
ذاكَ الحُسَـيْنُ المُفَدّى مَنْ بِهِ انْتَعَشَـتْ ... شَـرِيعَةُ اللهِ رَبِّ الخَلْـقِ ذِي العِظَـمِ
فَعَظَّـمَ اللهُ أَجْـرَ المُؤْمِنِيـنَ بِمَـنْ ... بِالسَـيْفِ عاتَـبَ أَهْـلَ الجَـوْرِ وَالقَتَـمِ

# الإمام الحسين عليه السلام.. وحقوق الإنسان

• السيد محمد صادق الخرسان
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين نبينا المبعوث رحمة للعالمين وآله الهداة المهديين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

وبعد.. فعديدة هي الأبعاد التي يمكن استشفافها من خلال وقفة تأمل بين يدي الإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة.

١ـ حيث تتجسد قيادته للأمة واهتمامه بشأنها، فينخشع القلب أمام تلك العظمة والحكمة والحنان وحب الخير ومحاولة الإسهام في الإنقاذ من النار، وتعليم الناس كيفية العيش بعزة وكرامة.

٢ـ وحيث يمثل الحق بنصاعته وصلابته واستقامته، ليدحض الباطل بكدورته ووهنه واعوجاجه.

ليبقى أبو الشهداء منارا ستضاء به في طريق تحرير الإنسان من الذل والاستكانة والخنوع، ومنارة يستدل بها على درب الاستقلال. وأن هذا كله لم يكد يتحقق لولا دمه الزاكي المعطّر بأريج التضحية في سبيل الله تعالى من أجل إعلاء كلمة التوحيد الأمر الذي قد يدهش الكثير ممن لم يتعرفوا على ملامح شخصيته المباركة، وممن لم يتوفروا على دراسة تصور قبسات من مُثُله ومبادئه وأبعاد ثورته.

لذا فمن الضروري أمام هذا الموقف أن تؤشَرَ لكم الأبعاد المستشفة من الثورة الحسينية المباركة التي ساهمت في تجلية الحقائق، وأسهمت بشكل فاعل في الكشف عن الكثير من مظهر الزيف الذي أريد له أن يحكي صوت الإسلام وصورته ـ مع الأسف ـ إلا أنه (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) فنجد أن أبا الأحرار يراقب موقف الأمة، وإذا به يصرح بقوله (ألا ترون أنه الحق لا يعمل به وأن الباطل لا ينتهى عنه)، ليبين واقع المأساة التي تعيشها الأمة، وليكشف عن ضرورة النهوض بأعباء المسؤولية الشرعية الملقاة على عاتق الراعي والرعية، القائد والجماهير لئلا يقولا إنا كنا عن هذا غافلين وهو بهذا التصريح يكون عليه السلام قد أعلن عدم شرعية تصدي القائمين على الحكم آنذاك، لئلا يتورط أحد بالمبايعة والمسالمة لأنه نظام يقوم على انتهاك حقوق الإنسان، حيث أن رأس النظام الحاكم (قاتل النفس المحرمة) بشهادة الإمام الحسين عليه السلام الأمر الذي يوضح عدم تورع حقد القائل عن ارتكاب جرائم ضد الإنسانية مما يجرأه على انتهاك الشرعية فلا يلتزم بقانون ولا يتقيد بشريعة.

٣ـ ولأنه نظام يستبيح الممنوعات

الإسلامية من خلال اتصاف رأسه الحاكم بكونه (رجل فاسق شارب خمر، معلن بالفسق) حسبما صرح الإمام الحسين عليه السلام ليكشف عن علاقة وطيدة وعتيدة ببن يزيد وهذه الحالة من التمرد على القيم السماوية حتى أنه لا يبالي بالإعلان بذلك، وهذا ـ بحد ذاته ـ كناية عن تعود وتطبع على الحال حتى غدا لا يستشفعه فضلاً عن أن يستنكره أو يقلع عنه.

والملفت عندما أجاب مروان بقوله (ويحك يا مروان أتأمرني ببيعة يزيد وهو رجل فاسق، لقد قلت شططاً من القول) ليدل على مدى اشتهار يزيد بذلك ومع ذلك لم يتحمس مروان للدفاع والإنكار كما هي عادة المحتفين النفعيين، وبعد هذا كله فكيف يصلح للقيادة وغمرة المؤمنين؟!.

٤ـ ولأنه نظام يستهين بهيبة المنصب الذي تنصب فيه، حيث يكون المترأس لعباً بالقرود وقد روى البلاذري في أنساب الأشراف ما يخزي من روايات لعبه بالقرود حتى قال فيه رجل من تنوخ:

يَزيدُ صَديقُ القرد ملء جوارنا
فَحنَّ إلَى أرْض القُرود يزيدُ
فتباً لمَن أمسى علينا خليفة
صحابته الأدنَونَ منهُ قُرودُ

وقد كان يشجع حلبات المصارعة سواء بين الدببة أو القرود أو الأكباش، كما كان مغرماً بالخمر حتى قيل عنه ما من يوم ويصبح فيه مخموراً.

ولكن هذه المظاهر تقلل من ثقة الرعية بأهلية الراعي للرعاية حيث يكون مقصراً في الرعي لأنه غائب عن الوعي فلا يكون مؤهلاً للقيادة قانوناً لفقدانه الإحساس بفعل تأثير (أم الخبائث).

وعليه فلم تكن القيادة التي يراد إحكام البيعة لها بمؤهلة لهذه المؤشرات فقط بل لأنها أيضاً جاءت تمثل محاولةً تقض عهد أبرم سابقاً ينص على عدم استخلاف معاوية من بعده أحداً، لتعود خلافة المسلمين للإمام المعصوم عليه السلام، بينما لم يعتن بهذه الاتفاقيات والالتزامات كلها.

نستبين جلياً للجميع أن أسباب نهضة الإمام الحسين عليه السلام قد هيأت لها عوامل كثيرة يمكن التعريف بها من خلال أنها عملية ازدياد نقاط الباطل في مقابل نقصان نقاط الحق مما يوجب الجهاد والنهوض لتصحيح الخطأ الكبير الذي ارتكبه من لا حريجة له في الدين.

وفعلاً نهض الإمام الحسين عليه السلام واستشهد وحقق مكاسب كريمة إذ ما زلنا ننعم من عطائها ونفتني من وفرتها، حيث نجده ـ وفي حالة حرجة لتوتر الموقف العسكري يوصي ولده الإمام علي بن الحسين زين

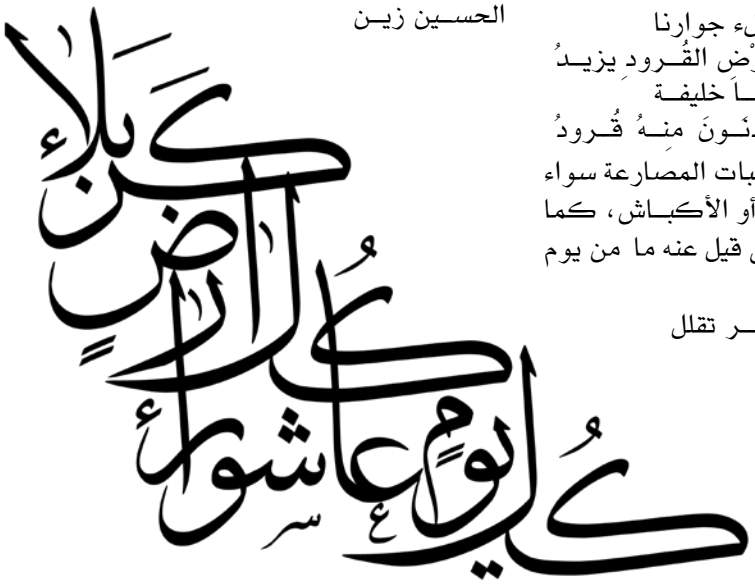

العابدين عليه السلام بقوله (أي بُني إياك وظلم مَنْ لا يجد عليك ناصراً إلا الله عز وجل) ليعلّم الأجيال:

(أولاً): أن حقوق الإنسان محفوظة ومكفولة لا يجوز التعدي عليها ولا يصلح التهاون فيها، لأن لكل حقاً تنتهي مساحته عندنا يزاحم حق غيره فلابد من وعي ذلك والتعامل على أساسه، لأنه الذي يحقق العدل في الأرض ويؤمّن للإنسان حضوراً حضارياً تضمن له الحقوق من دون أن تسلب منه أو يهمش وجوده ليواجه حالة من المهانة والإذلال من خلال فرض إرادة الغير من دون مبرر إنساني أصلاً.

(وثانياً): أن الله تعالى فوق المعتدي مهما استطال وتطاول، لأن قدرة الله تعالى سبحانه غير محدودة، بينما أن ما تطاله يد الظالم محدود، فلابد من الانتباه وعدم الغرور والاندفاع وراء منصب أو مال أو لُذاذة عيش موعود بها أو غير ذلك، من زائل الدنيا، لأن هذا الاندفاع يستتبع الندم (يوم يعض الظالم على يديه) ويفر ممن كان يؤويه أو يشجعه أو يدعمه أو يرضى بفعله ولا يستنكر منه أو عليه ذلك، فلابد من الاستحضار دائماً لمعاني القدرة والعزة والجبروت لله تعالى حتى لا نصاب بداء التجاهل والتناسي مع أنها أمور تقصم الظهر لو أخطائها الإنسان.

(وثالثاً): أن الربط بين الإنسان وأخيه الإنسان هو ارتباط قلبي ينبع من الاستشعار للمسؤولية والاحترام للإنسانية بحيث يحمل همه فيعينه ولا يعين عليه ولذا فقد أجاب عليه السلام من استبطاه في التواصل عبر الرسائل (يا أخي ليس تأكيد المودة بكثرة المزاورة ولا بمواترة المكاتبة لكنها في القلب ثابتة وعنه النوال موجودة) وفي الختام نرفع الكف لله تعالى بالتوفيق للعمل بهذه المبادئ ولنيل الشفاعة والحمد لله رب العالمين ■

# يا غريب الطفوف

• زهير زاهد

أطبق الليل فانتفض يا فداء ... وليزمجر في عارضيك الضياء
أطبق الليل وانثنى كلّ همس ... وتورات في ظلها الأرجاء
أنكر الأفق لونه وتلوى ... خجلاً من رؤى الرجاء الرجاءُ
وتعالى مُداهن وتغنى ... بهواه مكابر مشاء
واستوى يلبس الفضيلة باغ ... يتراءى في مقلتيه الخواء
يُلبسُ الحق بالضلالة والظلم ... بوهم يضل فيه العماء
يا ظلام التاريخ أطبق على الأحجار ... ملّت ركودها الأفناء
يلعن الليل صحبه فتغطي ... أفقيه غمامة سوداء
يا هوان التاريخ ينتحر العدل ... هواناً والحجة السمحاء
يا لذُلّ الزمان تهوي الكرامات ... على بابه ويعلو الغباء
يا ابن خير الأنام لم يزل الدهر ... لهيباً تمده الأهواء
لم يزل يستقي عذاباً ليُرْوَى ... في مجاليه سادة خلفاء
ما يزال الطغيان ظفراً ونابا ... لم تحطمه ثورة حمراء
لم يزل ذلك اللهيب حقوداً ... ترتويه حكاية خرساء
يا غريب الطفوف يومك صوت ... يملأ الخافقين منه النداء
يا جراحا في حومة المجد تدمى ... تشرب الأرضُ نارها والسماء
فدماء الشهيد تنطفئ الدنيا ... ولا تنطفي لها أصداء
يا غريباً ذي غربة المجد في الأرض ... تلقىّ أحزانها الأنبياء
يا أبياً توثب النور في عينيه ... واهتز في يديه اللواء
حاملاً مشعل الرسالة إذ جاشت ... عليها جهالة جهلاء
عزمك العزم من عليّ ومن جدك ... ما هزّ خطوهُ الأغراء
يا زكي الدم المعطر بالخلد ... أم الخلد عطرته الدماء
ووريد قد سال في الطف نار ... الله قد ألهبت بها الظلماء
يا ابن خير الأنام لو علم القوم ... ولكن ساق العماءَ العماء
يا بدوراً هوت على الأرض صرعى ... بدماها تقدست كربلاء
يا ابن بنت النبي لو بكت العين ... دماً ما أراح ذلك البكاء
لو عرفناك ما عزّت ... علينا نفوسنا والفداء
يا غريباً صان الخلود شهيدا ... فتعرى بحبه الغرباء
وطوى صفحة الحياة أبياً ... عَزْمُهُ، فاقتدى به الشهداء

# قراءة تحليلية في قصيدة حسينية

## فداحة المأساة واستجابة العاطفة

• د. حسن الخاقاني

### القصيدة:

عثر الدهُر ويرجو أن يقالا
المطاعين إذا شبت وغى

تربت كفك من راجٍ محالا
والمطاعيم إذا هبت شمالا

أيّ عذر لك في عاصفة
والمحامين على أحسابهم

نسفت من لك كانوا الجبالا
جهد ما تحمي المغاوير الحجالا

فتراجعْ وتنصلْ ندماً
أسرة الهيجاء أتراب الضُبا

أو تخادع وأطلب المكر احتيالا
حلفاء المسر سحب واعتقالا

أنزوعاً بعد ما جئت بها
فهم الأطواد حلماً وحجاً

تنزع الأكباد بالوجد اشتعالا
والضبا الأسد غرباً وسيالا

قبلت عذرك إذ أنزلتها
ولهم كل طموح لا يرى

بالذرى من هاشم تدعو نزالا
خد جبّار الوغى إلا نعالا

فرغ الكف فلا أدري لمن
إن دُعوا خفّوا إلى داعي الوغى

في جفير الغدر تستبقي النبالا
وإذا النادي احتبى كانوا ثقالا

نلت ما نلت فدع كل الورى
أهزل الأعمار منهم قولهم

عنك أو فاذهب بمن شئت اغتيالا
كلما جد الوغى: زيدي هزالا

إنما اطلعت غرباً من ردى
كل وّطاء على شوك القنا

فيه ألحقت بيمناك الشمالا
اثر مشاء على الجمر اختيالا

قد تراجعت وعندي شرع
وقفوا والموت في قارعة

شيما تلبسها حالاً فحالا
لو بها ارسي ثهلان لمالا

وتجملت ولكن هذه
فأبوا إلاّ اتصالا بالضبا

سلبت وجهك لو تدري الجمالا
وعن الضيم من الروح انفصالا

لا أقالتني المقادير إذا
أرخصوها للعوالي مهجاً

كنت ممن لك يا دهر أقالا
قد شراها منهم الله فغالا

أزلال العفو تبغي وعلى
نسيت نفسي جسمي أو فلا

أهل حوض الله حرمت الزلالا
ذكرت إلا عن الدنيا ارتحالا

حين ننسى أوجهاً من هاشم
ضمها الترب هلالا فهلالا
افتديهم وبمن ذا افتدي
أمن لهلاك الورى كانوا الثمالا
عجباً من رجلها ما قطعت
في طريق المجد من نعل قبالا
وترت من كم على جمر الوغى
ألقت الأخمص رجلاها صيالا
عترة الوحي غدت في قتلها
حرمات الله في الطف حلالا
قتلت صبراً على مشرعة
وجدت فيها الردى أصفى سجالا
يوم آلت آل حرب لا شفت
حقدها أن تركت لله آلا
يا حشى الدين ويا قلب الهدى
كابدا ما عشتما داء عضالا
تلك أبناء علي غودرت
بدماها القوم تستشفي ضلالا
نسيت أبناء فهر وترها
أم على ماذا أحالته اتكالا
فمن الحامل عني آيةً
لهم لو هزت الطود لزالا
أيها الراغب في تغليسةً
بأمون قط لم تشكُ الكلالا
اقتعدها وأقم من صدرها
حيث وفد البيت يلقون الرحالا
واحتقبها من لساني نفثةً
ضرماً حولها الغيظ نقالا
وإذا أندية الحي بدت
تشعر الهيبة حشداً واحتفالا
قف على البطحاء وأهتف ببني
شيبة الحمد وقل قوموا عجالى
كم رضاع الضيم لا شب لكم
ناشئ أو تجعل الموت فصالا
كم وقوف الخيل لا كم نسيت
علكها اللجم ومجراها رعالا
كم قرار البيض في الغمد أما
آن أن تهز للضرب إنسلالا
كم تمنون العوالي بالطلى
أقتل الأدواء ما زاد مطالا
فهلموا بالمذاكي شزباً
والضبا بيضاً وبالسمر طوالا
حل ما لا يترك الإبل على
مثله يوماً ولو زيدت عقالا
طحنت أبناء حرب هامكم
برحى حرب لها كانوا الثقالا
وطئوا آنافكم في كربلا
وطأة دكت على السهل الجبالا
قوموها أسلاً خطيةً
كقدود الغيد ليناً واعتدالا
واخطبوا طعناً عن ألسنٍ
طالما أنشأت الموت ارتجالا
وانتضوها قضباً هنديةً
بسوى الهامات لا ترضى الصقالا
ومكان الحدّ منها ركبّوا
عزمكم إن خفتموا منها الكلالا
واعقدوه عارضاً من عثير
بالدم المهراق منحل العزالى
وابعثوها مثل ذؤبان الغضا
لا ترى إلا على الهام مجالا
وإلى الطف بها جرى فلا
برد أو تنسف هاتيك التلالا
بطراد تلدم الطف به
للألى منكم قضوا فيه قتالا
وطعان يمطر السمر دماً
فوقها حيث دم الأشراف سالا
كم لكم من صبية ما أبدلت
ثم من حاضنة إلا رمالا
سل بحجر الجرب ماذا رضعت
فثدي الحرب قد كن نصالا
رضعت من دمها الموت فيا
لرضاع عاد بالرغم فصالا

ونواعٍ برزت من خدرها
تلزم الأيدي أكباداً وجالا
كم على النعي من حنة
كحنين النيب فارقن الفصالا
كبنات الدوح تبكي شجوها
وغوادي الدمع تنهل إنهلالا

الديوان:١٠١- ١٠٣

## الشاعر:

هو السيد أبو الحسين حيدر بن سلمان بن داود.. ويمتد نسبه إلى الإمام علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام، وهو نسب يصدق عليه القول أبي تمام الطائي.

ولد في الحلة في ١٥ شعبان من عام ١٢٤٦هـ - وهي ذكرى مولد الإمام الحجة عجل الله فرجه - ونشأ بها يتيماً، فقد مات أبوه وهو طفل، فتولى تربية عمه السيد مهدي وشمله بعنايته ورعايته حتى جعله ثالث ولديه في الميراث.

عرف السيد حيدر شاعراً مجلياً في كل الحلقات الأدبية، وكان يشعر بالزعامة على أبناء جيله من الأدباء، برغم المنافسة من أعلام النجف.

اجتمعت لديه عوامل النبوغ والتفوق، ومهما ما أطلع عليه وحفظه من الأدب العربي ومنها بيئته العلمية والأدبية التي نشا فيها. فقد تفرد فلما شاركه فيها أحد، واتفق له ما لم يتفق لغيره في سير الأدباء فتراه شاعراً وابن شاعر وابن أخي شاعر وحفيد شاعر وأباً لشاعر وعماً لشاعر.

ومنها عمق إحساسه، وصدق شعوره في ميراثيه لجده الحسين عليه السلام فقد كان ينظم فيها بلهجة الأروع الموتور، وللعامل الأخير، أبلغ الأثر، فقد دفع بكثير من أعلام عصره إلى أن يقتله على كثير من الشعراء الذين تقدموه والذين تأخروا عنه.

خاض في أغلب أبواب الشعر وأجاد فيما خاض فيه، ولكنه جلى وظهر في فده الرثاء ولاسيما ما كان موجها منه لآل البيت والحسين منهم خاصة، فقد كان ينظم على رأس كل سنة قصيدة تحيي ذكرى عاشوراء.

احتل السيد حيدر منزلة أدبية واجتماعية رفيعة، وقد نال الخطوة والإقدام لدى جملة مقدمي العصر، ولاسيما السادة آل القزويني، وآل كبة، وقد كان الزعيم الديني السيد ميرزا حسن الشيرازي يستدعيه إلى سامراء ليستمع إلى شعره، وكان العلامة الكبير السيد مهدي القزويني يجلس إلى جنبه ويقدم له إعجابه وإكباره، وكان الوالي مدحت باشا يتعهده بالسؤال عن صحة والاستفسار عنها.

توفي في مسقط رأسه في الليلة التاسعة من ربيع الأول سنة١٣٠٤هـ وحمل نعشه إلى النجف الأشرف بموكب جليل فيه السادة والعلماء الإجلاء وعطلت المدارس في سامراء والنجف بأمر من الإمام الشيرازي حداداً عليه.

ومن غريب الصدف أن نزل يوم وفاته كأفواه الغرب بعد أن امتنع زمناً أحس الناس فيه بالجدب. (مختصر من مقدمة ديوانه الذي جمعه الشيخ علي الخاقاني رحمه الله).

## التحليل:

يمكن تقسيم هذه القصيدة، لأغراض دراستها، على أربعة محاور رئيسية بحسب الطبيعة البنائية التي وردت عليها، إذ يستغرق المحور الأول الأبيات من١-١٣، وهو مخصص لعتاب الدهر والنقمة عليه فقد سجل الشاعر عليه في أول النص عثرة لا تقال، مؤكداً

ذلك بنقل الترجي إلى باب المحال ليسد الأبواب بوجه الدهر لإمكان قبول أي عذر، ولا عذر له، وليفتح من الجانب الآخر، باباً أمام سيل من التقريع والذم الشديد يتوازى مع عظم الواقعة وفداحة الخطب الذي طال الذرى من آل هاشم:

وينتهي الخطاب إلى القطيعة التامة في البيت، حيث يتطور الأمر بعده إلى التقريع والرفض في البيت الذي يكون مفتاحاً للانتقال إلى المحور الثاني بدءاً من شطره الثاني: وعلى أهل حوض اللّه حرمت الزلالا لتكون هذه العبارة (أهل حوض اللّه) لمعبر الذي ينتقل به الشاعر إلى نوع من المديح المختلط بالفخر حين يرصد شيء من التفصيل، عدداً من الصفات الرئيسية التي امتاز آل البيت، ويتركز المدح في بيان صفات مخصوصة تناسب مقام القصيدة، وهي الكرم والشجاعة في دخول صومات الوغى من دون تردد أو وجل، وفي ذلك ترابط مع الموضوع الرئيس للنص الذي يتناول الواقعة الكبرى في كربلاء، فالكرم ينتهي بهم إلى أقصى غاياته وهو الجود بالنفس وهو أقصى غاية الجود، والشجاعة تنتهي إلى أقصى غاياتها أيضاً، إذ تظهر أفعال الرجال بأجلى صورها بطولة وإقداماً، ثم ترتقي إلى التضحية وإيثار الموت في ساحات القتال إيثاراً للدين والمبدأ وحماية العرض:

ويعتمد الشاعر التقنية نفسها في الانتقال إلى محور جديد وهي استعمال ضمير المتكلم في البيت حيث يحدث الإقرار في الواقعة، والالتفات إلى غياب بنهي هاشم من أوجه ضمها الترب هلالاً فهلالاً، لتكون مقدمة لذكر عظم المصيبة، وعظم الشعور بها في أعظم الأبيات القصيدة وأكثرها قوة:

ونظراً لإحساس الشاعر بفداحة الخطب، وعظم المصيبة على الدين كله فإنه ينتقل إلى محور جديد يستنهض به الهمم بدءاً بالبيت:

وهن يظهر ضير المتكلم للمرة الثالثة في البيت (٣٥) ليكون وسيلة الانتقال أو المعبر إلى المحور الجديد حث أبيات الاستنهاض الحماسية التي تقوم على استذكار جوانب من المصيبة، ومن فعل القوم بآل النبي ﷺ ويستغرق ذلك حتى البيت (٥٨) ليعود ثانية إلى التذكير بالمصيبة وهي خاتمة القصيدة التي تمثل محورها الأخير حيث يتكامل البناء الرصين عند هذه النقطة.

بعض المظاهر الفنية ودلالاتها في النص:

حفل النص بعدد من الظواهر الفنية التي كانت ساندة لمقومات الأداء الفني والتعبيري العام. فقد جاء نسيج النص قائماً على شبكة واسعة من العلاقات المجازية بألوانها المختلفة وانتشرت في أجزائه التشبيهات الصائبة، والاستعارات الموفقة، والكنايات الرائعة، الأدوات البلاغية المتيسرة وفق علامات بنائية جديدة تدل على حسن التصرف، والقدرة على التوليد والابتكار.

وأما التعليق بأحوال الصنعة البديعية فقد كان للجناس حصة كبيرة من الانتشار في ثنايا النص ويمكن أن نرصد أهم الجناسات الواردة، يصورها العديدة المتنوعة:

يرجو ـ راج
أنزوعاً ـ تنزع
أنزلتها ـ نزالا
تجملت ـ الجمالا
الزلال ـ الزلالا
المطاعين ـ المطاعيم
شبت ـ هبت
المحامين ـ تحمي
دعوا ـ داعي
أهزل ـ هزالا
آلت ـ إلا
أبناء حرب ـ برحى الحرب

وغيرها مما لا يسع المقام رصده وتحليله بصورة مفصلة، ويعني هذا الانتشار الكثيف للجناس تماسك النص في أدائه اللغوي، ومن ثم الدلالي، لاشتقاق بعضه من بعض. وتلاحم الكلمات برجوعها إلى جذر لغوي واحد مما يعني تلاحم الأفكار، أو الوحدة العامة للفكرة وتمكنها من نفس الشاعر، ولذلك يأتي التعبير موازياً لذلك التمكن في النفس فيظهر في النص، متمكناً متلاحماً مثلما هو في النفس كذلك. وأما الطباق فقد كان أقل انتشاراً من الجناس ويمكن أن نرصد بعض الصيغ التي ورد فيها ومنها:

عثر ـ يقالا
اتصالا ـ انفصالا
أرخصوها ـ فغالى
نسيت ـ ذكرت
حرمات ـ حلالاً
قتلت ـ وجدت

ويعني الطباق وضوح طرفي الفكرة، أو طرفي النزاع في النص ذلك بأن الطباق يأتي بالشيء ونقيضه مما ينبئ عن وجود صراع، وهو صراع كان محسوماً على الصعيد المادي الواقعي، الآني، في أقل تقدير، ولذلك جاءت حدة الطباق أقل وروداً من الجناس، إذ لم يجد لاستنهاض فيؤول في النهاية إلى الندب والبكاء مما يعني تحقق وقوع المصيبة في الواقع وفي نفس الشاعر فتخفت النبرة الحماسية، وتتصاعد نبرة الندب الحزينة، وعندها تتحقق صورة القصيدة تامة ■

قصة قصيرة:

# لبيك يا حسين

• عبد الهادي الحلو

ينابيع حينما وصلوا إلى المخيم ترجلوا وساروا وراء إمامهم وكان يملأ ما حوله اعتداداً وهيبة وبهاء. التفت زهير بن القين إلى صاحبه الذي اختاره مع آخرين ليكونوا حماية للإمام عندما توجه إلى ساحة الأعداء يعظهم ويبصرهم وكان وجه الرجل متجهماً منقبضاً. أمسك زهير بعضده وهو يبتسم وأشار بيده إلى الإمام وقال: أنظر إلى إمامك.. أنه يملأ الدنيا ويفيض عليها!!

عرف الرجل ما أشار إليه زهير فأجابه وهو يؤكد على كلماته: لم يكن ما تراني فيه خوفاً أو جزعاً بل غضباً على ما عليه أولئك الناس من هوان ونكران للحق وغم انبلاجه ووضوحه. أما أنهم لا يريدون حتى أن يسمعوا أو يفكروا في الأمر ولو للحظة واحدة؟ وأصروا أن يفتعلوا الضوضاء والهياج كلما تكلم الإمام؟

ربت زهير على كتفه وقال: له عليك.. إنه أمر واقع أن يبقى قول نبينا ثابت عندما قال: (ادعني وجهال قومي...) أنهم جهال وفوق ذلك اختلط في أذهانهم الخوف والطمع فجعل انحيازهم أعمى ولم يبق أمامهم إلا أن يقبلوا الضلال ويضلوا العامة كي يمنعوها من السمع والاستبصار لذلك تراهم قد افتعلوا الضوضاء وأصابهم الهوس عندما تكلم الإمام فيهم!

قال الرجل وهو يأخذ بيد زهير: لا أظن.. لم تبق لهم على الإمام حجة تهديهم.. أنهم تنكروا للحق والهداية وأداروا الظهر لهما وبئس ما فعلوا فقد رفعوا بينهم وبين جهنم كل ستار!!

دخلوا إلى خيمة الاجتماع خلف الإمام وكان بعض الصحابة جالسين. فلما أخذ الإمام مجلسه نظر في وجوههم نظرة فاحصة وكانت ترتسم على محياه أسئلة واضحة ثم ركز نظرته على زهير وقال بهدوء: أخبروا كل جماعتكم أن يحضروا هنا بعد صلاة العشاء للتشاور في الأمر.. من المهم لدينا أن يكون الجميع على بينة!

أسرعت أجفان الرجل تطرف وقال في نفسه: إن الأمر صار خطيراً. أن الإمام يحمل بين جنبيه الحق والحق لا يحتمل غير الصراحة وللحق جولة وأنه لصاحبها قال أحدهم يجلس بجنبه وقد سمعه يتكلم مع نفسه: من نقصد.. بصاحبها.. إياك تتكلم مع نفسك.

التفت إلى المتكلم وكان يتفحصه وأراد أن يقول شيئاً لكنه تراجع وقال بافتضاب: لا شيء.. لا شيء.

سأله الرجل مرة أخرى: لم أرك من قبل.. من أي لقوم أنت؟

برأ عليه شيء من الامتعاض وقال وهو يركز نظراته في وجهه: أنا من قوم الحسين!

ضحك الرجل وقال معتذراً: لا بأس.. فقد تعودنا أن نسأل من نلتقي بهم للتعرف بعد الاستماع إلى ما يقوله الإمام سنعرف إن كان لنا حاجة بالتعارف في

هذه لدنيا؟

لا بأس عليك يا أخي.. إنك صادق فيما قلت.

اجتمعوا بعد الصلاة جميعاً وقد اعتلى الإمام منصة أعدت على عجل ليشرف بها على الجميع ليراهم ويرونه وقال بعد ذكر الله ونبيه وهو يؤكد على كلماته: أما بعد فقد أرسل الله رسوله هادياً للأمة وجامعاً لشملها بعد شتات..

تقاطع وعي الرجل مع هذه الكلمات وانفلت منه بعيداً يفتش عن موقف يرضي انفعالاته الملتهبة وحين أعاد السيطرة على وعيه سمع الإمام يقول: إن القوم لا يريدون غيري فليأخذ كل واحد منكم بيد صاحبه واتخذوا هذا الليل جملا وتفرقوا.. وأنتم في حلّ مني قفز من مكانه وهو يرتجف وقال بصوت تلاطمت فيه الكلمات وتداخلت: لا يا سيدي.. لا نريد أن تحرمنا من شفاعة جدك أن هؤلاء القوم لا يخيفونا والنقلة لا تحتاج منا إلا لحظات نكون بعدها والفوز على صعيد واحد.

في الأثناء تعالت أصوات الآخرين مؤيدة ورافضة لترك صحبته ولو تجرعوا من أجل ذلك الحتوف.

أخذ الإمام يتصفح وجوههم ويقرأ صدق إصرارهم وثباتهم عليها فتهلل وجهه وانفرجت أساريره فقال الرجل يتوسل: يا سيدي لبس الهزيمة أن نموت جميعاً بل أن ينخذل أحدنا ويتراجع مهزوماً أمام أولئك الأوغاد وهذا ما لم يحصل من أي واحد منا بقوة الله وعزته.

فازداد وجه الإمام إشراقاً لقوله وتأييد الجميع له وقد اطمأن لثباتهم جميعاً فقال وهو يوصي إلى خلفهم: والآن أنظروا إلى أماكنكم بعد ظهر غد.

والتفت الجميع إلى الوراء وسرعان ما شملهم الصمت وتألفت نظراتهم وظهر على أفواههم الفاغرة الانبهار وظلوا مشدودين إلى الغد.. وسنلتقي جميعاً هناك.

أخذ بعضهم يهنئ البعض وقد أقاموا بقية ليلهم ولهم دوي متصل في التلاوة والتسبيح ونفوسهم تتوق مستعجلة ظهور النهار وانبلج عليهم ذلك الصباح من تموز وهم مدفوعين باللهفة والشوق. وما ارتفعت الشمس حتى زحف الجيش يطوقهم فما زادهم ذلك إلا ثباتاً وصلابة وقد اغنوا ساحة القتال بكل غريب من البطولة والتضحية وحين وصلت النوبة لصاحبنا انحدر نحو الساحة وهو يرتجز ويهدر صارخاً في كراديس الخيل حتى تحاشاه المقاتلون مما أبداه من جرأة وقدرة على المناورة وكانت وسيلتهم المتبعة. وقد أحس بالتعب أن تقدمت جماعة الرماة ورشقته بالنبال رشقة مكثفة سقط بعدها على الثرى وقد دخل في غيبوبة تامة.

حمل جماعة من الأصحاب وكشفوا عنه لمة تحيط به من العدو لسلبه ولما تصوروا أنه قد مات حملوه بعيداً عن الحومة ثم طرحوه بجنب القتلى وطرحوا سيفه جنبه وظل هو على حالة يعود إليه الوعي قليلاً مرة ويسقط في غيبوبة أخرى تفصله عما يحيط حوله.

في إحدى صحواته ملأ سمعه صوت هزة هزاً عنيفاً أيقضه وسحب كل ما أصاب جسمه من تراخ وخدر وكان الصوت يصرخ ويكرر: قتل الحسين. فنهض هائجاً وقد وقعت يده على قبضة سيفه فأمسك به وكانت الخيل تجري مسرعة تجاه الصوت وصوت حوافرها يختلط بزحف الرجالة وهياجهم. فما كان منه إلا أن قفز بقوة وتعلق بأحد الخيالة وأسقطه إلى الأرض ثم هوى عليه بضربات أدت به. أحس بعدها بشيء من الخلف

فالتفت إلى الوراء وأخذ يضرب عشوائياً ثم أحس أن قوته أخذت تتراخى وهو يرتطم بعوائق كثيرة فحاول أن يتمسك لكن أحدهم عاجله بضربة من سيفه على يده فقطعها. هوى بعدها على الأرض ثم تقدم منه احدهم فضربه على رأسه وقد سمعه يتمتم بكلمات.

قال الجراح وهو يتفحص الجرح بإصبعه وقد أخذ ينز دماً. أتعلم لو تهيأ للسيف أن ينزل في عاتقك زيادة فلامه لأهلكتك الضربة!

أعقبه أحد العَود من الجالسين: كيف حصل ذلك بالله عليك؟

قال الجريح وهو يعض على شفتيه من الألم: كنت والأزرق الكندي والصباح بن عبيد من الخيالة وآخرون من الرجال نزحف مسرعين نحو خيام الحسين لنحصل على نصيب من السلب وقد مررنا على بعض القتلى من أصحابه فانتفض احدهم من المجزرين كالمارد وأمسك بالأزرق فأسقطه من ظهر فرسه وقتله بضربات خاطفة ثم أخذ يضرب في الرجالة يميناً وشمالاً فنزلنا مضطرين عن خيالنا واحتوشناه مع بقية الرجال معنا وقد فر البعض من أمامه مذعورين وكنت قد جئت من الخلف فضربني بالتفاتة منه مفاجئة هذه الضربة ولولا الصباح بن عبيد الذي عاجله بضربة على يده فقطعها لقتلني وبضربة على رأسه جعلته يسقط وهو يردد: لبيك يا حسين لبيك يا يسدي.

لكن ما أثار غضبنا هو حرماننا من السلب حيث لم نحصل منه على نصيب!! ■

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

# أرقام خالدة في نهضة الإمام الحسين

• حيدر كريم الجمالي

ينابيع إن للإحصاء أثراً كبيراً في إبراز معالم رسمات أي موضوع أو حادثة، ولاسيما واقعة الطف إذ لم تترك هذه الواقعة كما تركته باقي الواقعات بعد بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على المسلمين بالمستوى الذي تركته نهضة كربلاء عام ٦٠هـ وهذه الحقيقة واضحة من خلال أدنى تأمل في عادات وتقاليد وثقافة المسلمين اليومية بل قد لا تجد واقعة في تاريخ الإسلام أكثر حضوراً في أذهان المسلمين بكل دقائقها وتفاصيلها التاريخية من واقعة كربلاء.

ومن هنا يجدر بالباحثين والمؤرخين أن يحققوا بنظرة أكثر دقة في هذه الواقعة الخالدة بشتى زواياها لما يترتب على ذلك من آثار كبيرة في توضيح الحقائق وبيانها.

رغم أننا لا ننكر وجود مثل هذه المحاولات قديماً وحديثاً إلا أن المؤسف أنها تناثرت في متون الكتب التاريخية فأحصينا منها ما نستطيع إحصاءها وتركنا الكثير لمن يأتي.

**فترة نهضة الإمام الحسين عليه السلام:**

امتدت مدة قيام الإمام الحسين عليه السلام من يوم رفضه البيعة ليزيد وحتى يوم عاشوراء (١٧٥) يوماً، (١٢) يوماً منها في المدينة و(أربعة أشهر وعشرة أيام) في مكة، و(٢٣) يوماً في الطريق من مكة إلى كربلاء و(٨) أيام في كربلاء (٢_١٠) محرم.

عدد المنازل بين مكة والكوفة والتي قطعها الركب الحسيني حتى وصل كربلاء هي (١٨) منزلاً ـ كما ذكرها صاحب معجم البلدان ـ والمسافة بين كل منزل وآخر ثلاثة فراسخ وأحياناً خمسة فراسخ.

عدد المنازل من الكوفة إلى الشام والتي مرّ بها ركب السبايا مع الإمام زين العابدين عليه السلام هي (١٤) منزلاً.

بلغت كتب أهل الكوفة في دعوتهم للإمام الحسين عليه السلام هي (١٢٠٠٠) كتاباً. وبلغ عدد من بايع مسلم بن عقيل(رض) في الكوفة (١٨٠٠٠) وقيل (٢٥٠٠٠) وقيل (٤٠٠٠٠) شخصاً.

وعدد الشهداء من أبناء أبي طالب الذين وردت أسماؤهم في زيارة الناحية (١٧) شهيداً، وعدد شهداء كربلاء من أبناء أبي طالب ممن لم ترد أسماؤهم في زيارة الناحية هم (١٣) شهيداً، كما واستشهد ثلاثة أطفال من بني هاشم فيكون بذلك مجموع الشهداء من أبناء أبي طالب (٣٣) شهيداً.

فأبناء الإمام الحسين٣ :عليه السلام أشخاص.
وأولاد الإمام علي٩ :عليه السلام أشخاص.
وأولاد الإمام الحسن٤ :عليه السلام أشخاص.

وأولاد عقيل١٢ :رضي الله عنه شخصاً.
وأولاد جعفر٤ :رضي الله عنه أشخاص.
أما شهداء الأنصار ـ أنصار أبي عبد الله الحسين عليه السلام ـ بلغ مجموع شهداء الكوفة والأنصار١٣٨) :رضي الله عنه) شهيداً، بينهم (١٤) غلاماً.

كان عدد رؤوس الشهداء التي قسمت على القبائل وسير بها من كربلاء إلى الكوفة والشام: (٧٨) رأساً مقسمة على النحو الآتي:

قيس بن الأشعث، رئيس بني كندة: ١٣ رأساً.
شمر، رئيس هوازن: ١٢ رأساً.
قبيلة بني تميم: ١٧ رأساً.
قبيلة بني أسد: ١٧ رأساً.
قبيلة مذحج: ٦ رؤوس.
أشخاص من قبائل متفرقة: ١٣ رأساً.

كان عمر الإمام عند استشهاده (٥٧) عاماً.

بلغت جراحات الإمام بعد استشهاده (٣٣) طعنة رمح، و(٣٤) ضربة سيف وجراحات أخرى من أثر النبال.

كان عدد المشاركين في رضّ الجثمان المقدس للإمام بالخيل (١٠) أشخاص، بلغ عدد جيش الكوفة القادم لقتال الإمام الحسين (٣٣٠٠٠) مقاتل، وكان عددهم في المرة الأولى (٢٢٠٠٠) وعلى الشكل التالي:

عمر بن سعد ومعه: ٦٠٠٠ مقاتل.
سنان ومعه: ٤٠٠٠ مقاتل.
عروة بن قيس ومعه: ٤٠٠٠ مقاتل.
شمر ومعه: ٤٠٠٠ مقاتل.
شبث بن ربعي ومعه: ٤٠٠٠ مقاتل.
ثم التحق بهم:
يزيد بن ركاب الكلبي ومعه: ٢٠٠٠ مقاتل.
الحصين بن نمير ومعه: ٤٠٠٠ مقاتل.
المازني ومعه: ٣٠٠٠ مقاتل.
نصر المازني ومعه: ٢٠٠٠ مقاتل.

نعى الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر من أصحابه وخطب في شهادتهم ودعا لهم ولعن أعداءهم وهم: (علي الأكبر، العباس، القاسم، عبد الله بن الحسن، عبد الله الرضيع، مسلم بن عوسجة، حبيب بن مظاهر، الحر بن يزيد الرياحي، زهير بن القين، وجون). وترحم على اثنين هما: (مسلم وهانئ).

وقف الإمام الحسين عليه السلام عند رؤوس سبعة من الشهداء هم: (مسلم بن عوسجة، الحر، واضح الرومي، جون، العباس، علي الأكبر، القاسم).

رمى الأعداء برؤوس ثلاثة من الشهداء مع الإمام الحسين عليه السلام هم: (عبد الله بن عمير الكلبي، عمرو بن جنادة، وعابس بن أبي شبيب الشاكري).

قطعت أجساد ثلاثة من الشهداء يوم عاشوراء وهم: (علي الأكبر، العباس، وعبد الرحمن بن عمير).

استشهد في الواقعة خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام وهم: (أنس بن حرث الكاهلي، حبيب بن مظاهر، مسلم بن عوسجة، هانئ بن عروة، وعبد الله بن يقطر العميري).

استشهد في كربلاء خمسة صبيان غير بالغين وهم: (عبد الله الرضيع، عبد الله بن الحسن، محمد بن أبي سعيد بن عقيل، القاسم بن الحسن، وعمرو بن جنادة الأنصاري).

استشهد بين يدي الإمام الحسين١٥) عليه السلام) غلاماً (عبيداً) وهم: (نصر وسعد من موالي الإمام علي، منجح مولى الإمام الحسن، أسلم وقارب من موالي الإمام الحسين، الحرث مولى حمزة، جون مولى أبي ذر،

رافع مولى مسلم الأزدي، سعد مولى عمر الصيداوي، سالم مولى بني المدينة، سالم مولى العبدي، شوذب مولى شاكر، شبيب مولى الحرث الجابري، واضح مولى الحرث السلماني) هؤلاء الأربعة عشر استشهدوا في كربلاء، أما سلمان مولى الإمام الحسين فقد كان بعثه إلى البصرة واستشهد فيها.

عدد من أسر من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان هما: (سوار بن منعم، ومنعم بن ثمامة الصيداوي).

عدد من استشهد بعد الإمام الحسين عليه السلام أربعة من أصحابه وهم: (سعد بن الحرث، أخوه أبو الحتوف، سويد بن أبي مطاع ـ وكان جريحاً ـ ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل).

عدد من استشهد من الأصحاب بمحضر من أبائهم سبعة وهم: (علي الأكبر، عبد الله بن الحسين، عمرو بن جنادة، عبد الله ابن يزيد، مجمع بن عائذ، عبد الرحمن بن مسعود).

خمسة نساء أردن القتال هن: (أمة مسلم ابن عوسجة، أم وهب زوجة عبد الله الكلبي، أم عبد الله الكلبي، زينب الكبرى، وأم عمرو بن جنادة).

أما المرأة التي استشهدت في كربلاء فهي: (أم وهب زوجة عبد الله بن عمير الكلبي).

النساء في كربلاء هن: (زينب، أم كلثوم، فاطمة، صفية، رقية، وأم هاني بنات أمير المؤمنين، وفاطمة وسكينة بنتا الإمام الحسين، ورباب وعاتكة وأم محسن ابن الحسن، وبنت مسلم بن عقيل، وفضة النوبية، وجارية الإمام الحسين، وأم وهب ابن عبد الله).

كانت أمهات تسعة من شهداء كربلاء حاضرات يوم عاشوراء ورأين استشهاد أبنائهن وهم: (عبد الله بن الحسين وأمه الرباب، عون بن عبد الله بن جعفر وأمه زينب، القاسم بن الحسن، وأمه رملة، عبد الله بن الحسن وأمه بنت شليل الجليلية، وعبد الله بن مسلم وأمه رقية بنت علي عليه السلام، محمد بن أبي سعيد بن عقيل، عمرو بن جنادة، عبد الله بن وهب وأمه أم وهب، وعلي الأكبر وأمه ليلى كما وردت في بعض الأخبار ولكن هذا غير ثابت).

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أبناء الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين فيا ليتنا كنّا معهم فنفوز فوزاً عظيماً ■

# صيام يوم عاشوراء

## في المنظور التاريخي والفقهي والعقائدي

• السيد محمود المقدس الغريفي
باحث وأستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع عاشوراء على وزن فاعولاء ويأتي بالمد والقصر، وهو اليوم العاشر من المحرم، ولم يعرف اسم على هذا الوزن سواه، كما قال ابن دريد في الجمهرة، واختلف معه البعض وعدوا الضاروراء من الضراء والساروراء من السراء، وغيرها على وزن فاعولاء، ولكن أنكروا عليهم جماعة وقالوا: إنه لا ثاني له، أما تاسوعاء - اليوم التاسع من المحرم - فقد ألحق به، وقيل إنه موّلد[1] وفيه تأمل.

ويوم عاشوراء هو يوم الإسلام الأكبر، يوم دبّت فيه روح الرسالة إلى المجتمع الإسلامي من جديد، وأخذ نبض القلب يستعيد نشاطه، والرئتين تنفست من جديد، وانتشرت الحركة الفاعلة في جسم المجتمع الإسلامي، بعد أن خدّره بنو أمية وكادوا أن يجهزوا عليه.

يوم ارتوت منه نفوس المسلمين الشمم والإباء، والظالمين الهزيمة والعار.

يوم بدد كل خوف النفوس الخيرة، وزرع الرعب في نفوس الكفرة الفجرة.

يوم علّم المظلوم كيف ينتصر بالمبادئ، ولقن الظالمين درس الاختباء وراء الخنادق.

إنه يوم ثار فيه الدم الزكي على الظالم الشقي، يوم ثار فيه الإسلام من جديد على الجاهلية القبلية المظلمة. إنه يوم الشهادة، يوم البطولة، يوم الخلود.

إنه يوم كربلاء التي رشفت دماء ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام سيد الشهداء بعد أن استباحته سيوف الأشقياء، حتى بكته الجن والأنس والحجر والمدر والأرض والسماء.

يوم عاشوراء عُرف باسم الحسين عليه السلام وصُبغ بدم الحسين عليه السلام وانتشر بصرخة الحسين عليه السلام وحمل هوية الحسين عليه السلام، وسكن ضريح الحسين عليه السلام، وميلاده شهادة الحسين عليه السلام، وهدفه ثأر الحسين عليه السلام، ومبدؤه نهج الحسين عليه السلام، ووجوده للحسين عليه السلام، وتاريخه للحسين عليه السلام، وأبناؤه شيعة الحسين عليه السلام، ولو قدّر لك أنْ تخاطبه لقال لك بفخر: أنا خُلقت للحسين عليه السلام.

### صيام يوم عاشوراء تاريخياً قبل استشهاد الحسين عليه السلام

نُقل في بعض الأخبار أنّ أول ما شرع الصيام كان صوم عاشوراء[2]، فقد روى العامة عن ابن عباس أنه قال: أمر رسول

الله ﷺ بصوم عاشورا[٣]، وروي أنه ﷺ بعث إلى أهل السواد في يوم عاشوراء وقال: من لم يأكل فليصم، ومن أكل فليمسك بقية نهاره[٤]. وقد ورد عن قتادة في تفسير قوله تعالى: (أياماً معدودات...) أنها ثلاثة أيام من كل شهر وصوم عاشوراء، وقيل غير هذا التفسير، ولكنهم اتفقوا على أن ذلك منسوخ بشهر رمضان[٥].

وقد ورد عن أبي همام عن أبي الحسن عليه السلام قال: صام رسول الله ﷺ يوم عاشورا[٦]. وروى زرارة ومحمد بن مسلم أنهما سألا أبا جعفر عليه السلام عن صوم عاشوراء فقال: كان صومه قبل شهر رمضان فلما نزل شهر رمضان ترك[٧].

هذا وقد وردت جملة من الأخبار في فضل صيامه، فقد ورد عن النبي ﷺ قال: من صام في كل شهر ثلاثة أيام وهي البيض، حُسب له بصومه ثلاثة آلاف سنة، ومن صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر وقامه. وروي أن صيامه كفارة ذنوب سنة، بل وروي من صام ذلك اليوم غُفرت له ذنوب سبعين سنة، وغفرت له خواتم عمله[٨].

على إنا لو بحثنا في سبب صيامه وأساسه نجد أن في الأمر غرابة، إذ ورد أن النبي ﷺ حين قدم إلى المدينة رأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فسألهم فأخبروه أنه اليوم الذي أغرق الله فيه آل فرعون ونجّى موسى ومن معه منهم، فقال: نحن أحق بموسى منهم، فصام وأمر الناس بصومه، فلما فرض صوم شهر رمضان لم يأمرهم بصوم يوم عاشوراء ولم ينههم عنه[٩].

وفي صحيح مسلم ورد عن أبي موسى أن أهل خيبر كانوا يصومون يوم عاشوراء ويتخذونه عيداً يلبسون فيه نساءهم الحلي، فقال رسول الله ﷺ: فصوموه أنتم.

وعن ابن عباس أنه خرج من السفينة نوح يوم عاشوراء ولذلك صام من صام في هذا اليوم[١٠]، وفي آخر عن رسول الله ﷺ أنها رست يوم عاشوراء، فأمر من معه أن يصوموا شكراً لله[١١].

ولابد للمتتبع أن يتعجب من هذا الأمر الغريب إذ أن ديدن رسول الله ﷺ ومن خلال الاطلاع على سيرته الشريفة وأخباره كان يحرص على عدم التشبيه باليهود والتمسك بآرائهم ولا الدعوة للاقتداء بهم، حتى لا ينخدع البسطاء من المسلمين الجدد بدسائسهم ومكرهم في التشبث بما يدعم قولهم أو فعلهم أو سلوكهم، وتصحيحه من نبي الإسلام ﷺ وهذا غير خفي على أحد وقد استفاضت السيرة النبوية الشريفة بالنهي عن اتباعهم والتشبه بهم حتى في أبسط الأمور. أضف لحديث إرساء سفينة نوح على الجودي، فإن قلنا فرضاً به فإن الرسول ﷺ أشد حرصاً وأكثر فطنة من استغلال صفة صيام يوم عاشوراء لإرساء سفينة نوح تشبهاً باليهود إذ هم يصومون هذا اليوم حتى لا يستغلون هذا الفعل ويتندرون به على المسلمين. على أن إرساء سفينة نوح يوم عاشوراء غير ثابت وهناك بعض ما روي يخالف هذا اليوم. وأنها استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجة[١٢].

أضف إلى التضارب بين الفترة الزمنية بين الخبرين الأول والثاني عند دخول رسول الله ﷺ للمدينة، ووصوله إلى يهود خيبر في السنة السابعة للهجرة ومما يدعم هذا القول ما روي عن ابن عباس أنه قال: صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود[١٣]، وعنه أيضاً سئل عن صيام عاشوراء قال: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد، فإذا أصبحت من تاسعه فأصبح صائماً. قال: قلت: وكذلك كان يصومه محمد ﷺ قال: نعم[١٤]. وروي أيضاً قوله ﷺ: لئن بقيت إلى قابل لأصومن

تاسوعاء[١٥].

قال ابن الأثير في النهاية: إنما قالﷺ ذلك كراهة لموافقة اليهود فإنهم كانوا يصومون عاشوراء وهو العاشر فأرادﷺ أن يخالفهم ويصوم التاسع. إذ نقل جمهور العامة أنه حين صام رسول اللهﷺ يوم عاشوراء قالوا: يا رسول اللهﷺ إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال: فإذا كان العام القابل صمنا اليوم التاسع، وفي رواية إن بقيت إلى قابل لأصومن تاسوعاء[١٦]. وغريب من الصحابة الإشارة على من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى بذلك وبخاصة في التشريعات فضلاً عن ديدنهﷺ في عدم التشبه باليهود وعقائدهم.

وما يقرب إلى الفكر والنظر أن مجتمع المدينة (يثرب) كان يسيطر عليه اليهود وغالباً قبل الهجرة النبوية الشريفة بأفكارهم ومعتقداتهم وسلوكهم حتى أخذ الناس منهم جملة من المعتقدات والتشريعات على علاّتها وإن اختلفت دياناتهم ومعتقداتهم، وأصبحت هذه المعتقدات شيئاً فشيئاً من المقدسات والمسلمات في المجتمع المدني ومنها صوم يوم عاشوراء، فلما دخل الإسلام إلى المدينة وانتشر فيها لاسيما بعد هجرة الرسول محمدﷺ إليها بقيت بعض هذه المعتقدات ملازمة لبعض المسلمين الجدد، فأراد رسول اللهﷺ انتزاعها من أفكارهم وسلوكهم وسلب صفة القدسية عنها، ولكن بحكمة رسول اللهﷺ ووعيه للمجتمع المدني وما يحيطه ومن دون إثارة وإرباك وهو القائل: (إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم) فبدأ انتزاع هذا الأمر بالتدريج، فأرشد أول الأمر بعدم التشبه بهم كلياً بصوم يوم عاشوراء فقط بل أضاف تاسوعاء له حتى يأخذ الأمر صفة إسلامية، ونابع من قول نبي الإسلام لا غيره، وقد ورد: صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود، وكذا عن علي بن أبي طالبعليه السلام قال: صوموا عاشوراء التاسع والعاشر من المحرم[١٧]، وروي عن النبيﷺ: أن بقيت إلى قابل لأصومن تاسوعاء.

ومن المعلوم أن تشريع صيام شهر رمضان كان في السنة الثانية للهجرة، وأنهﷺ وصل إلى المدينة المنورة في ربيع الأول على ما هو الثابت في التاريخ، فمرّ عليهﷺ شهر واحد من المحرم بعد الهجرة. والظاهر جرى الكلام السابق فيه حول صيام يوم عاشوراء، وفيه روي قولهﷺ: إن بقيت إلى قابل لأصومن تاسوعاء، أي إن بقيت على هذا الأمر من الصيام ـ العرفي ـ ولكن جاء العام القابل وشرّع صيام شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة، وأسقط ما قبله من صوم في أذهان الناس، وما أدخل عليهم، أو نقول منسوخ إن تنزلنا كما قيل عن بعض المفسرين، وإنه منسوخ بصوم شهر رمضان.

وكذا روي عن عائشة أن النبيﷺ صامه وأمر بصيامه، فلما افترض شهر رمضان

السلام على الحسين

كان هو الفريضة وترك عاشوراء فمن شاء تركه[١٨]. بل ورد أكثر دقة وبيان عن الوشا قال: حدثني نجية بن الحرث العطار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء فقال: صوم متروك بنزول شهر رمضان والمتروك بدعة. قال نجية: فسألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك من بعد أبيه فأجابني بمثل جواب أبيه، ثم قال لي: أما أنه صيام يوم ما نزل به كتاب، ولا جرت به سنة إلا سنة آل زياد بقتل الحسين بن علي[١٩] عليه السلام.

وروي أيضاً عن الصادق عليه السلام أنّ صومه متروك بنزول شهر رمضان والمتروك بدعة[٢٠]. كما روي عن محمد بن مسلم وزرارة أنهما سألا أبا جعفر الباقر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء فقال: كان صومه قبل شهر رمضان فلما نزل صوم شهر رمضان ترك[٢١].

ومن الملاحظ من هذه الروايات أنها لا تدل على أن صومه مشرع من السماء، بل غايته كان يصام قبل شهر رمضان ربما لما قررناه سابقاً، بل صرح الصادق عليه السلام أنه لم ينزل به كتاب ولا جرت به سنّة، أضف إلى ذلك أنه لو كان مشرعاً لما ترك وعُدّ بدعة، غايته كان صيامه لا على سبيل التشريع بل الإباحة ولكن أرادوا عليهم السلام أن يدفعوا عنه الصفة الإسلامية من تشريعه واجباً أو مستحباً، وربما لهذا أشار رسول الله صلى الله عليه وآله على ما روي عن توبة أنه سُمع يوم عاشوراء على المنبر يقول: يا أهل المدينة أين عماؤكم؟ وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول أن هذا يوم عاشوراء لم يكتب الله عليكم صيامه وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر[٢٢]، فأراد صلى الله عليه وآله أن يؤكد للمسلمين أن لا أمر من الله عز وجل في صيامه، ولم يرد تشريع فيه وأن الله عز وجل لم يكتب عليكم هذا الصوم في إشارة إلى ترك إتباع سنن اليهود وعقائدهم، وأنه ليس بواجب عليكم كما يفعله اليهود واتبعتموهم (فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر).

والظن كل الظن أن جملة (وأنا صائم) دخيلة على قوله صلى الله عليه وآله - إن صحت النسبة - لأنه بصدد بيان عدم فرض الصيام في يوم عاشوراء من الله عز وجل لما تبادر للمجتمع المدني ظاهراً من وجوب صيامه أو استحبابه أو فضله من خلال اختلاطهم باليهود، بل أراد صلى الله عليه وآله إفهام المسلمين أن حكمه الإباحة وأنكم بالخيار في صيامه وأنه لا فضل له ولا استحباب فضلاً عن الوجوب بدليل أنه صلى الله عليه وآله لم يأمر بالقضاء لمن أكل فيه، ولم يَرد شيء في ذلك.

فلا يكون صيامه صلى الله عليه وآله والله العالم مخالفاً لبيانه ومراده، لاسيما أنه يعلم أن المسلمين يقتدون به في أفعاله وتصرفاته وأن الله عز وجل لم يشرعه لهم. اللهم إلا إذا قلنا بدلالة قوله: (عليكم) خطاب فقط للمسلمين، وأنه مباح لهم وأن الصوم في هذا اليوم من مختصات رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن لم يرد أنه من مختصاته صلى الله عليه وآله بل لم يؤكد أنه صام يوم عاشوراء أو حتى عُرف عنه ذلك بما يفيد الاطمئنان أو الظن المعتبر، إضافة إلى أن الأحكام الإسلامية تشمله صلى الله عليه وآله بالعموم لأنه نبي المسلمين وسيدهم وإن خاطبهم بالخصوص. أو ربما تعود هذه الجملة على توبة نفسه ولا عبرة بفعله بعد نقله قوله صلى الله عليه وآله لم يكتب الله عليكم صيامه.

أضف إلى هذا إننا لم نعلم ماهيّة صيام يوم عاشوراء، وكيفيته على طريقة صوم اليهود أم كان على طريقة صيام شهر رمضان وبَعَدُ لم يشرع أم كانت له كيفية خاصة به، وهذا ما أبهم ولم يفسر؟!

ومن هنا نرى إن صيام يوم عاشوراء تاريخياً لم يثبت فرض وجوبه فضلاً عن

استحبابه أو فضل صيامه.

وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: ذُكر عند النبي صلى الله عليه وآله يوم عاشوراء فقال: ذلك يوم يصومه أهل الجاهلية، فمن شاء صامه ومن شاء تركه.

وما شاع ونقل - إن ثبت - هو محض توجيه وإرشاد من رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلمين حتى لا ينخدعوا بعقائد اليهود وأفكارهم ويتشبهوا بهم. فخلط الأمر على بعض المسلمين والرواة، حتى التبس الأمر على بعض فقهاء الجمهور. وأصبح الحكم على أنه أمر كُتب من السماء ونزل به الوحي، بل اختلفوا في حكم صيامه وما كان بما لا فائدة يعتديها تبعاً لاختلاف الروايات التي نقلوها، فقد أوجبه أبو حنيفة، وللشافعي فيه قولان، واكتفى أحمد بإيراد روايتين بل ذكر العيني في عمدة القارئ: اتفق العلماء على أن صوم يوم عاشوراء سنّة وليس بواجب. وهذا نتج من اختلاط بعض أهل المدينة باليهود، وحيث استقرار المسلمين كان فيها وأغلب الأحكام الإسلامية نزلت فيها وانتشرت منها، وكان الأنصار حينها الأكثر من المهاجرين، فطبع على جملة منهم صيام يوم عاشوراء كما صامه اليهود، بعد أن أصبح إشعاع الرسالة الإسلامية يسطع من المدينة إلى بقاع الأرض فنقلت الأخبار بلا قرائن ولا دلائل فاشتبه الحال. هذا إن لم نقل أو نطمئن أن لبني أمية الدور الأكبر في خلق هكذا أخبار وتفعيلها في المجتمع نكاية بالإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ومما يؤيد ذلك ما ذكره ابن الأثير في نهايته والطريحي في مجمع البحرين أن عاشوراء اسم إسلامي، أي ما كان قبل هذه الأمة. إنه يوم الحسين عليه السلام.

## صيام يوم عاشوراء فقهياً:

بعد أن عرفنا أنّ صيام يوم عاشوراء لم يثبت فرضه تاريخياً فضلاً عن فضله، فربما يقال هناك روايات عديدة وردت عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام وذكرت في كتبنا المعتبرة تدل على فضل صيام يوم عاشوراء، وهذا يدل على أن له أثراً سابقاً ووحياً ناطقاً.

قلت: إن هناك عمومات قطعية على أن الصوم من المستحبات المؤكدة التي حثّ عليها الشارع المقدس، بل ورد في الحديث القدسي: (الصوم لي وأنا أجازي به)، وأن الصوم جُنّة من النار، وأنه زكاة الأبدان، وبه يدخل العبد الجنة وغيرها كثير تدل على فضل عموم الصيام. ونعم ما قال بعض العلماء من أنه لو لم يكن في الصوم إلا الارتقاء عن حضيض حظوظ النفس البهيمية إلى ذروة التشبّه بالملائكة الروحانية لكفى به فضلاً ومنقبة وشرفاً.

من هنا فإن الصيام يستحب في كل وقت وفي كل يوم عدا ما وجب في شهر رمضان ما لم يَرد دليل على النهي والترك كصيام العيدين مثلاً، بل ربما يتأكد

وعلى علي بن الحسين

استحباب صيام يوم إذا ورد دليل على ذلك كصيام يوم الغدير مثلاً.

أما صيام يوم عاشوراء فقد اختلفت الروايات في صيامه عندنا، فمنها ما يدل على فضله واستحباب صيامه، ما روي عن أبي همام عن أبي الحسن عليه السلام قال: صام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عاشوراء[٢٣].

وعن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه، أن علياً قال: صوموا العاشوراء، التاسع والعاشر فإنه يكفر ذنوب سنة[٢٤].

وهذا يدل على أن عاشوراء هو اليوم التاسع والعاشر من المحرم. وما روي عن عبد الله بن ميمون القداح عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: صيام يوم عاشوراء كفارة سنة[٢٥]. وما ورد عن كثير النوّا عن أبي جعفر عليه السلام قال: لزقت السفينة يوم عاشوراء على الجودي، فأمر نوح عليه السلام من معه من الجن والإنس أن يصوموا ذلك اليوم، قال أبو جعفر عليه السلام: أتدرون ما هذا اليوم؟ هذا اليوم الذي تاب الله عز وجل فيه على آدم وحواء، هذا اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل فأغرق فرعون ومن معه، وهذا اليوم الذي غلب فيه موسى عليه السلام فرعون، وهذا اليوم الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام، وهذا اليوم الذي تاب الله فيه على قوم يونس، وهذا اليوم الذي ولد فيه عيسى بن مريم عليه السلام، وهذا اليوم الذي يقوم فيه القائم[٢٦] عليه السلام.

وأما ما يدل على ترك صيامه فقد ورد عن زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم جميعاً أنهما سألا أبا جعفر الباقر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء، فقال: كان صومه قبل شهر رمضان، فلما نزل شهر رمضان تُرك[٢٧].

وما ورد عن ابن عبد الملك قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صوم تاسوعاء وعاشوراء من شهر المحرم، فقال: تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم بكربلاء، واجتمع عليه خيل أهل الشام، وأناخوا عليه، وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بنواقل (بتوافر) الخيل وكثرتها. واستضعفوا فيه الحسين عليه السلام وأصحابه كرّم الله وجوههم، وأيقنوا أن لا يأتي الحسين ناصر، ولا يمده أهل العراق، ثم استعبر باكياً وقال: بأبي المستضعف الغريب، ثم قال: وأما يوم عاشوراء فيوم أصيب فيه الحسين عليه السلام صريعاً بين أصحابه، وأصحابه صرعى حوله، أفصوم يكون في ذلك اليوم؟ كلا ورب البيت الحرام ما هو يوم صوم، ما هو إلا يوم حزن ومصيبة دخلت على أهل السماء وأهل الأرض وجميع المؤمنين، ويوم فرح وسرور لابن مرجانة وآل زياد وأهل الشام، غضب الله عليهم وعلى ذرياتهم، وذلك يوم بكت فيه (عليه) جميع بقاع الأرض خلا بقعة الشام، فمن صام أو تبرّك به حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب، مسخوط عليه، ومن أدّخر إلى منزله فيه ذخيرة أعقبه الله تعالى نفاقاً في قلبه إلى يوم يلقاه، وانتزع البركة عنه وعن أهل بيته وولده، وشاركه الشيطان في جميع ذلك[٢٨].

وعن جعفر بن عيسى بن عبيد قال: سألت الرضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه، فقال عليه السلام: عن صوم ابن مرجانة تسألني ذلك يوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام، وهو يوم يتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وآله ويتشاءم به أهل الإسلام، واليوم الذي يتشاءم به أهل الإسلام لا يصام ولا يتبرك به، ويوم الاثنين يوم نحس قبض الله فيه نبيه صلى الله عليه وآله وما أصيب آل محمد إلا في يوم الاثنين فتشاءمنا به، وتبرك به عدونا، ويوم عاشوراء قتل الحسين عليه السلام وتبرك به ابن مرجانة، وتشاءم به آل محمد فمن صامهما

أو تبرك بهما لقي الله تبارك وتعالى ممسوخ القلب، وكان حشره مع الذين سنّوا صومهما وتبركوا بهما[٢٩].

وما روي عن زيد النرسي قال: سمعت عبيد بن زرارة يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء فقال: من صامه كان حظه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد، قال: قلت: وما كان حظهم من ذلك اليوم؟ قال عليه السلام: النار، أعاذنا الله من النار ومن عمل يقرب من النار[٣٠].

وما رواه نجية بن الحرث العطار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء فقال: صوم متروك بنزول شهر رمضان، والمتروك بدعة. قال نجية: فسألت أبا عبد الله عليه السلام من بعد أبيه عن ذلك فأجابني بمثل جواب أبيه ثم قال: أما إنه صوم يوم ما نزل به كتاب، ولا جرت به سنّة إلا سنّة آل زياد بقتل الحسين بن علي[٣١] عليهما السلام.

وما ورد عن زرارة عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: لا تصم (تصوموا) في يوم عاشوراء ولا عرفة بمكة...[٣٢] وما روي عن الحسين بن أبي غندر عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن صوم يوم عرفة، فقال: عيد من أعياد المسلمين، ويوم دعاء ومسألة؟! فقلت: فصوم يوم عاشوراء؟ قال: ذاك يوم قتل فيه الحسين عليه السلام، فإن كنت شامتاً فصم، ثم قال: إن آل أمية نذروا نذراً إن قتل الحسين عليه السلام أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً لهم، يصومون فيه شكراً، ويفرحون أولادهم، فصارت في آل أبي سفيان سنّة إلى اليوم، فلذلك يصومونه ويدخلون على أهاليهم وعيالاتهم الفرح ذلك اليوم، ثم قال: إن الصوم لا يكون للمصيبة، ولا يكون إلا شكراً للسلامة، وإن الحسين عليه السلام أصيب يوم عاشوراء فإن كنت فيمن أصيب بهم فلا تصم، وإن كنت شامتاً ممن سرّه سلامة بني أمية فصم شكراً لله تعالى[٣٣].

قال الشيخ الطوسي (قدس سره) في التهذيب: فالوجه في هذه الأحاديث إن من صام يوم عاشوراء على طريق الحزن بمصاب رسول الله صلى الله عليه وآله والجزع لما حلّ بعترته فقد أصاب، ومن صامه على ما يعتقد فيه مخالفونا من الفضل في صومه والتبرك به والاعتقاد لبركته وسعادته فقد أثم وأخطأ، ونسب هذا الجمع إلى أستاذه الشيخ المفيد (قدس سره). وقد أخذ هذا الجمع جملة من الفقهاء رضي الله عنهم وبنوا عليه، بل ظاهر الغنية لابن زهرة ادعى الإجماع عليه، وهذا الجمع فيه نظر لأنه جمع تبرعي لا شاهد عليه من نصّ أو رواية، بل ورد ما يخالفه كما في رواية الحسين بن أبي غندر إذ ورد فيها: إن الصوم لا يكون لمصيبة ولا يكون إلا شكراً للسلامة وإن الحسين عليه السلام أصيب يوم عاشوراء...

ومن خلال تتبع الأحداث بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وما عملته سياسة الدولة الأموية من جعل هذا اليوم - يوم عاشوراء - يوم الظفر والنصر وصاموه

شكراً على قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسنّوه عيداً لهم ولأتباعهم يلبسون فيه الثياب الجدد، ويوسعون على عيالهم، ويطعمونهم أفضل الطعام ويزينون نساءهم بأجمل الحلي، ويرقصون ويفرحون فيه، وجعلوه يوم بركة وسعد أخزاهم الله، حتى اختلقوا روايات في فضله.

ومن هنا يمكن حمل روايات استحباب صوم يوم عاشوراء على ما في الخدش في بعض إسنادها على التقية، حتى روايات نسخه بشهر رمضان جرياً على ما روته العامة. أما خبر كثير النوّا فإنه وإن كان بترياً عامياً كما ذكره الشيخ في رجاله وغيره، فقد ورد فيه الذم عدة مرات عن الإمام الصادق عليه السلام، كما رواه الكشي في رجاله، إذ تبرأ منه عليه السلام في الدنيا والآخرة، فإن خبره معارض بخبر جبلة المكية عن ميثم التمار بل عده من الأحاديث الموضوعة، ما رواه الصدوق في علله عن جبلة المكية قالت: سمعت ميثم التمار يقول: لتقتلن هذه الأمة ابن نبيها في المحرم لعشر يمضين منه، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة وأن ذلك لكائن قد سبق علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إلي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد أخبرني أنه يبكي عليه كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار والطير في جو السماء فتبكي عليه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض دماً ورماداً، ثم قال: وجبت لعنة الله على قتلة الحسين عليه السلام كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر، وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس، قالت جبلة: فبكى ميثم ثم قال: سيزعمون بحديث يضعونه إنه اليوم الذي تاب الله في على آدم عليه السلام وإنما تاب الله على آدم في ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود وإنما قبل الله توبته في ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت وإنما أخرجه الله من بطن الحوت في ذي القعدة، ويزعمون أنه اليوم الذي استوت سفينة نوح على الجودي وإنما استوت على الجودي في يوم الثامن عشر من ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي فلق فيه البحر لبني إسرائيل وإنما كان ذلك في شهر ربيع الأول، ثم قال ميثم: يا جبلة اعلمي أن للحسين بن علي عليهما السلام سيد الشهداء يوم القيامة ولأصحابه على سائر الشهداء درجة، يا جبلة إذا نظرت إلى الشمس حمراء كأنها دم عبيط فاعلمي أن سيدك الحسين قد قتل، قالت: فخرجت ذات يوم فرأيت الشمس على الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة فصحت حينئذ وبكيت وقلت: قد والله قتل سيدنا الحسين ابن علي عليهما السلام.

على أن روايات ترك صوم يوم عاشوراء وإن كان فيها إشارات ودلالات للنهي عن صومه إما مطلقاً أو كونه متروكاً وبدعة أو الصوم لا يكون لمصيبة ولكنها غير نقية السند. وربما يقال إنها لا تسقط عن التعارض إن قلنا به مع روايات استحباب صيامه لأن الأصحاب عملوا بها وبنوا جمعهم التبرعي عليها فلا يمكن إثبات حرمة الصيام في يوم عاشوراء عليها، ولا يمكن تخصيص العمومات القطعية في استحباب مطلق الصوم بها بعد حصر الحرمة في غيره. غايته الاحتياط في ترك صوم يوم عاشوراء فضلاً عن كراهته.

## صوم يوم عاشوراء عقائدياً بعد استشهاد الحسين عليه السلام:

بعد أن عرفنا أن لا دليلاً ناهضاً على

حرمة صيام يوم عاشوراء، بل غاية ما يمكن أن يقال الكراهة. إلا الشيخ يوسف البحراني في حدائقه أفتى بحرمة صيام يوم عاشوراء، وعلق المحقق النراقي في مستنده أنه في غاية الجودة، وعلل ذلك أنه لأجل الخصوصية، وإن لم يحرم من جهة مطلق الصوم.

أقول: إن هذا التعليل غاية في الروعة ويحكي ما في النفس، إذ استفاضت كتبنا المعتبرة بقول أئمة أهل البيت عليهم السلام: شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا. ومن غير شك أن رسول الله حزن وبكى في مولد الإمام الحسين عليه السلام عندما أخبره جبرئيل بما يفعله بنو أمية يوم عاشوراء بولده الحسين عليه السلام على أرض كربلاء، وكذا أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام كما ورد في كثير من الأخبار، وأن الإمام الحسن عليه السلام قال له: (لا يوم كيومك يا أبا عبد الله) عندما اغتم وحزن لما رآه يلفظ كبده من السم.

بل إن الإمام زين العابدين عليه السلام الذي شاهد الفاجعة لم تهدأ عيناه من البكاء على أبيه الحسين عليه السلام ولم يسكن الحزن والجزع عليه حتى عدّ من البكائين، وكذلك الأئمة من ولده عليهم السلام لم تهدأ لهم عين ولا سكن لهم خاطر إذا ذكر جدهم الحسين عليه السلام فأقاموا المآتم عليه، وحثوا شيعتهم ومواليهم على ذلك، وشجعوا الشعراء على النظم في الحسين عليه السلام والإنشاد وترقيق الصوت لإبكاء الناس وبيان مصيبة الحسين عليه السلام، وكرموهم مادياً ومعنوياً في الدنيا والآخرة، والأخبار بذلك بلغت حدّ الاستفاضة، كما ورد عن بعضهم عليهم السلام إنه إذا دخل شهر محرم لا يرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي منه عشرة أيام فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه جدي الحسين[٣٤] عليه السلام.

وعن دعبل قال: دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام في أيام عشر المحرم فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله... إلى أن قال: يا دعبل أحب أن تنشدني شعراً فإن هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت وأيام سرور كانت على أعدائنا وبخاصة بني أمية...[٣٥] وغيرها مما لا يسع المقام ذكره، فكان هذا ديدنهم في الحياة، وهذا سلوكهم في المجتمع، بل جعلوها جزءاً من رسالتهم إلى الناس ذكر مظلومية الحسين عليه السلام والحزن عليه لاسيما أيام المحرم.

قال تعالى: (ولكم في رسول الله أسوة حسنة) وبنص القرآن ثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم...) وقصد بالنفس علي أمير المؤمنين عليه السلام.

وورد عنهم عليهم السلام إنا كلنا واحد، أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد

وعلى أصحاب الحسين

وكلنا محمد[٣٦]، فالأسوة بهم عليهم السلام أسوة بأمير المؤمنين عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله الذي أمرنا الله عز وجل أن نتأسى به ونقتدي بسيرته، فإذا كان هذا سلوكهم وحالتهم وصفتهم عليهم السلام يوم عاشوراء من الحزن والغم والبكاء والجزع والنهي عن صومه، في حين نرى العكس عند أخبث طوائف العامة فرحاً وتبركاً وصياماً فيه وهذا الأمر لا يخفى على أحد. فهل من سنة الإقتداء بهم عليهم السلام صيام هذا اليوم؟ وهل من حسن المواساة التشبه ببني أمية وما سنّوه بين الناس؟ وهل يعد من شيعتهم من لم يحزن لحزنهم؟

ولهذا نرى أئمة أهل البيت عليهم السلام من خلال ما اقتطف من كلماتهم يؤكدون على ترك صيام يوم عاشوراء ومن كلماتهم عليهم السلام: عن صوم ابن مرجانة تسألني ذلك يوم صامه الأدعياء... هو صوم يتشاءم به آل محمد عليهم السلام، ويتشاءم به أهل الإسلام، من صامه كان حظه صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد ... وما حظهم... النار، ذلك يوم قتل فيه الحسين عليه السلام فإن كنت شامتاً فصم؟ أن الحسين أُصيب يوم عاشوراء فإن كنت ممن أُصيب به فلا تصم، وإن كنت شامتاً ممن سره سلامة بني أمية فصم شكراً لله تعالى. وكلماتهم عليهم السلام هذه تطابق سيرتهم ونهجهم بل يؤكدون عليهم السلام أنه صوم يوم ما نزل به كتاب، ولا جرت به سنّة إلا سنّة آل زياد بقتل الحسين عليه السلام، إن آل أمية نذروا نذراً إن قتل الحسين عليه السلام يتخذوا ذلك اليوم عيداً لهم يصومون فيه شكراً... ثم إن الصوم لا يكون للمصيبة ولا يكون إلا شكراً للسلامة، أما يوم عاشوراء فيوم أصيب فيه الحسين عليه السلام صريعاً بين أصحابه، وأصحابه صرعى حوله، أفصوم يكون في ذلك اليوم؟ كلا ورب البيت الحرام ما هو يوم صوم، وما هو إلا يوم حزن ومصيبة...

وفي الجملة إن تأكيدهم عليهم السلام على عدم التشبه بآل أمية وآل زياد في صيام هذا اليوم وإتباعهم، واستغلال هذا اليوم في تركيز سنّة بني أمية في المجتمع بصيامه إيفاءً بنذرهم بقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام، وربما أن الفعل وإن كان ذا مصلحة ولكن ينطبق على الترك عنوان آخر أرجح من الفعل أو يلازمه[٣٧]، وبهذا يدفع القول بالجمع بين الصوم وحسن العزاء والمصيبة وإظهار الجزع.

وعلى هذا فإن حرمة صيام يوم عاشوراء لأجل خصوصية مصاب سيد الشهداء عليه السلام أقرب لسيرة أئمتنا عليهم السلام وتوجههم، وسيرة علمائنا المتقدمين والمتأخرين منهم، إن لم نقل إنها سيرة عامة شيعة أهل البيت عليهم السلام ومواليهم.

ولا يرد ما قيل إن هذا مخالف للشهرة، بل لم يقل به أحد من الطائفة ومع ذلك أخبار استحباب مطلق الصوم معارضة لأن جميع ذلك إنما يرد لو قلنا بالتحريم بالمرة لا بقصد الخصوصية ولأجل أنه السنّة، وأما معه فلا نسلم المخالفة للشهرة ولا تعارضها أخبار مطلق الصوم[٣٨].

فعلى الموالي لأهل البيت عليهم السلام أن يظهر في هذا اليوم شدة حزنه وجزعه، وعظم مصيبته بسيد الشهداء عليه السلام وعدم التشبه بآل أمية وآل زياد في صيامه كاملاً، بل يستحب له أن يمسك عن المفطرات إلى العصر من غير تبيت للنية على أنه صوم حقيقي، حزناً وجزعاً ومواساة للحسين عليه السلام وآله، وإذا أراد إفطاره أن يكون من غير تشميت أي شماتة بمصاب الحسين عليه السلام وفرحه بمقتله والعياذ بالله اعتباراً برواية عبد الله بن سنان قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام يوم عاشوراء ودموعه تتحدر على عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: مم بكاؤك؟ فقال:

أفي غفلة أنت؟ أما علمت أن الحسين عليه السلام أصيب في مثل هذا اليوم؟ فقلت: ما قولك في صومه؟ فقال لي: صمه من غير تبيت، وافطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملا، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء فإنه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلت الهيجاء عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله وفي رواية وانكشفت الغمة عنهم ومنهم في الأرض ثلاثون قتيلاً يعز على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم ولو كان حياً لكان هو المعزى بهم، قال: وبكى الصادق عليه السلام حتى أخضلت لحيته بدموعه ولم يزل حزيناً كئيباً طول يومه ذلك وأنا معه أبكي لبكائه وأحزن لحزنه[٣٩].

وقد رأى جملة من الفقهاء حسن العمل بهذه الرواية لأجل اعتبار سندها، وموافقتها لآداب إظهار الجزع والمصيبة والمواساة اللازمة مراعاتها في يوم عاشوراء، كما أن الإمساك بهذه الصورة لا يعد صوماً.

وفي كلام الإمام الرضا عليه السلام لابن شبيب الختام، حيث قال عليه السلام: يا بن شبيب إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة[٤٠] ■

**الهوامش:**

(١) راجع: النهاية لابن الأثير، ولسان العرب لابن منظور، ومجمع البحرين للطريحي، وتاج العروس للزبيدي، والقاموس المحيط للفيروزآبادي.
(٢) جامع الأصول ٣٣/٦، سنن البيهقي ١٨٨/٤، تذكرة الفقهاء ٢٥٥/١.
(٣) منتهى المطلب للعلامة الحلي ٦١١/٢.
(٤) صحيح البخاري ٥٨/٣، وصحيح مسلم ٧٩٨/٢.
(٥) مجمع البيان للطبرسي ٢٧٣/٢.
(٦) انظر وسائل الشيعة للحر العاملي كتاب الصوم أبواب الصوم المندوب.
(٧) المصدر السابق.
(٨) المصدر السابق، وتاريخ جرجان للسهمي ص٣٤٤، مستدرك الوسائل للنوري ٥٢٣/٧، وغيرها.
(٩) انظر صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وتاريخ الطبري، وابن كثير.
(١٠) تاريخ الطبري ١٢٨/١.
(١١) المصدر السابق ١٣١/١.
(١٢) انظر علل الشرائع للصدوق.
(١٣) لسان العرب لابن منظور ٥٧٠/٤.
(١٤) أخبار أصبهان للأصبهاني ٢١٠/٢.
(١٥) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٨٥/١.
(١٦) تاج العروس للزبيدي ٢٣/٥.
(١٧) انظر وسائل الشيعة كتاب الصوم أبواب الصوم المندوب.
(١٨) البداية والنهاية لابن كثير ٣١٢/٣، وانظر منتهى المطلب للعلامة الحلي.
(١٩) انظر وسائل الشيعة كتاب الصوم أبواب الصوم المندوب.
(٢٠) المصدر السابق.
(٢١) المصدر السابق.
(٢٢) انظر منتهى المطلب للعلامة الحلي.
(٢٣) انظر وسائل الشيعة كتاب الصوم أبواب الصوم المندوب.
(٢٤) المصدر السابق.
(٢٥) المصدر السابق.
(٢٦) المصدر السابق.
(٢٧) المصدر السابق.
(٢٨) المصدر السابق.
(٢٩) المصدر السابق.
(٣٠) المصدر السابق.
(٣١) المصدر السابق.
(٣٢) المصدر السابق.
(٣٣) المصدر السابق.
(٣٤) انظر المجالس السنية للسيد محسن الأمين.
(٣٥) المصدر السابق.
(٣٦) بحار الأنوار ٧/٢٦.
(٣٧) فقه الصادق للروحاني ٣٣٢/٨.
(٣٨) انظر مستند الشيعة للنراقي.
(٣٩) انظر وسائل الشيعة كتاب الصوم أبواب الصوم المندوب.
(٤٠) الأمالي للصدوق ص١٩٣.

# عبد الرزاق الموسوي المقرم

## رجل التاريخ والمنبر

• حيدر المالكي

ينابيع رجل نذر نفسه الزكية للحسين عليه السلام، وسخر يراعه المعطاء لخدمة قضية الحسين عليه السلام، فكانت له مع أبي الضيم صلة حميمة، صلة الارتباط الروحي، وصلة النسب الذي من خلاله يرتقي إليه عليه السلام.

إنه عبد الرزاق المقرم النجفي، فهو عبد الرزاق بن محمد بن عباس بن حسن ابن قاسم بن حسون بن سعيد بن حسن بن كمال الدين بن حسن بن سعيد بن ثابت ابن يحيى بن دويس بن عاصم بن حسن بن محمد بن علي بن سالم بن علي بن صبره ابن موسى العصيم بن علي[1] بن الحسين[2] ابن علي المعروف بالخواري[3] بن الحسن الثائر[4] بن جعفر[5] بن موسى الكاظم عليه السلام ابن محمد الباقر عليه السلام بن زين العابدين عليه السلام ابن الحسين الشهيد عليه السلام.

بهذه الوسائط الطاهرة والأصلاب المطهرة يصل السيد المقرم بجده كعبة الأحرار أبي عبد الله الحسين عليه السلام ولسان حاله يقول:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

لقد استوعب سيدنا الأجل فكرة الحسين عليه السلام، وفهم معناها الجوهري، فراح يجد البحث والتقصي في كتب التاريخ والسيرة، فيسبر أغوارها ويخوض غمارها مزوداً بإمكاناته الذهنية العالية، وملكاته العلمية التي أهلته كي يميز بين الغث والسمين، يغربل الروايات فينتقي الجيد، ويزيح ستار الظن عن عين الحقيقة، فيثبت بأدلته التاريخية ما كتبته يد الحقيقة، والذي انزوى وراء ما وضعته اليد الخؤون.

اليد التي استجدت من الحكام والسلاطين فسطرت بالأقلام الزور، خدمة للطغاة، وطلباً لمرضاة المخلوق دون رضا الخالق، وكثير ما غيرت من الحقائق لتضفي المشروعية على هؤلاء الذين تمكنوا من رقاب المسلمين، فكانت وقفات السيد المقرم وقفات مشهودة لم يفلت منه حديث إلا ورصده ينتزع منه ما يكشف تلك الكتابات الزائفة، ويعري قرارات الحكام المستبدة.

وخير مثال على ذلك ما بحثه في كتابه (سكينة بنت الحسين) حيث أثبت اختلاق رواية زواج السيدة سكينة من مصعب بن الزبير، وأكد على نفي إقامتها مجلساً شعرياً يتبارى فيه الشعراء فقد بيّن أن ذلك من موضوعات الزبير بن بكار.

لقد كان كربلاء بوابة طالما ولج في عالمها، فتارة باحث محقق ومؤرخ مدقق ـ

كما ذكرنا ـ وأخرى منبري من الطراز الأول، يرتقي أعواد المنبر فيفيض لسانه بمنطق الحق، ويسيل منه زبد الفصاحة، تعلوه سيماء الصالحين، طلق المحيا، هادئ الطبع يميل إلى البشاشة، نحيف في قامة معتدلة، قد أخذت منه الدراسة مأخذها، وكانت داره مرتاداً لذوي الفضل وأهل الدين وأرباب الأدب، حلبة يلتقي على صعيدها الفرسان وهو صاحب الزمام لا يشغله توديع الصادر عن تحية الوارد.

وما أن يحل المحرم في كل عام حتى تجده كئيباً قد هيّج المصاب أحزانه وأذكت جمرة الفاجعة نيرانه يبكي قتلى الطفوف بدمع مسكوب ولب مسلوب، وله يوم العاشر من المحرم في كربلاء مجلس مذكور وفضله فيه مشهور، فهو من مؤسسي موكب النجف الأشرف الذي يعد من المواكب الضخمة المشهود لها يترقبه الناس في كل عام لما له من حسن تنظيم وسخاء بذل، وكثرة إظهار للجزع والحزن، فيقرأ فيه صبيحة العاشر من المحرم مقتل الإمام الحسين عليه السلام بصوت شجي ونبرات يتناغم معها الحزن، وهيأة تبعث على البكاء، فلا تكاد العيون تنظر إليه حتى تتبعث عبراتها، وتتصاعد من النفوس صيحاتها، فهو المعزى وهو المعزي.

وأرى من الوفاء أن أذكر أن هذا الموكب قد تأسس بجهود الخيرين من أبناء مدينة النجف الأشرف أمثال المرحوم الحاج محمد صالح الجوهرجي والسيد هاشم الصراف وقد سار على منوالهم الحاج مهدي درويش والحاج خضر سياب والحاج رشيد حسوة والحاج رسول عبد الزهرة النجار (رحمهم الله) ومن الباقين الحاج عزيز حسوة والسيد عبد الأمير زوين والحاج جبار حلبوص (حفظهم الله) وعدد آخر لم يسعني ذكر أسمائهم ممن سجلوا في سجل المجد والخلود من خدمة تاج التضحية وحامي حمى

**أخذت هذه الصورة في مرقد الحر الرياحي صبيحة الحادي عشر من المحرم سنة ١٩٦٧م، ويبدو فيها الرادود أبو حبيب شلاش وهو يقرأ قصيدة حسينية بوجود السيد عبد الرزاق المقرم المشار إليه.**

الإسلام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

يحدث الحاج طاهر شلاش[٦] عن ذكرياته مع السيد المقرم فيقول: استدعاني السيد عبد الرزاق المقرم في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٩٦٥م وطلب مني أن أقرأ له من القصائد التي سوف أقوم بإلقائها لموكب النجف الأشرف في كربلاء وذلك لصعوبة وصوله إلى حرم الحسين عليه السلام بسبب اكتضاضه بالناس ليلة العاشر ويومه فأحب أن يسمع ذلك مني مباشرة فوضع ستاراً وأجلس خلفه زوجته العلوية أم محمد حسين ثم جلس معي وأمرني بالقراءة فكنت أقرأ وأرى الدموع تتحدر على خديه ولحيته الكريمة، وأسمع أنيناً خلف الستر يبعث بالأسى فلا يسعني إلا مشاركتهم بالبكاء.

وبذلك يشابه السيد أجداده الأطهار فهذا الإمام الصادق عليه السلام ما إن يعلم بشاعر يأتي إليه ومعه قصيدة في رثاء جده الحسين عليه السلام حتى يضرب الستر بينه وبين عياله ويأمر الشاعر بالقراءة فيبكي عليه السلام حتى تخضل لحيته بدموع عينيه وتبكي نساؤه حزناً لمصاب من أبكى السماء قبل الأرض.

رحل السيد عبد الرزاق المقرم إلى جوار ربه في شهر المصائب والأحزان المحرم في السابع عشر منه في سنة ١٣٩١هـ بعد صراعه مع الأمراض والعلل وكان له من العمر سبعاً وسبعين سنة إذ كان مولده المبارك سنة ١٣١٦هـ وبعد رحيله ارتقى المنبر يوم العاشر في موكب النجف الأشرف سماحة الشهيد السعيد المجاهد السيد محمد باقر الحكيم (قدست روحه الطاهرة) إذ كان يقرأ المقتل سائراً على منوال السيد المقرم، وقد استمر في عطائه حتى وهو بعيد عن كربلاء حيث كان يقرؤه لموكب النجف في قم المقدسة.

وقد رثى عميد المنبر الحسيني الشيخ أحمد الوائلي (رحمه الله) السيد المقرم بقوله:

إيه عبد الرزاق يا ألق الفكر
وروح الإيمان والأخلاق
إن قبراً حللت فيه لروض
سوف تبقى به ليوم التلاق
فإذا ما بعثت حفت بك الأعمـ
ـال بيضاء حلوة الإشراق
فحسان الأصول والفقه والتـ
ـاريخ قلدن منك بالأعناق
ومدى الطف يوم سجلت فيه
لحسين وآله والرفاق
صفحات من التبحر والتمحيص
تزري بأنفس الأعلاق
في حسين وسوف تلقى حسيناً
وترى الحوض مترعاً والساقي
هذه عندك الشفيع وما
عند إلهي خير وأبقى البواقي
مستميحاً عطاء ربك أرخ:
(رحت عبد الرزاق للرزاق)

الهوامش:

(١) هو الأمير بوادي القرى، ثم صار نقيب النقباء بالمدينة وكان يعرف بـ(ابن ناعمة الحزبية) وله عقب كثير.

(٢) ويكنى بأبي إدريس صاحب فرفرا (موضع بالحجاز) وهو المعروف بالنجدة والكرم.

(٣) هو الأمير بالفرع (موضع بالحجاز) أعقب اثني عشر رجلاً ما بين مقل ومكثر.

(٤) وهو المقتول باليمامة بعد أن ثار على المعتضد وغلب على المدينة.

(٥) أول من لقب بالخواري، ويقال لذريته: الخواريون، نسبة إلى وادٍ بالمدينة المنورة يسمى خوار.

(٦) الحاج طاهر بن أمين آل شلاش النجفي المشهور بأبي حبيب ممن تشرفوا بخدمة الحسين، بدأ بقراءة القصائد بعد وفاة والده الرادود أمين شلاش عام ١٩٦٥م واستمر في عطائه الدائم يقرأ لموكب النجف الأشرف في كربلاء المقدسة ليلة العاشر ويومه لغاية عام ١٩٨٠م حيث منع من إقامة تلك الشعائر.

**يظهر في الصورتين: سماحة آية الله الشهيد السعيد السيد عبد الصاحب الحكيم**
**ومعه كوكبة من المؤمنين أثناء توجهم لزيارة الإمام الحسين عليه السلام**
**في ذكرى الأربعينية في ستينيات القرن الماضي**

# عينية السيد الحميري

• د. حسن الخاقاني

لأم عمرو باللوى مربعٍ ... طامسة أعلامها بلقع

تروح عنه الطير وحشيةً ... والأسد من خيفته تفزع

برسم دار ما بها مونس ... إلاّ صلال في الثرى وقع

رقش يخاف الموت من نفثها ... والسم في أنيابها منقع

لما وقفن العيس في رسمه ... والعين من عرفانه تدمع

ذكرت ما قد كنت ألهو به ... قبت والقلب شج موجع

كأن بالنار لما شغفني ... من حب أروى كبدي تلذع

## السيد الحميري

هو:إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، مع بعض خلاف، إلا أن الاتفاق حاصل على الارتفاع به إلى يزيد بن ربيعة بن مفرغ الشاعر الحميري الشهير الذي أقذع في هجاء بني زياد ونفاهم عن آل حرب[1].

وانتساب السيد إلى حمير ثابت لم يسر اليه شك، وحمير قبيلة عربية يمانية، متأصلة في مجدها وسؤددها ومكانتها الاجتماعية بين القبائل.

ونسب السيد من الأمهات يرتفع إلى الأزد، فأمه حدانية تنتمي إلى حدان بن شمس بن عمر الأزدي، والأزد كحمير في المجد، ولذلك افتخر السيد بهذا النسب قائلا:

إن تسأليني بقومي تسألي رجلاً
في ذروة العز من أحياء ذي يمن
حولي بها ذو كلاع في منازلها
وذو رعين وهمدان وذو يزن
والأزد أزد عُمان الأكرمون اذا
عدت مآثرهم في سالف الزمن

## مولـــــده

ولد السيد الحميري في عُمان سنة ١٠٥هـ على الأرجح فسمي إسماعيل، وكني (بأبي عامر، أو بأبي هاشم، ولقب بالسيد، وهو لقب يدل على ذوق وحسن اختيار في أبويه)[2]، وقد كانا خارجيين من اباضية عُمان، وقد لاقى من جراء هذا ألماً شديداً في صباه، حينما كان يسمع من أبويه سبَّ علي عليه السلام، فكان يهجر البيت ويهيم حتى يجبره الجوع على الرجوع (وقد كان يؤذيه ويحز في نفسه ان يسمع سبّ أبويه للإمام علي عليه السلام ولعله حاول إقناعهما بالإقلاع عن ذلك فلم يفلح، فهجاهما)[3].

## نشأته وتشيعه

نشأ في البصرة[4]، وهي مدينة كانت تعج بمختلف التيارات الفكرية، الناشئة فيها أو الوافدة عليها، بحكم موقعها، واختلاط أجناس مختلفة فيها من البشر، وكان فيها متسع للحجاج والمجادلة بين حملة تلك الأفكار، أما السيد فقد انحاز فيها إلى التشيع[5]، مفارقاً مذهب أبويه الخارجيين، وكان في اول تشيعه كيسانياً يدين بإمامة محمد بن الحنفية بعد أبيه علي عليه السلام وأخويه الحسن والحسين عليهما السلام، مؤمناً بغيبته في جبل رضوى، وله في ذلك شعر كثير. لكنه تحول عن مذهبه هذا إلى الإمامية، بعد أن ناظره الإمام جعفر الصادق عليه السلام ودله على الحق.

وهنا تختلف الروايات، فقد ذكر جمع من العلماء منهم (ابن المعتز، وابن شاكر الكتبي، والأربلي، وابن شهرآشوب، والنوبختي، والمجلسي. ان السيد ترك مذهب الكيسانية واعتنق مذهب الإمامية من الشيعة، وان هذا التحول في عقيدته نتيجة لقائه بالإمام الصادق من الشيعة الذي جادله في أمر بن الحنفية وبيّن له فساد رأيه في أمر رجعته، فألزمه الحجة فتاب عما كان فيه)[6] وقد قال السيد في ذلك:

تجعفرت باسم الله والله اكبر
وأيقنت أن الله يعفو ويغفر
ويثبت مهما شاء ربي بأمره
ويمحو ويقضي في الأمور ويقدر

إلا أن أبا الفرج الأصفهاني، صاحب كتاب الأغاني، وهو من أهم المؤرخين ممن نقل لنا اخبار السيد وشعره ينكر كل هذا بحجج قوية، وينفي صحة الأبيات ويعدها من المنحول عليه وهو كثير ويعتقد بانه قد ظل على كيسانيته[٧].

ولكننا نجد اهتمام الشيعة واحترامهم شعر السيد وصدق عاطفته فيه فقد قال له الإمام الصادق عليه السلام: (سمتك أمك سيداً ووفقت في ذلك وأنت سيد الشعراء)[٨].

خصائص شعره: اجتمعت في شعر السيد الحميري خصائص عديدة، وضعته في مقدمة الشعر العربي عبر عصوره، وصرفت اهتمام الناس اليه، وفيهم العلماء والأدباء، برغم التعارض المذهبي الذي كان يفرق بين عقائدهم. ولعل (أهم ما يميز شعر السيد هو قوة الطبع، ونقاء اللفظ والبعد عن التكلف بعداً كان يقرب بينه وبين نفوس الناس، لا يكاد يقف بينه وبينهم حائل)[٩].

وقد كان السيد يتقصد أن يجعل شعره سهلاً قريب المأخذ لكي يتعمق في القلوب والعواطف (فالسهولة هي الطابع المميز لشعر السيد وهي سهولة متعمدة مقصودة)[١٠] ولكن السهولة لا تعني العنف أو الركاكة. فقد كان شعره جزلاً، قوياً، مؤثراً[١١]، وهو ما رفعه في أعين النقاد كالأصمعي الذي قال عنه: لولا مذهبه ولولا ما في شعره، ما قدمت عليه أحداً من طبقته[١٢]، وكان الجاحظ قد عده من المطبوعين على الشعر من المولودين وهم بشار العقيلي والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن أبي عيينة[١٣].

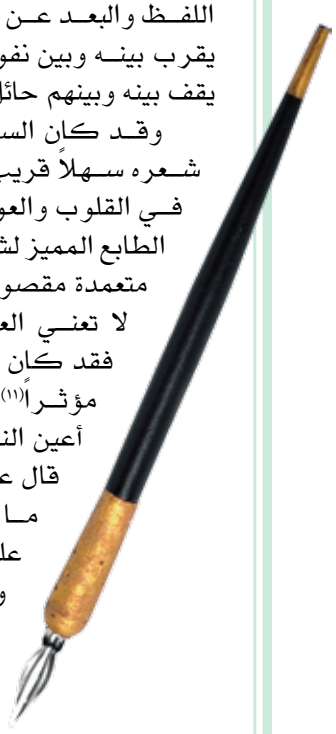

وقد عرف السيد بأنه من المكثرين[١٤] في الشعر، المطبوعين عليه، لا يتأبى عليه نظم في معنى أراده، كما عرف بقدرته على نظم المعنى الواحد في قصائد عديدة (وحسبك أن العلامة الأميني ذكر له ثلاثا وعشرين قصيدة حول حديث الغدير وحده)[١٥] وما كان ذلك منه إلا لأن (استجابة الشعر له استجابة عجيبة، حتى كأنه يفيض عنه فيض الماء عن عيونه، وسهولته ويسره كانت أصل القوة التي اكتسبها شعر السيد وكان قول الشعر عنده سهلاً قريباً حتى كثر شعره كثرة تذهب مذهب الأمثال)[١٦].

وفوق هذا، (فالسيد الحميري شاعر مغلق، مطبوع، جيد الشعر، إلى أبعد حد، كثير القصيد)[١٧] وكثرة القصيد لدى السيد لها أسبابها، ومنها قدرته الفائقة على توليد المعاني، وتكرار المعنى الواحد، سعياً منه إلى بث هذا المعنى بين الناس وتثبيته في عقولهم وعواطفهم، ومنها حرصه على تسجيل مناقب آل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام علي عليه السلام (فقد كان السيد الحميري من أكثر شعراء الشيعة ذكراً لمناقب علي)[١٨].

وهذا أمر كان مرتبطاً أشد الارتباط بصدق عاطفته، وحبه، وإخلاصه الذي نشأ عليه، فقد كان (يصدر عن عاطفة صادقة، جياشة في مدحه للعلويين ورثائه لهم، وبقدر صدقه هذا، كانت قسوته في هجاء من كان يرى فيه الخصومة لهم، ولكن السيد على كرهه لهؤلاء الخصوم وقسوته عليهم لم يكن ليفحش في هجائه، ولم يكن ليتناول أعراض خصومه بالتجريح والتشهير كما كان يفعل بعض شعراء

عصره كبشار مثلاً)[١٩] ولكنه حين أنف عن تناول الأعراض بالتجريح والتشهير فقد سلك مسلكاً أشد ايلاماً وأعظم زقعاً على مهجوّيه فقد (أقض المضاجع وملأ قلوب السادة فرقاً.. وهو يسلك مسلك النذر والسخر ويختار له الخفيف المرقص من الأوزان غالباً ليكون أعون على الحفظ والذيوع وفي (الأغاني) كثير من هذا الهجاء)[٢٠].

وقد أدى الخلاف في العقيدة بالسيد إلى الدخول في كثير من الخصومات، فقد توجه بهجائه إلى بني أمية جميعاً، ثم هادن العباسيين إلى عهد المهدي والرشيد. وأما شعراء عصره فقد دخل - كما دخل أقرانه من شعراء الشيعة - في خصومات مع مخالفيهم، ولاسيما ان الخلاف المذهبي يناظره ويدعمه خلاف سياسي (وقد ترتب على مثل هذا الشعر ظهور نوع من النقائض بين شعراء العلويين والعباسيين، ترى فيها الحجة تدفع، والبرهان يبطل البرهان، واجتهد كل فريق في الاستناد إلى القران والحديث والسنة والاجماع لتأييد وجهة نظره)[٢١] وهو أمر ترك آثاراً عديدة منها ايجابية، حركت الجدال الفكري وتقدمت بالعلوم الكلامية، وطورت أسس الاستنباط وقوة الحجة، ومنها سلبية: حولت الشعر إلى ساحة تتصارع فيها الاتجاهات العقلية المفارقة لطبيعة الشعر العربي المعروف بغنائيته. غير ان هذا لم يكن ليقلل من مكانة السيد الحميري في نفوس الناس، ونقاد الأدب، فقد كان الاعجاب به واسعاً عاماً (ولم يكن الاعجاب وقفاً على العلماء، فمن أهل البادية من كان يعجب به وإنا لنسمع تميمياً يقول عن السيد: (هو أحد المطبوعين، وهو والله أشعر من صاحبنا) يعني أنه أشعر من جرير)[٢٢].

ولاشك أنه اعجاب بحسن الفن. الذي يهيمن على الذوق السليم، مهما اختلفت الآراء، ومهما فرقت بين النفوس العقائد والمذاهب، اعجاب بصدق العاطفة الجياشة، والحب المخلص لآل البيت عليهم السلام اذ كان اللسان المعبر عما حصل بهم من مصائب، وما نالهم من نكبات على مر الدهور (وفي أخبار السيد للمرزباني أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أخذ بالبكاء بعد قتل زيد، ثم أنشد شعر السيد الذي يقول في أوله:

**ابتدأني قائلاً**

**روى عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال: دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى الجواد(ع) وأنا أريد أن أسأله عن القائم هل هو المهدي أو غيره؟**

**فابتدأني قائلاً: يا أبا القاسم إن القائم منّا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمداً بالنبوة وخصنا بالإمامة إنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وإن الله تبارك وتعالى ليصلح له أمره في ليلة كما أصلح أمر كليمه موسى، إذ ذهب يقتبس ناراً فرجع وهو رسول نبي، ثم قال(ع): أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج.**

لأم عمرو باللوى مربع

فسمع نحيب من وراء الستور، ونساء يبكين، فجعل يقول: (شكراً لك يا إسماعيل قولك...)[٢٣] وقد حرص الأئمة بعد الصادق عليه السلام على إظهار إعجابهم بالسيد وترحمهم عليه بعد موته، وحرصهم على حفظ أشعاره، وحثهم الشيعة على حفظها، وقراءتها، وخاصة قصيدته العينية المشهورة التي مطلعها: لأم عمرو[٢٤]. وهو ما دعانا إلى ولوج هذا السبيل راجين حسن القبول إن شاء الله.

## وفـــــاته

توفي في سنة ١٧٣هـ على أرجح الأقوال.

## القصـــيدة

لأم عمرو باللوى مربع
طامسة أعلامها بلقع
تروح عنه الطير وحشيةً
والأسد من خيفته تفزع
برسم دار ما بها مونس
إلاّ صلال في الثرى وقّع
رقش يخاف الموت من نفثها
والسم في أنيابها منقع
لما وقفن العيس في رسمه
والعين من عرفانه تدمع
ذكرت ما قد كنت ألهو به
قبت والقلب شج موجع
كأن بالنار لما شفّني
من حب أروى كبدي تلذع
عجبت من قوم أتوا احمدا
بخطة ليس لها موضع
قالوا له لو شئت أعلمتنا
إلى من الغاية والمفزع
اذا توفيت وفارقتنا
وفيهم في الملك من يطمع
فقال لو أعلمتكم مفزعاً
ماذا عسيتم فيه ان تصنعوا
صنيع أهل العجل اذ فارقوا
هرون فالترك له يسمع
وفي الذي قال بيان لمن
كان له أذن بها يسمع
ثم أتته بعد ذا عزمة
من ربه ليس لها مدفع
أبلغ والا لم تكن مبلغاً
والله منهم عاصم يمنع
فعندها قام النبي الذي
كان بما يأمره يصدع
يخطب مأموراً وفي كفه
كف علي نورها يلمع
رافعها أكرم بكف الذي
يرفع والكف التي ترفع
يقول والأملاك من حوله
والله فيهم شاهد يسمع
من كنت مولاه فهذا له
مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا
فاتهموه وانحنت منهم
على خلاف الصادق الأضلع
وضل قوم غاضهم قوله
كأنما آنافهم يجدع
حتى اذا واروه في قبره
وانصرفوا من دفنه ضيعوا
ما قال بالأمس وأوصى به
واشتروا الضر بما ينفع
وقطعوا أرحامه بعده
فسوف يجزون بما قطعوا
وازمعوا عذراً بمولاهم
تباً لما كانوا به أزمعوا
لا هم عليه يردوا حوضه
غدا ولا هو فيهم يشفع

حـوض له مـا بيـن صنعا إلى
أيلـة أرض الشـام أو اوسـع
ينصـب فيـه علـم للهـدى
والحـوض مـن ماء لـه مترع
يفيـض مـن رحمتـه كوثـر
أبيـض كالفضـة أو أنصـع
حصـاه ياقـوت ومرجانـه
ولؤلـؤ لـم تجنـه إصبـع
بطحـاؤه مسـك وحافاتـه
يهتـز منهـا مونـق مونـع
أخضر مـا دون الجنى ناضر
وفاقـع اصفـر مـا يطلـع
والعطـر والريحـان أنواعـه
تسـطع إن هبّـت بـه زعـزع
ريـح مـن الجنـة مأمـورة
دائمـة ليـس لهـا منـزع
اذا مرتـه فـاح مـن ريحـه
ازكى من المسك اذا يسطع
فيـه أباريـق وقدحانـه
يـذب عنهـا الأنـزع الأصلـع
يـذب عنهـا ابـن أبـي طالب
ذيـك حربـى ابـل تشـرع
إذا دنـوا منه لكي يشـربوا
قيل لهـم تباً لكـم فارجعوا
دونكمـوا فالتمسـوا منهلاً
يرويكـم أو مطمعـا يشـبع
هـذا لمـن والـى بنـي أحمد
ولـم يكـن غيرهـم يتبـع
فالفـوز للشـارب من حوضه
والويـل والـذل لمـن يمنـع
فالناس يوم الحشـر ورياتهم
خمـس فمنهـم هالـك أربـع
قائدهـا العجـل وفرعونهـا
وسـامري الأمـة المفظـع
ومـارق مـن دينـه مخـرج
أسـود عبـد لكـع أوكـع
ورايـة قائدهـا وجهـه
كأنـه الشـمس اذا تطلـع
غداً يلاقـي المصطفى حيدر
ورايـة الحمـد لـه ترفـع
مولـى لـه الجنـة مأمـورة
والنـار مـن إجلالـه تفـزع
إمـام صـدق ولـه شـيعة
يرووا من الحوض ولم يمنعوا
بـذاك جـاء الوحي مـن ربنا
يـا شـيعة الحق فـلا تجزعوا

ديوان السيد الحميري: ٢٦١.

## التحليـــل

يمكـن تقسـيم القصيدة علـى ثلاثة محـاور رئيسـة، مثلـت وحـدات بنائيـة متعاضـدة ضمـن الوحدة البنائيـة الكبرى التي تسـتند إلـى مرجعيـة (التضـاد) التي سيأتي بيانها لاحقاً.

أمـا المحـاور الرئيسـة للقصيدة فهي كالآتي:

الأول: صورة الربع، وتستغرق الأبيات السبعة الأول من القصيدة.

الثانـي: قضية الولايـة واغتصاب حق الإمام علي عليه السلام من البيت ٨-٢٦.

الثالث: صـورة الحوض من البيت ٢٧ إلى نهاية القصيدة.

## المحور الأول: صورة الربع

قد تبـدو صـورة الربع فـي القصيدة مجرد بداية تقليدية تنسـجم مع البناء الفني الذي سـارت عليـه القصيدة العربيـة غالباً منذ عصرهـا الجاهلي من حيـث الوقوف على الأطلال، ومحاورة آثارها الدارسات، واسـتنطاقها، لكـن التعمـق فـي تحليـل

مكونات هذا الوقوف تكشف عن استعمال خاص بتوظيف عناصر الوقوف التقليدية لخدمة غرض القصيدة الذي أنشئت من أجله، فقد اكتسى هذا الربع كل صفات الجفاف والوحشة المتمثلة بالعلامات: طامسة أعلامها، يلقع، تروح عنه الطير، الأسد تفزع، ما بها مؤنس صلال الثرى.

فرسم الدار هي بقايا طامسة، مهجورة، تمثل عنصراً منفرّاً، طارداً: تروح عنه الطير، أي انه يندرج ضمن ما يمثله من سياق سلبي تجاه الحياة، ويمثل في الوقت نفسه، عنصر جذب لكل ما هو سلبي ممثلاً في: الصلال الموصوفة بانها رقش يخاف الموت من نفثها، فهي أشد وقعاً من الموت نفسه، فصورة الربع هي صورة موحشة كان الموت أخف منها وطأة، وعلى هذا، فهي لا تنتمي إلى صورة الطلل المعهودة في القصيدة العربية التقليدية من حيث انه يمثل ذكريات حسب معنى، فيثير الشجون والعواطف الرقيقة التي غيبها طول الزمان، فأم عمرو ليست كبقية الحبيبات التي يكون تذكرها مدعاة لإثارة أجواء الذكرى الحبيبة.

بل هو على النقيض من ذلك اذ يبدو أنه يمثل ذكرى سيئة قرنت بالصلال، وهي الذكور من أفراخ الأفاعي أسرع حركة وأشد فتكا، ولم يكن مجيؤها (ذكوراً) أمراً عفوياً عابراً، وإنما هي رمز مقصود، وإن كان لا شعورياً، أي أنه رمز بنائي يكني عن منكري الولاية الآتي ذكرهم في القصيدة.

وبناء على ما أنتجه التحليل من تحديد لهذه العناصر المكونة للبيئة العامة للوحة الطلل. يمكن القول ان الوظيفة التي يؤديها المحور الأول هي بالتأكيد وظيفة سلبية تقوم على رسم صورة الموت والوحشة والجفاف إذ اجتمعت كل العناصر العاملة في هذا المحور على تجسيد هذه الصورة، وتحديد ملامحها لتعطيها قوة اكثر في الإيحاء والتأثير، وهي عموماً صورة نقيضة لصورة الحوض المجسدة في المحور الثالث من القصيدة.

## المحور الثاني: قضية الولاية

ويبدأ في البيت الثامن:

قالوا له لو شئت أعلمتنا
إلى من الغاية والمفزع

وهذا المحور ذو وضيفة بيانية، أي انه يقدم البيانات الواقعية، المفضية إلى المحور الثالث لتكتمل صورة التضاد، وقد قام البناء هنا على مقاربة سردية تستند إلى الواقعية التاريخية المسجلة. أي ان السرد هنا لم يكن إنجازاً إبداعياً عبر مقترب التخييل، بقدر ما كان استرجعاً تاريخياً جاهزاً، ولكنه مع هذا، استطاع أن يستفيد من طاقة عنصر الحوار في صورته البسيطة، باستعمال الفعل (قال) وتنويعاته، من قبل سارد خارجي كلي العلم، وهو هنا الشاعر نفسه، ففي البيت التاسع يبدأ بالفعل: قالوا، لينقل إلى المتلقي صوتين في آن واحد: صوت الصحابة، وصوت النبي ﷺ في رده عليهم في البيت الحادي عشر:

فقال لو أعلمتكم مفزعاً

ماذا عسيتم فيه أن تصنعوا

ثم يتدخل صوت الراوي ثانية، في الأبيات ١٣-١٦ موجزاً وحدات سردية متتابعة، ذات انتماء تاريخي مستفيداً من الآية الكريمة: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) لينتقل في الرابع عشر إلى رسم (مشهد سردي) يقوم على متابعة جريان الفعل المتحقق بشكل وحدات سردية هي: يخطب (أي النبي)، في كفه كف علي، رافعها، يقول. والفعل (يقول) يوصل السرد إلى عقدة رنية في القضية كلها، فمقول القول هو البيت:

من كنت مولاه فهذا له

مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا

وهو القول الذي يفضي إلى ظهور المخالفة ممثلة بالنفي: فلم يرضوا ولم يقنعوا، وهي مخالفة تتطور في الأبيات اللاحقة بمجموعة من الأفعال التي تكمل بناء الحدث في الأبيات الخمسة اللاحقة، وصولاً إلى النفي:

لا هم عليه يردوا حوضه

غدا ولا هو فيهم يشفع

وهنا تتحقق القطيعة التامة، وبها يختتم هذا المحور بكلمة (حوض) التي ستكون مفتاحاً لمحور جديد.

## المحور الثالث: صورة الحوض

يمثل هذا المحور المرتكز الرئيسي للقصيدة اذ يبدأ انفتاحه بذكر كلمة (حوض) في البيت ٢٦ ليبدأ البيت بكلمة (حوض) أيضا، لكنها تقترن بوصف واسع مصدره المخيلة المستندة إلى الروايات والأخبار الواردة بهذا الشأن، ويحاول الوصف الإحاطة التامة بكل ما يتعلق بهذا الحوض. فالبيت ٢٧ يتصدى لتحديد المساحة التي تمتد ما بين صنعا إلى ايلة الشام، أو اوسع لتمثل هذا الحوض، والأبيات الأخرى تتقصى الصفات المتعددة، الخارجية الظاهرة، والتكوينية الداخلية فيه، فهو مترع، يفيض، أبيض كالفضة أو أنصع.

أما مكوناته فهي: حصاه ياقوت، مرجانه لؤلؤ، بطحاؤه مسك.

أما ألوانه فهي بين: أخضر، أصفر فاقع..

وأما عطره فعطر الجنة وفيه أنواع فيه

### سقراط الحكيم

**قال سقراط وهو تلميذ فيثاغورس الحكيم: لا تكرهوا أولادكم على آثاركم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.**

**وقال: ينبغي أن تفرح بالموت، وتغتم بالحياة، لأنا نحيا لنموت، ونموت لنحيا.**

**وقال: قلوب المعترفين في المعرفة منابر الملائكة، وبطون المتلذذين بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة.**

**وقال: للحياة حدّان، الأول الأمل، والثاني الأجل، فبالأول بقاؤها، وبالثاني فناؤها.**

أباريق وقدحان..

ثم ينغلق الوصف بعد أن أدى هذه الصورة الخيالية، المهتمة بوصف كل معاني الحياة المترعة بالماء، ليستأنف السرد في: يذب عنها الأنزع، الأصلع، وهو يتكرر ويتضح في البيت:

يذب عنه ابن أبي طالب
ذيك جربى إبل شرّع

ولا يبعد عجز هذا البيت عن إشارة مبطنة لأولئك الذين خالفوا وغدروا، ولاسيما حين يتأكد ذلك في البيت الذي يليه:

إذا دنوا منه لكي يشربوا
قيل لهم تباً لكم فارجعوا

والأبيات الأخرى تؤكد القطيعة بين النقيضين: الموالي والمخالف، فالموالي يرتوي من الحوض، والمخالف يذاد عنه. وبذا أصبح الحوض حداً فاصلاً بين النقيضين ومنه يُشرع في تقسيم أنواع المخالفين حين يجعل الناس كلهم فرقاً خمساً هالك أربع لتبقى الفرقة الناجية وهي التي تشرفت بحب علي وآل الرسول معه.

تختم القصيدة ببيت يستجمع قوة الاعتقاد وصحته لارتباطه بالوحي النازل من السماء موجهاً الخطاب إلى الموالين:

بذاك جاء الوحي من ربنا
يا شيعة الحق فلا تجزعوا

ويمكن الآن بسهولة أن نلحظ الفارق، بل التناقض بين صورة الربع الطامس، الموحش الذي يفر الموت منه في المحور الأول من القصيدة، وبصورة المترعة بالماء والحياة التي يمثلها الحوض وما تعلق به، فان الرمزين الذين يمكن أن يشير اليهما كل من الربع الطامس والحوض المترع أصبحا يمثلان الموت مقابل الحياة والكفر مقابل الإيمان، ولذلك يمكن أن يتجسدا على النحو الآتي:

الربع:بلقع ـ جفاف ـــ موت×حياة ـ ماء ـ حوض (الموالي) (المخالف).

لكن التضاد لا يبقى معلقاً بدون حسم، إذ أن النتيجة تحسم لصالح الطرف الموالي، لا على مستوى التصريح الاقناعي، أو التعويضي الذي اشتمل عليه البيت الأخير حسب، ولكن على مستوى البناء كذلك، فنلحظ ان عدد الابيات التي كونت صورة الحوض يساوي ثلاثة أضعاف، بل أكثر قليلا، الأبيات التي كونت صورة وبنسبة: ٢٤ مقابل ٧.

فصورة الحوض قدمت جزاء تعويضاً، في الحياة الآخرة، لما يعانيه الموالي من صنوف الحرمان التي يعيشها متكررة عبر اختلاف العصور، وهنا يمكن أن ينفتح الرمز على افتراض آخر يمكن أن تمثل فيها صورة الربع الموحش بالحياة الدنيا وما فيها من مآسٍ ومصائب وآلام يجرها وجود المخالفين وتسلطهم مجسداً بالرمز (الصلال الرقش) في حين يمثل الحوض الحياة الأخرى وما فيها من نعيم دائم، وهذا الافتراض يضفي على كلا الرمزين، ومن ثم عموم النص، غنى دلاليا، واكتنازاً تعبيرياً فائقاً ■

**الهوامش:**

(١) انظر ترجمة مفصلة في المصادر التالية: الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني: ٧/٢٢٩-٢٧٨. وفيات الاعيان لأبن خلكان:٦/٣٤٣. روضات الجنات للخوانساري: ١: ٢٨. الذريعة إلى تصانيف الشيعة لاغا بزرك الطهراني ١/٣٣٣-٣٣٥. الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ٢/٣٣٤-٣٣٩. الغدير في الكتاب والسنة والادب لعبد الحسين الاميني: ٢/٢٣١-٢٨٩.

(٢) انظر الدراسة الوافية التي عقدها السيد محمد تقي الحكيم في مقدمة ديوان السيد الحميري

الذي جمعه وحققه السيد شاكر هادي شكر، وكذلك في كتابه: شاعر العقيدة في دار الحديث للطباعة ١٣٦٩هـ.

(٣) التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الاول د. محسن غياض: ١٦٣.

(٤) انظر: الحياة الادبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري د. كمال زكي: ٩٥-١١٧.

(٥) وكان السيد اذا سئل عن التشيع من اين وقع له، قال غاصت علي الرحمة غوصا. انظر: الاغاني ٢/٢٣٠ وكذلك: ٢/٢٣٥.

(٦) التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الاول: ١٦٥.

(٧) الأغاني: ٢/٢٣١-٢٣٦.

(٨) الكنى والالقاب: ٢٣٦.

(٩) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهبيتي: ٣٣٠.

(١٠) التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول: ١٧١.

(١١) انظر: الاغاني: ٢/٢٤٨.

(١٢) فحولة الشعراء للاصمعي: ٥٢.

(١٣) البيان والتبيين للجاحظ: ١/٥٠.

(١٤) انظر: الأغاني: ٢/٢٣٦-٢٣٧، الغدير: ٢/٢٤٠-٢٤٣.

(١٥) التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول: ٧٠ وانظر الغدير ٢/٢١٣-٢٣١.

(١٦) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري:٣٣١.

(١٧) أثر التشيع في الأدب العربي، محمد سيد كيلاني: ١٠٥.

(١٨) م.ن: ٩٩.

(١٩) التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول: ١٧٠-١٧١.

(٢٠) أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، عبد الحسين طه حميده: ٣١٠.

(٢١) أثر التشيع في الأدب العربي: ٩٦.

(٢٢) الأغاني: ٢/٢٣٩.

(٢٣) م.ن: ٢/٢٤٠-٢٤١. وكذلك القصيدة المذهبة: ٦٢.

(٢٤) ومن صور الاهتمام بها ان يلفت شروحها خمسة عشر شرحاً عدها السيد الاميني في الغدير: ٢/٢٢٣-٢٢٥.

## الشيخ المفيد والرماني

**يروى أنه حضر لأول مرة درس أستاذه علي بن عيسى الرمّاني فقام رجل من البصرة وسأل الرمّاني عن خبر الغدير والغار. فقال له الرماني: إن حديث الغار درايـة، وخبر الغدير رواية، والرواية لا توجب ما توجبه الدراية، فسكت البصري ولم يكن عنده شيء.**

**فلما خفّ المجلس تقدم المفيد إلى الرماني ولم يكن يعرفه قبل هذا، وسأله عمن قاتل الإمام العادل.**

**فقال الرماني: إنه كافر، ثم استدرك فقال: إنه فاسق. فقال المفيد: ما تقول في علي بن أبي طالب(ع)، ويوم الجمل وطلحة والزبير؟**

**فقال الرماني: إنهما تابا.**

**فقال: أما خبر الجمل فدراية وخبر التوبة فرواية. فأفحم الرماني ولم يأت بشيء، غير أنه قال له: كنت حاضراً عند سؤال البصري؟ قال: نعم.**

**ثم دخل الرماني المنزل وجاء برقعة مختومة، وقال له: أوصلها إلى من اتصلت به، وهو أبو عبد الله البصري المعروف بـ(جعل) فلما وقف عليها جعل يبتسم، وسأل المفيد عما جرى بينهما فأعاد عليه القصة، فقال: إنه كتب إليّ بذلك ولقد لقّبك بالمفيد.**

# كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

## دعوة... إلى الدعوة

قد انطلقنا نحو العمل الثقافي الإسلامي ـ في مؤسستنا ـ شعوراً منّا بتحمل المسؤولية التي تقتضيها طبيعة انتمائنا للدين الحنيف، والتزاماً بقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾ لاقتران الأهل بالنفس التي هي أعزّ شيء على الإنسان في ضرورة المحافظة عليها من مغبة الوقوع بما يؤدي إلى تعذيبها نتيجة التسامح في تطبيق التعاليم الإسلامية.

ولم نلحظ اقتصار الخطاب الإلهي على أصحاب الاختصاصات العلمية أوالفكرية أو الدينية التي يتمتع بها بعض أفراد المجتمع، بل الكل مدعو، والكل مسؤول عن أهله كما هو مسؤول عن نفسه، من عالم دين إلى رجل تجارة وأعمال، ومن رجل جامعة مثقف إلى سَوَقة وعامّة... الجميع بمستوى واحد من حيث الإلزام بنشر التوعية الدينية في الأوساط الاجتماعية لتحقيق الهدف الإسلامي العام المتمثل في إيجاد مجتمع إيماني متكامل.

نعم إن اختلاف نوع الروابط الدينية والثقافة الأكاديمية، وثقافة العامة التي يحظى بها عدد كبير من أفراد المجتمع يؤدي بالضرورة إلى اختلاف طبيعة الدعوة الملزمين بها سعة وضيقاً، وعمقاً وسطحية، بل حتى يصل إلى الكم قلة وكثرة، لذا فالرجل المثقف ينطلق بالدعوة باختلاف كبير عن غيره باختلاف وسطه الذي يعتبر رابطاً له ومصدراً من مصادر إنمائه الفكري عطاءً واستلهاماً، فقد يتحمل العبء الثقيل ضريبة لما يحمله من الزاد الثر معرفة وعلماً. وهكذا بالنسبة لعالم الدين بملاحظة غيره من أبناء جنسه أصحاب سائر الاختصاصات في المجالات الثقافية الإنسانية وغيرها. بل حتى رجل التجارة والعمل ينطلق بالدعوة ضمن روابطه مع ما تحمله طبيعة اختصاصه من سمة خارجة عن نطاق الدين والفكر. ويتجسد ذلك بالشعور بالواقع الذي تشير إليه الآية الكريمة.

فليس من المبرر أن نرى أشكالاً من الاتكالية لدى مختلف الطبقات على فئة خاصة بأداء الدور الرسالي، فتحمل عبأً أكبر مما تتطلبه أنواع الروابط التي أشرنا إليها آنفاً بدعوى الاختصاص وطبيعة العمل. ولا نعني بذلك التجريد من الاختصاصات في المجالات الفكرية وغيرها. لكن تحقيق الدعوة إلى الإسلام له وجوه متعددة بتعدد القدرات الفطرية والتعليمية، فالمتكلم قد لا تتسنى له القدرة على القلم، والكاتب قد لا يتمكن من الحركة الهادفة... وهكذا. مع أن الكل يتجه نحو هدف معين، وغاية سامية، فتصبح من مجموع الكفاءات والقدرات دعوة متكاملة رصينة تصلح لأن تكون قاعدة ضد التيارات الفكرية المنحرفة وتكون حاجزاً صلباً منيعاً ضد أي هجمة، بل مهاجمة الأفكار السامّة في عقر دارها.

نعم تأتي ثمرة الاختصاص في تدعيم المجالات الفكرية التي يتمتع بها المسلمون وزجّ المفاهيم الإسلامية في أذهانهم بعد تحليلها وتذهيبها مما نالته من الشبهات على مرّ قرون من المحاربة الفكرية، لتدفع بهم نحو الدعوة بأمان واسترخاء، بحصانة تامّة من دون الشك في قدرتهم على مواصلة الدعوة المذكورة. فالدعوة ـ إذن ـ وظيفة كل مسلم، واختلاف طبيعة قدرتهم عليها لا يبرر لهم تركها واعتمادهم على جماعة خاصة، ووظيفة أصحاب الاختصاص التفعيل وضمان الحصانة الفكرية لعامّة المسلمين.

ونحن إذ طلبنا من الأخوة أصحاب الكفاءات المساهمة في نشر الثقافة الإسلامية نلتمس تذكيرهم بهذه الضرورة المعترف بها، وقد رأينا استجابة من كثير منهم مع تبادل الشعور نفسه واحترام هذه الدعوة الشريفة. ونتقدم لهم شاكرين مواساتهم لنا في حمل الهم مع اعتبارنا أهلاً لتحمل المسؤولية، ونسأل الله تعالى أن يشكر لهم ذلك ويعتبرهم ممن سمع فوعى ودعي فأجاب. وإن لم نجد الاستجابة من البعض الآخر لكن نقول ما قاله النبي الكريم ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»، فليؤد كل واجبه حسب ما يملي عليه حسّه الإيماني ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾ وهو المستعان على ما نقول، والحمد لله رب العالمين.

# محتويات العدد


عاشـوراء الدم والشـهادة (ملف خاص في ذكرى استشهاد الإمام الحسـين(ع)) ..... ٣

## واحة الأدب

عينية السيد الحميري (د. حسن الخاقاني) ..... ٤٢

كلمة العدد ..... ٥٢
محتويات العدد ..... ٥٣

## قرآنيات

آيات الدعاء في القرآن الكريم (د. محمد محمود زوين) ..... ٥٤
اختلاس الأصوات وإبقاؤها في بعض ألفاظ القرآن (المهندس عادل عباس هويدي) ..... ٦٤

## قضايا معاصرة

النظام البرلماني (مهدي عابدين) ..... ٦٨
كيف تحافظ الأنظمة الاستبدادية على عروشها (محمد حسن الياسري) ..... ٧١

## آمن الرسول

جهود الأئمة(ع) في خدمة القرآن والعقيدة (د. ستار الأعرجي) ..... ٨٢

## استطلاع المجلة

مرقد السيد إبراهيم الغمر (حيدر الجد) ..... ٩٠

## في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ..... ١٠٢

## في النفس والمجتمع

وهل الدين إلا الحب؟! (السيد محمد القاضي) ..... ١٠٦
الأعمار لا تقرّها شهادات الميلاد (د. نبيل عباس) ..... ١١٨

## للفضيلة نجومها

الشيخ بهاء الدين العاملي.. العالم الموسوعي (كاظم عبود الفتلاوي) ..... ١٢٢

## فنون

لقاء مع جاسم الخطاط (حيدر شاكر) ..... ١٣٠

## طروحات عامّة

القديم والجديد عن الكوكب زحل وحلقاته (د. طالب هادي قدوري) ..... ١٣٦
الوراقة ومفهومها العام (علي جهاد الحساني) ..... ١٤٠
من مخاطر الغزو الثقافي (بهاء حمزة عبّاس) ..... ١٤٣

---

هند بن أبي هالة.. ربيب رسول الله(ص) (محمد جواد فخر الدين) ..... ١٢٦
التشريع الإسلامي بين أصالته الفكرية وقيادته للحياة (السيد محمد صادق الخرسان) ..... ٧٦
منبر القرّاء ..... ١٤٦

# آيات الدعاء في القرآن الكريم

## قراءة موضوعية

• د. محمد محمود زوين

**من نعم الله تبارك وتعالى على خلقه أن هداهم لسبيله وأوجد تلك العلقة الأبدية في قلوب عباده تشرق في أنفسهم فتكون هديراً صادقاً مخلصاً على ألسنتهم.**

ينابيع تمتاز ظاهرة الدعاء بأنها مرآة فطرة الإنسان، وعصب سلوكه في افتقاره حيناً، وبنزوعه نحو الكمال حيناً آخر. ومن نعم الله تبارك وتعالى على خلقه أن هداهم لسبيله وأوجد تلك العلقة الأبدية في قلوب عباده تشرق في أنفسهم فتكون هديراً صادقاً مخلصاً على ألسنتهم.

والحديث عن الدعاء وأهميته وأوقاته وأركانه وشرائطه ليس بالأمر الجديد فقد سبقت هذه الوريقات دراسات كثيرة وبحوث ومقالات ومنها ما جاء في العدد الأول من مجلة ينابيع الغرّاء.

وأحببت في هذه الأسطر أن ألفت الأنظار إلى آيات الدعاء في القرآن الكريم بقراءة موضوعية تناولت تصنيفها فضلاً عن الإشارة إلى بعض موضوعاتها.

فلا يخفى على المتأمل للآيات الدعائية الكريمة تعدد مستويات الداعين واختلاف أساليبهم من جهة، وتوحد غاياتهم من جهة أخرى، فتلحظ للإنس دعاء كما للملائكة دعاء وللأنبياء كما للناس، وللمؤمنين كما للكافرين، وللرجال كما للنساء، وأدعية دارت شواهدها في الدنيا وأخرى نقلت عن الآخرة.

أما أدعية الأنبياء فقد جاءت على لسان نبينا ﷺ وآدم ونوح وإبراهيم وموسى وزكريا وهود ولوط ويوسف وأيوب ويونس، وترى هذا المستوى من الداعين له خصوصية التكليف الرسالي والنبوي من جهة الأسلوب والموضوع، ومن سمات ذلك أن هذه الأدعية جاءت تتناسب مع حالة كل نبي في قومه وصراعهم ضد الباطل وتلطف الأنبياء معهم.

ففي أدعية النبي محمد ﷺ تجد سبق هذه الأدعية كلها بلفظ (قل) أو ما اشتق من جذر هذا الفعل دلالة على نبوته وتعظيم لأمر رسالته وامتداد مسيرته بأمر مولاه تعالى: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً) الإسراء:٨٠.

وترى في دعائه(ص) شكواه من قومه وهجرهم كتاب رسالته قال تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً) الفرقان:٣٠، وقوله جلّ وعلا: (وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ لاَ يُؤْمِنُونَ) الزخرف:٨٨.

وهذان الموضوعان لهما خصوصية تعبيرية عن بقية آيات الدعاء في القرآن الكريم إذ أن من المتعارف عليه حذف (يا) النداء مع لفظ (رب) في جميع الأدعية إلا الموضعين السابقين وفي ذلك سيرة صوتية وتعبيرية لها دلالتها الخاصة.

ولأبينا آدم عليه السلام يرد دعاء واحد فحسب على الرغم من تكرار قصة آدم في أكثر من موضوع قرآني قال تعالى: (قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ) الأعراف:٢٣، ولعل السبب يرجع في ذلك إلى طبيعة التعبير الفني الذي ينهجه الأسلوب القرآني طريقاً في عرض قصته عليه السلام حيث ترى مسير الأحداث يتناسب كلياً مع السياق العام الذي ترد فيه، فمرة تلحظ الإجمال في عرض جانب من القصة، وقد تلمع في موضوع آخر أن ما أجمل هناك فصل هنا، وعليه فقد ناسب ذكر دعاء آدم عليه السلام في سورة الأعراف ما سبق من ذكر المعاقبين النادمين من بني آدم الذي أبان عنه قوله تعالى: (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ❖ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) الأعراف:٤-٥.

وهذا التوافق بين سياق القصة وما قبلها لا يمنع أن تلحظ الفرق في التعبير بينهما، فقد عبّر النبي آدم عليه السلام عن ظلمه لنفسه بالفعل (ظلمنا) في حين أن تعبير بنيه عن الظلم بالاسم، والتفاوت بين التعبيرين دال على اختلاف التعامل معهما، فظلم الأنبياء هو ترك الأولى، وليس هو ظلم عامة العباد (والعقوبة على قدر الظلم فقد قال آدم عليه السلام: (ظَلَمْنَا) بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث والطروء للدلالة على أنها زلة طارئة وليست معصية إصرار، وقال أبناؤه: (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات على الظلم والإصرار، فتاب

على الأولين وأهلك الآخرين)[1].

ومن جانب آخر نجد في دعاء آدم عليه السلام وزوجه التعلق بغفران الله تعالى وثقفتهما المطلقة برحمته وخشيتهما منه، وقد وضعا أمرهما في موضع الخائف الراجي في آن واحد وهذا ما يوحي به سياق الشرط في الدعاء حيث أكّدا جملة جواب الشرط باللام ونون التوكيد الثقيلة، زيادة في تأكيد حالهما المتأرجح بين الرجاء والخوف، يرجون المغفرة والرحمة ويخافون الخسران وعاقبته، ومن اللطيف هنا أن قدّمت المغفرة على الرحمة، وفي هذا دلالة دقيقة تكشف عن أن الرحمة لا تنال إلا بالمغفرة، فلا وجه للرحمة مع الإصرار على المعصية أو بقائها.

وإذا قرأنا أدعية نوح عليه السلام لرأيناها جاءت في سور ست بدأت بسورة هود وانتهت بسورة نوح التي تخصصت وتفردت بعرض قصته عليه السلام دون سواه. وفي كل موضع ترد فيه قصته عليه السلام تجد الدعاء يلازم قصته ويتناسب مع سياق السورة من ذلك دعاؤه على قومه التي قدّم فيها عرض حاله معهم ومعاناته منهم وترى في دعائه تعريضاً بكفرهم وجحودهم، ولعل سورة نوح مثال واضح على ذلك فحالة الشكوى ظاهرة فيها قال الله تعالى: (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ❖ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضَلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً) نوح:٢٦-٢٧.

ومن الجدير بالذكر أنه عليه السلام قدّم قبل دعائه على قومه كل ما يستوجب ذلك الدعاء من كثرة أذاهم ومكر أساليبهم وإذا كان للكفار نصيب من دعاء نوح بما يستحقوه، فإن للمؤمنين نصيباً في دعائه أيضاً قال تعالى: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدْ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً) نوح:٢٨.

وتطالعنا أدعية إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة في سياق الحديث عن بناء البيت الحرام وقد انطوت على طلب الأمن والأمان للبيت الحرام وأهله والثبات على الإسلام لذريته قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ..) البقرة:١٢٦. ولا يخفى الاستعمال البياني في هذا الدعاء إذ طلب الأمن للبلد وأريد أهله أو أريد أن يكون البلد مأموناً، بمعنى آخر أنك تلحظ في هذه الآية الكريمة نوعا المجاز العقلي واللغوي.

ومما يشار إليه في هذا المكان أن دعاء إبراهيم عليه السلام حمل ذكر خاتم الأنبياء محمد(ص) وذلك بأن دعاءه عليه السلام لذريته بأن يتم الله تعالى عليهم نعمه أن يبعث فيهم محمداً(ص) قال تعالى: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) البقرة:١٢٩.

وتواجهنا أدعية كليم الله موسى بن عمران عليه السلام التي جسدت مواقف متعددة من أحواله بينت خلالها صلته الوثيقة بالله تعالى في مختلف أوضاعه في سرّائه وضرّائه والتي يمكن ترتيبها بدءاً من سورة القصص حيث تجد تفصيلاً لقصته عليه السلام قبل نبوّته وما جاء على لسانه من دعاء في ذلك العهد في مواضع ثلاثة بعد قتله القبطي قال تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) القصص:١٦. والعجيب أن هذه الآية جمعت الاعتراف والندم والاستغفار والغفران من جهة والدعاء والإجابة من جهة أخرى.

وجاء دعاؤه ثانية بعد خروجه من المدينة

خائفاً من تشاور أهلها على قتله، قال تعالى: (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) القصص:٢١. ودعاؤه الثالث بعد أن سقى لابنتي شعيب: (فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) القصص:٢٤.

أما بعد إرساله عليه السلام إلى بني إسرائيل ترى في دعائه إرهاصات ما كان عليه قومه من التكذيب وخوفه على رسالته منهم فجاءت أدعية تؤكد طلب المؤازر الناصر والوزير المعاضد في الرسالة هارون عليه السلام قال تعالى: (وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ❖ هَارُونَ أَخِي ❖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ❖ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) طه:٢٩-٣٢.

وإذا انتقلنا إلى دعاء زكريا عليه السلام نراه ارتكز في مواضع ثلاثة على طلب الذرية الطيبة ولم يخرج دعاؤه لغير ذلك، وقد تعددت طرائق التعبير عن هذا المعنى قال تعالى: (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) آل عمران:٣٨.

وفي أدعية هود ولوط عليهما السلام تحس تقارباً في الموضوع فدعاء هود عليه السلام جاء في موضوع واحد وهو دعاؤه على قومه وطلب الانتصار عليهم فأجابه الله تعالى وأهلكهم قال تعالى: (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِي) المؤمنون:٣٩.

أما دعاء لوط عليه السلام فجاء في موضعين كان الأول طلب النجاة من سوء عمل قومه، ولم يدع عليهم إلا بعد أن استوثق من إصرار قومه على السيئ من الأعمال فما كان لديه إلا الدعاء عليهم وطلب النصر لأنهم مفسدون: (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) العنكبوت:٣٠.

ونقرأ دعاء سليمان عليه السلام في سورتين حيث طلب في الأولى التوفيق لشكر نعمة الله عليه وعلى والديه والهداية للعمل الصالح: (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) النمل:١٩.

والسورة الثانية تعلق دعاؤه عليه السلام بطلب الملك وهو الدعاء الوحيد الذي حمل طلب الملك في أدعية القرآن قال تعالى: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) ص:٣٥.

وإذا تابعنا قراءتنا لأدعية الأنبياء عليهم السلام لرأينا أن دعاء يوسف عليه السلام ورد في السورة التي سميت باسمه وأن دعاءه جاء بأسلوب الخبر مرة وبالطلب الصريح مرة أخرى بعد أن رفع أبويه على العرش قال تعالى: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنْ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ

**عارف.. خائف**

**حكي أن بعض العارفين حاك ثوباً، وتأنق في صنعته، فلما باعه ردّ عليه بعيوب فيه، فبكى، فقال المشتري: يا هذا لا تبكِ، فقد رضيت به، فقال: ما بكائي لذلك، بل لأني بالغت في صنعته، وتأنقت فيه جهدي، فردّ عليّ بعيوب كانت خفية عليّ، فأخاف أن يردّ عليّ عملي الذي أنا عملته منذ أربعين سنة.**

تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) يوسف:١٠.

أما دعاء أيوب ويونس عليهما السلام فقد ورد دعاؤهما بأسلوب الخبر إذ اكتفيا عليهما السلام ببيان حالهما افتقاراً لرحمته واستدراراً لعطفه ورعايته: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) الأنبياء:٨٣. وقوله تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ) الأنبياء:٨٧.

وآخر من نقرأ دعاءه من الأنبياء عليهم السلام دعاء عيسى عليه السلام وقد جاء في موضع واحد في سياق قصته مع قومه وطلبهم حجة على نبوّته فكان من دعواه عليه السلام نزول المائدة من السماء دليلاً على صدقه ومعجزة تطمئن بها قلوب السائلين قال تعالى: (قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللهمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنْ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) المائدة:١١٤. ومن جميل ما يذكر هنا أن هذا الدعاء تفرد في استعمال الجمع في النداء بين لفظين دالين على الذات الإلهية (اللهم، ربنا) وفي هذا أيما دلالة على تعلقه بالله تعالى وانقطاعه عن كل شيء سواه.

**إذا تتبعنا آيات الدعاء وجدنا نمطاً آخر من الدعية ومستوى جديد من الداعين وأعني بذلك دعاء المؤمنين، إذ المتأمل بها يظهر سمو صلتهم إلى الله تعالى**

هذا مجمل أدعية المستوى الأول من مستويات الداعين وهو دعاء الأنبياء عليهم السلام وإذا تتبعنا آيات الدعاء وجدنا نمطاً آخر من الأدعية ومستوى جديداً من الداعين وأعني بذلك دعاء المؤمنين، إذ المتأمل بها يخلص إلى أن الكتاب العزيز نقل جانباً وافياً من دعاء المؤمنين على اختلاف أزمانهم وأظهر سمو صلتهم الوثيقة بالله عزّ وجلّ في سرّائهم وضرّائهم، لا يلجأون إلا لحصنه، ولا يطعمون إلا بفيض رحمته، وينهلون في كل ذلك من نبع إيمانهم وصدق تعلقهم بخالقهم، لذا فقد كانت أدعيتهم تنهج سبيلاً جلي الدلالات في تأكيد خضوعهم وتضرعهم إليه جلّ وعلا لا يسأمون ولا يكلّون في عرض فقرهم وبيان حاجتهم لعفوه ومغفرته ورحمته (لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) البقرة:٢٨٦.

وأنت ترى السؤال والطلب بالنداء (ربنا) تكرر مع الدعاء بصيغة النهي ثلاث مرات كما تكرر استعمال أفعال الدعاء بصيغة الطلب (اعف عنا، اغفر لنا، وارحمنا) مرات ثلاث كذلك، فبالعفو يسقط العقاب، وبالمغفرة تستر الذنوب وتصان، فلا يطلع عليها سواه عزّ وجلّ، وبالرحمة يكون الخلاص وتنال الكرامات[٢].

ومن لطائف الدعاء ضمن هذا المستوى هو دعاء المؤمنين بعضهم لبعض إذ يكشف عن مدى وحدة المسار الإيماني في التوجه نحو الغاية العظمى وهي الإقرار لله تعالى والافتقار إليه فضلاً عن الإيثار والمحبة في الله لمن كان الله محطّ أنظارهم ومدار

كلامهم ونبض قلوبهم قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) الحشر:١٠.

لقد نقل القرآن المجيد من أدعية المؤمنين في مختلف المواقف منها عند القتال وسؤالهم الصبر والثبات والنصر، ومنها التصديق بالرسل ومنها دعاء المؤمنين على أقوامهم الكافرة.

ومن نافلة القول أن للمرأة المؤمنة أدعية كما للرجال، منها ما جاء على لسان مريم عليها السلام وبلقيس وامرأة عمران وامرأة فرعون قال الله تعالى: (وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) التحريم:١١.

**لم يقتصر دعاء المؤمنين على دار الدنيا بل نسب القرآن على ألسنتهم أدعية في الآخرة وفي الجنة، قال عز من قائل: (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن).**

هذا ولم يقتصر دعاء المؤمنين على دار الدنيا بل نسب القرآن على ألسنتهم أدعية في الآخرة في الجنة وهي قوله عزّ من قائل: (وَقَالُوا الْحَمْدُ للّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ❖ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) فاطر:٣٤-٣٥.

ويطالعنا نمط آخر من الدعاء جاء على لسان الملائكة وهو بمجمله دعاء للمؤمنين وأهل الجنة بالسلامة وإلقاء التحية عليهم، وأطول ما ورد عنهم من دعاء للمؤمنين قوله تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ❖ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ❖ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) غافر:٧-٩.

ففي هذا الدعاء تجد تقديم الثناء لله تعالى قبل لطلب وفي ذلك أدب قرآني رفيع ليكون الدعاء أقرب إلى الإجابة، فضلاً عن ذلك فإنه قد روعي التناسب في قوله تعالى: (يؤمنون به) (ويستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل: ويؤمنون ويستغفرون لمن في حالهم وصفتهم، وفيه تنبيه على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة وابعثه على إمحاض الشفقة، وإن تفاوت الأجناس وتباعدت الأماكن[٣].

وعلى أية حال فإن في دعاء الملائكة للمؤمنين بيان منزلتهم السامية في العوالم الأخرى، وتشريف لعم بأن أخبر الله تبارك وتعالى بذلك على لسان حملة عرشه من الملائكة.

وتنقلنا القراءة الموضوعية إلى نمط ومستوى جديد وهي أدعية الكفار، فمثلما كان للمؤمنين دعاء كان للكافرين دعاء وفرق شاسع وبون كبير بين الفريقين أو النمطين، إذ أن أكثر أدعية المؤمنين جاءت في الدنيا صادقة في التوجه مترقبة بعين الخوف والرجاء الآخرة، ولذا أقرّ الله عيونهم في الآخرة بإجابتها، وإعطائهم ما أمّلوا برحمته الواسعة.

أما أدعية الكفار فما كان منها في الدنيا جاء وحاله الاستهزاء بالأنبياء والرسل وبالجحود بالرسالات قال تعالى: (وَإِذْ قَالُوا اللهمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) الأنفال:٣٢.

أما دعاؤهم في الآخرة فقد بيّن يقينهم بالوعيد بعد أن ذاقوا غليظ النار نستجير بالله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ❖ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) فاطر:٣٦-٣٧.

ويلفت النظر لشدة العذاب والألم والأهوال لفظ (يصطرخون) وما فيها من المزايا الصوتية التي لو أبدلت بـ(يصرخون) لما دلّ على المعنى المراد.

ومما جاء من دعاء الكفار قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذْ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ) السجدة:١٢. فالآية تصور أدق تصوير أهل النار حيث دلّ الخطاب (على العموم قصداً إلى تفظيع حال المجرمين وإن قد بلغت من الظهور إلى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا تخص رؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب)[٤] لوضوح صورة وحركة تنكيس الرؤوس وما فيها من الإشارة إلى المذلة الدائمة التي يوحيها لفظ (ناكسوا) بصيغة اسم الفاعل أضف إلى ذلك صدور الدعاء عنهم وهم بحالهم هذه وما فيها من دلالة الحسرة والندم وفوات الفرصة.

وإذا أمعنّا النظر في أدعية الكفار لرأيناها تناقض ما جاءت عليه أحوال المؤمنين وأدعيتهم إذ ترى دعاء أحدهم على الآخر، وبراءة أحدهم من الآخر على عكس أدعية المؤمنين بعضهم لبعض ودعاء الملائكة واستغفارها لهم في حين تجد تبادل الكفار الاتهام في تسبيب الغواية، وكل يطلب النجاة لنفسه، ويحتدم في مشهد الدعاء شعور ملؤه العذاب والألم والتفجع ـ نستجير بالله تعالى ـ قال عزّ من قائل: (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ❖ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ❖ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً) الأحزاب:٦٦-٦٨.

وفي آخر مطاف تصنيف أدعية القرآن الكريم نقرأ دعاء إبليس لعنه الله يتكرر في سور ثلاث تشابه في اثنتين منهما واختلف في سورة ثالثة قال تعالى: (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) الحجر:٣٦[٥]. ومن الواضح أنّ تأخير إبليس أجيب ولكن ليس كما أراد إلى يوم البعث يوم القيامة إذ (هو يوم بعث لا يوم موت)[٦] أراد بذلك الخلاص من الموت، وهذا ما لا سبيل لمخلوق على تحقيقه.

ومن مجمل دعاء إبليس أنه أراد إمهاله (لا لينـدم على خطيئته في حضرة الخالق العظيم ولا ليتوب إلى الله ويرجع عن أئمة الجسيم، لكن لينتقم من آدم وذريته جزاء لعنه وطرده من هداه، يربط لعنة الله له بآدم ولا يربطها بعصيانه لله في تبجح نكير)[٧].

من خلال ما سلف لاحظنا مستويات الداعين في القرآن الكريم بأنماط متنوعة انعكست بأساليب دعائية متجددة تنبع من حاجة كل نمط، لكنها

توجت في غالبها بالغاية والغرض من الدعاء، وسنقف عن بعض موضوعات الدعاء لنتعرف على مزاياه المختلفة.

## موضوعات الدعاء في القرآن

تتبع أهمية الموضوعات الدعائية في القرآن الكريم من سعتها وشمولها حتى تكاد تلبي كل حاجات الإنسان، ويسمو التعبير عنها بآداب دعائية يرتقي بها مواضع القبول والإجابة، ويكشف عن آفاق هذه الموضوعات الدعائية سعي الإنسان الدؤوب للكمال وسدّ افتقاره الدائم، وسأقف عند بعضها:

### أدعية الثناء والتحميد

تتجلى قيمة موضوع هذه النصوص الدعائية في أنها تصدر من قلوب ملؤها الحب الإلهي، والاعتراف بنعمة الإيمان والإقرار بالله تعالى بالإخلاص وتفويض الأمر إليه في كل شيء. ولابدّ من الإشارة هنا إلى أن هذه الأدعية تقترب في سياقاتها مما يعرف بالدعاء بصيغة الخبر إلا أنها تختلف عنها في أن غايتها إرواء شغف القلوب بخالقها حمداً وتنزيهاً وإقراراً بعظمته وقدرته ونعمته قال تعالى: (قُلْ اللهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ ممَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❖ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) آل عمران:٢٦-٢٧.

وأنت تلحظ بدء الدعاء بلفظ (قل) وما فيه من أدب قرآني وتعليم رباني في كيفية مخاطبة العبد خالقه وبأي الصياغات يصل بها إلى ما يليق بحضرته تعالى، ونستطيع أن نعد سورة الإخلاص وغالب ما جاء من دعاء أهل الجنة ودعاء الملائكة من هذا الموضوع[٨].

### أدعية الاستعانة وطلب النصرة

وموضوعها طلب النصرة الإلهية وغالب ما جاء من دعاء في هذا الباب على لسان الأنبياء طلباً لهلاك الأقوام المكذبة والنجاة منها، قال تعالى: (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِي) المؤمنون:٣٩. وكثيراً ما يقرر القرآن الكريم سبب دعاء الأنبياء على أقوامهم من خلال عرض سيرة تلك الأقوام الضالة وكفرها بالرسالات السماوية، ونستطيع أن نعير شكوى الأنبياء واحتكامهم لله تعالى، وطلب الإنصاف من أقوامهم، وأدعية

**أحب الناس إلى النبي(ص)**

**عَن جميع بن عُمير قال: دَخلتُ عَلى عائشة فقلت: مَن كان أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت: فاطمة. فقلتُ: إنّما سألتكِ عَن الرجال. قالت: زوجُها، وَما يمنعه؟! فوَالله إنّه كان لَصوّاماً قوّاماً وَقد سالَت نَفس مُحمّد فِي يَده فردّها إلى فيه. قلتُ: فَما حَمَلك عَلى ما جَرى؟ فأرخَتْ خِمارَها عَلى وَجْهها وَبَكتْ وَقالتْ: أمرٌ قُضِي عَليّ...**

المؤمنين بالنجاة من الظالمين ضمن هذا الموضوع[٩].

## أدعية المغفرة والرحمة

وهذا موضوع مألوف في غالب نصوص القرآن الدعائية قال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) المؤمنون:١١٨. وترى في الكثير من هذه النصوص تقديم طلب المغفرة على طلب الرحمة، وما فيه من تأديب للداعي في جو هجر الذنوب وتركها، والندم عليها فهذا السبيل الموصل إلى موضع الرحمة فضلاً عن ذلك فطلب المغفرة يقدم قبل كل طلب سواه ليبرأ الإنسان من أدران المعاصي فيصل إلى ما يأمله قال تعالى على لسان سليمان: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) ص:٣٥. فطلب المغفرة سبب لانفتاح أبواب الخيرات في الدنيا فقدمها سليمان أولاً ثم توسل بها إلى طلب المملكة[١٠].

## الدعاء للأهل والأقارب

وهذا الموضوع واسع المعالم في أدعية القرآن الكريم، ويبدو من القراءة المتدبرة أن أنماط الموضوع متعددة الاتجاهات فمن دعاء بطلب الذرية وآخر لهدايتها وثالث للوالدين إلى غير ذلك. وقد كان دعاء إبراهيم عليه السلام حافلاً بذكر الأهل والذرية إذ حوى أكثر من خمسة أدعية في ذلك قال تعالى: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ❖ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) إبراهيم:٤٠-٤١.

ويطالعنا دعاء زكريا عليه السلام في طلب الولد الصالح بأدب دعائي خالص قال عزّ من قائل: (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ❖ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً ❖ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً ❖ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً) مريم:٣-٥. فالخفاء المشار إليه في الآية الكريمة صفة محترمة في الدعاء وهي أدل على الإخلاص والتضرع وأبعد من الرياء[١١].

ونقرأ في دعاء نوح شفقة أبويّة على من هو قريب منه مفوضاً الأمر بذلك لله تعالى وفي هذا أدب دعائي جمّ وتعليم لكل داع في تفويض الأمر قال تعالى: (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) هود:٤٥. أخلص من خلال ذلك إلى أن كثرة ذكر الذرية والوالدين والأقربين في الدعاء القرآني دلالة على حث الداعين إلى التأدب بأدب القرآن بالدعاء لهم وذكرهم والله العالم.

هذه بعض من مظاهر الموضوعات الدعائية وتبقى أدعية القرآن الكريم تزخر بالكثير منها كأدعية الثبات وعدم الزيغ والتعوذ والخلاص من الضر والابتلاء إلى غير ذلك ■

الهوامش:

(١) التعبير القرآني: ٢٥٨.
(٢) ظ/ مفاتيح الغيب ج٧: ١٦٠.
(٣) الكشاف ج٤: ١٥٢.
(٤) مفتاح العلوم:٣٦٨.
(٥) ظ/ كذلك سورة ص الآية:٧٩.
(٦) في ظلال القرآن م٥ ج١٣: ٢٤.
(٧) التبيان ج٤: ٣٦١.
(٨) ظ/ الآيات القرآنية: الأعراف:٤٣، يونس:١٠، فاطر:٣٤-٣٥، الزمر:٧٥.
(٩) ظ/ الآيات القرآنية: الأنبياء:١١٢، القمر:١٠، المائدة:٢٥، العنكبوت:٣٠.
(١٠) مفاتيح الغيب ج٢٦: ٢٠٩.
(١١) الكشاف ج٣: ٣.

كَتَبَ العَلامّةُ النَراقِي قدس سره لِلسيّد بَحْر العُلوم قدس سره وَكانَ فِي إيْرانَ:

أَلا قُلْ لِسُكّانِ أَهْلِ الغَرّي
هَنيئاً لَكُمْ فِي الجِنانِ الخُلُود
أَفِيضُوا عَلَينا مِنَ الماءِ فَيْضاً
فَإنّا عطاشىٰ وَأَنتُم وُرُود

فَأَجابَهُ السيّد بَحْرُ العُلوم قدس سره:

أَلا قُلْ لِمَوْلىً يَرى مِنْ بَعِيد
دِيارَ الحَبيبِ بِعَيْنِ الشّهُود
لَكَ الفَضْلُ مِنْ شاهِدٍ غائِبٍ
عَلىٰ شاهِدٍ غائِبٍ بِالصُدُود
فَنَحْنُ عَلىٰ الماءِ نَشْكو الظَمَا
وَفُزْتُمْ عَلىٰ بُعْدِكُمْ بِالوُرُود

# اختلاس الأصوات وإبقاؤها في بعض ألفاظ القرآن الكريم

## - دراسة صوتية -

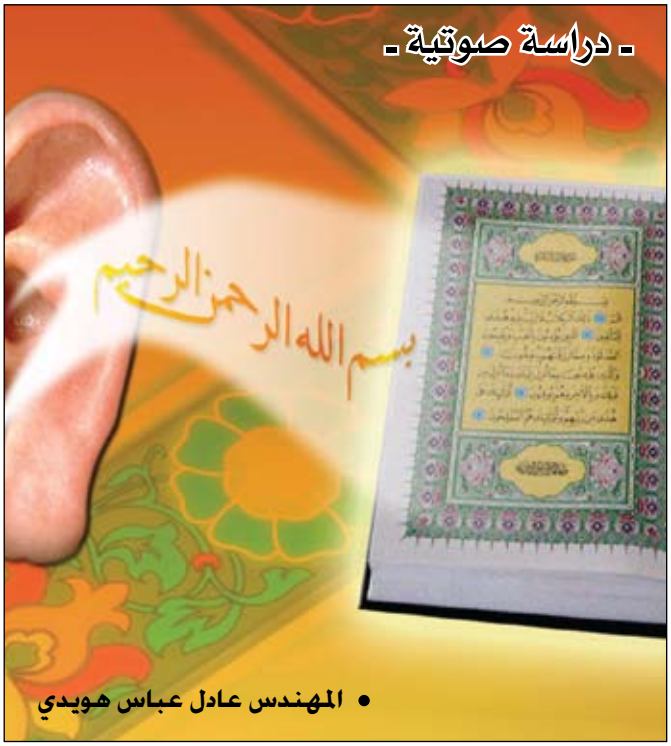


• المهندس عادل عباس هويدي

إن في القرآن بياناً لكل شيء بفضل تركيبته اللغوية والصوتية، فإنك لم تجد فيه حرفاً زائداً أو صوتاً فائضاً، أو كلمة ليست في موضعها المناسب الصحيح، لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم.

ينابيع

لم يكن غريباً علينا ما في لغة القرآن الكريم من عجائب، لأنها تحمل في داخلها معانيه، وهي الأطار الذي يلفّ بين ثناياه كلام الله تعالى المعجز في كل شيء، وقد أُذهل العرب حين نزوله عليهم، وهم أهل بلاغة وفصاحة، إذ أنهم كانوا يرون لغته كمالاً لما في أنفسهم من أصول تلك الفطرة البيانية وقد كانت ألفاظ القرآن تُلبس العرب حتى كانت تتركهم كالمعاني السائرة التي لا تزال تُطيف بالرؤوس[1].

فقد كان القرآن الكريم معجزاً في ألفاظه ومعانيه وتراكيبه وأصواته وإيقاعه الموسيقي سواء

كانت هذه في الحروف أو الألفاظ أو الجمل، فقد كان (قرآنا عربياً غير ذي عِوَج)[٢] فلو تأملنا لفظة (العِوَج) فإننا سنجدها تصف القرآن بأنه الفطرة العربية التي فطر الله العرب عليها.

فالقرآن الكريم يحاكي فطرة العربي الأصيل في لغته وبيانه وبلاغته وفصاحته، لأن الله تعالى (خلق الإنسان علّمهُ البيان)، لذا كان القرآن فيه بيان لكل شيء بفضل تركيبته اللغوية والصوتية، فانك لم تجد فيه حرفاً زائداً أو صوتاً فائضاً، أو كلمة ليست في موضعها المناسب الصحيح، لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم.

فقوله تعالى: (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم، قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين، ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك، حقاً علينا نُنج المؤمنين) يونس/١٠٣.

**إن القرآن الكريم يحاكي فطرة العربي الأصيل في لغته، وبيانه، وبلاغته، وفصاحته، لذا كان في القرآن الكريم بيان لكل شيء بفضل تركيبته اللغوية**

وقد وردت فيها لفظة (نُنج) وقد أختلس منها صوت (الياء) بينما جاء في قوله تعالى: (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين فاستجبنا له ونجيناهُ من الغم، وكذلك ننجي المؤمنين) الأنبياء/٨٨. فهنا وردت لفظة (ننجي) وقد اثبت فيه صوت (الياء) وحيث ان كلا الفعلين على صيغة واحدة ومصدرهما (الإنجاء). فما الحكمة في ذلك؟

إن مناخ الآية (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا.. إلى قوله تعالى: ثم ننجي رسلنا الذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين) نراه مشحوناً بالانتظار والترقب، وهذا يعني وجود تأخير وتمهل يُضفي على الجو العام للآية المباركة من خلال قوله تعالى: (فانتظروا إني معكم من المنتظرين) وبعد هذا نجد ما بعدها قد عُطف بـ(ثمَّ) وهذه تدل على التراخي والمهلة[٣]، ولما كان عنصرا التراخي والتمهل موجودين فان مجيء لفظة (ننجي) هو الآخر يوحي من الناحية الصوتية إلى التراخي والمهلة تضماناً مع ما سبق في المناخ العام للآية، حيث أن صوت (النون) المكررة فيها، يوصف بأنه من الأصوات المتوسطة الشديدة ويكون فيها الهواء حينما يمرّ بمجراه لا يُلاقي فيه انحباساً أو احتكاكاً[٤] أي فيه انسيابية هادئة، وإن تكرار هذا الصوت يوحي بأن المدة المستغرقة ستكون أكثر مما لو كان الصوت واحداً. ثم يلحقه صوت (الجيم) وهو مكرر أيضاً ويمتاز بأنه صوت مركب أي أنه عند القراء لا يصاحبه حين النطق به انفصال مفاجئ بل الذي يحدث أن انفصال العضوين لخروج الهواء يكون بطيئاً، فهو مرحلة بين الانسداد المطلق والانفتاح المطلق، فيحدث أن يحتك الهواء بالعضوين احتكاكاً شبيهاً بالأصوات الرخوة.. أي أنه يجمع بين عنصري الشدة والرخاوة[٥] من بين كل الأصوات الأخرى.

فكل هذه الصفات لصوتي (النون والجيم) المكررين يوحي للسامع بالبطء والتراخي، وهذا ما يتناسب مع الجو العام للآية القرآنية. ولذلك نرى أن العطف هنا جاء بالأداة (ثُمَّ) التي تعني فيما تعنيه

التراخي والتمهل، ولما كان هذا الجو العام المشحون بالتباطؤ وتناسب هذه الصفات للحروف المكونة للألفاظ، كان هذا التركيب وهذا التوافق العجيب والترابط الواضح فيما بينها جميعاً.

إلا أنه لما ينتقل إلى مناخ آخر ومحطة أخرى في القرآن الكريم، نرى أن شيئاً آخر قد حدث، فالانتقال من حالة التراخي والتمهل إلى حالة نرى فيها السرعة وقلة المهلة وعدم التراخي، نرى أن الخطاب القرآني من الناحية الصوتية يبدأ بالتسارع.

ففي لفظة (نُنج) في قوله تعالى: (حقاً علينا نُنج المؤمنين) يريد الخطاب القرآني أن يوضح حقيقة جديدة هي أنه من حق المؤمنين على الله تعالى الانجاء، وهذه مسألة مفروغ منها وغير خاضعة للتأخير والتراخي، لذا جاءت لفظة (نُنج) خالية من صوت (الجيم) المكرر وكذلك صوت (الياء).

**لقد أذهل العرب نزول القرآن الكريم، وهم أهل بلاغة وفصاحة، إذ أنهم كانوا يرون لغته كمالاً في أنفسهم من أصول تلك الفطرة البيانية**

والياء صوت يمتاز بأنه من الأصوات المهموسة التي يجري فيها النفس، وهو من الأصوات المتوسطة الشدة، حيث أن الهواء حينما يمر بمجراه لا يلاقي انحباساً أو احتكاكاً، لأن مجراه خالٍ من المعوقات وهو كذلك في صوت (الواو)[٦].

ولما كان المقام هو إعطاء الحقوق للمؤمنين من الله تعالى، فان عطاء الله سريع، لذا اقتضت الحالة الصوتية هنا السرعة، فاختزلت صوت (الجيم) الثانية وصوت (الياء) لأن بقاءهما يعني زيادة في الفترة الزمنية، وهذا لا يتناسب مع الجو العام للآية، لذا اقتضت المشيئة الإلهية اختلاس هذين الصوتين، فجاءت الآية المباركة بصورة (حقاً علينا نُنْجِ المؤمنين) والله أعلم.

أما قوله تعالى: (فاستجبنا له ونجيناه من الغم، وكذلك نُنْجي المؤمنين) الأنبياء/ ٨٨، فإن المناخ العام لهذه الآية مشحون بالدعاء في قوله تعالى (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) الذي سبقه تقديس الله وتنزيهه وفيه من الخشوع والرهبة من الله تعالى ما فيه. فهذا المناخ الروحاني الذي عمله النبي يونس عليه السلام قد أنتج نوعاً من الاستجابة من قبل الله تعالى لدعائه عليه السلام كما أنجي يونس عليه السلام، وأكد تعالى أنه ينجي المؤمنين إذا دعوه[٧] حيث العطف هنا ورد (بالواو)، وهي عاطفة جامعة[٨] ومعناها مطلق الجمع فتعطف الشيء على مصاحبه[٩]، فعطفت هنا مجمل الإنجاء على الاستجابة ولا أجد فيها الترتيب أو تقديم الثاني على الأول أبدأ حيث لا دليل على ذلك[١٠]، وعليه فان استجابة الدعاء والإنجاء لا يكونان في آن واحد والله أعلم.

إلا أنه في قوله تعالى (وكذلك ننجي المؤمنين) قد تجد فيه التأخير وذلك لأن

انجاء المؤمنين مشروط بدعائهم الله تعالى، فضلاً عن هذا يجد المؤمنون في دعائهم الله السلوة، فنرى المؤمن يستغرق في الدعاء كثيراً لأنه يكون أقرب ما يكون لله أثناء دعائه، وهذا التأخير يفرض في الإيقاع الموسيقي العام للآية نوعاً من التباطؤ، لذا نجد تكرار صوت (الجيم) في (استجبنا، نجّينا، ننجي)، وهذا التكرار يستدعي التباطؤ لأن صوت (الجيم) - كما علمنا - لا يصاحبه حين النطق به انفصال مفاجئ، بل الذي يحدث انفصال العضوين لخروج الهواء يكون بطيئاً وبالنتيجة يستغرق زمناً اكبر، وهذا يتلاءم مع حالة الدعاء حيث ارتباط العبد بربه واستغراقه مع الله تعالى كثيراً، فهنا ناسب بين الزمن الطويل المستغرق في الدعاء وبين الزمن المستغرق لصوت (الجيم)، أي تناسب الإيقاع الداخلي في الآية مع هذه الأصوات المتكررة.

فضلاً عن وجود حرف (الياء) في لفظة (ننجي) هو الآخر دليلاً على زيادة الاستغراق في الزمن المخصص لها، إلا أنه لم يكن بالزمن الطويل وذلك لأن صوت (الياء) من الأصوات المتوسطة الشدة. فحين يمر الهواء بمجراه عند النطق بها لا يلاقي انحباساً لأن مجراه خالٍ من المعوقات، فيكون بالنتيجة زمن النطق للفظة (ننجي) أطول مما في لفظة (ننج) بكسر (الجيم)، لأن مقتضى السياق العام للآية يقتضي الإطالة لذا زيد حرف (الياء) فيها خلافاً لما سبق في (ننج) الذي اختلس منها لملاءمته مقتضى الحال فيها والله أعلم ■

**المصادر:**


١. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي - بيروت/لبنان - ط٩ - ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م.
٢. جامع البيان في تأويل آي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥هـ.
٣. فقه اللغة العربية - الدكتور كاصد ياسر الزيدي - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - جامعة الموصل - ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٤. كتاب حروف المعاني - أبو القاسم عبد الرحمن ابن إسحاق الزجاجي - تحقيق د. علي توفيق الحمد - دار الأمل - مؤسسة الرسالة.
٥. كتاب معاني الحروف - أبي الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي - تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي - دار نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة.
٦. مجمع البيان في تفسير القرآن - الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي - تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٧٩هـ.
٧. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - جمال الدين ابن هشام الأنصاري - تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله - مؤسسة الصادق - طهران - ط١ - ١٣٧٨هـ.
٨. منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث - د. علي زوين - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - ١٩٨٦م.
٩. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي - تحقيق صفوان عدنان داودي - دار القلم - الدار الشامية - دمشق - بيروت - ١٤١٥هـ.


**الهوامش**

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - ٧٨ و٨٠.
(٢) سورة الزمر/٢٨.
(٣) كتاب معاني الحروف/١٠٥ وكتاب حروف المعاني/١٦ ومغني اللبيب -١/١٥٨.
(٤) منهج البحث اللغوي - ٦٨ وفقه اللغة العربية - ٤٤١ - ٤٥٤.
(٥) منهج البحث اللغوي - ٦٨ و٦٩.
(٦) منهج البحث اللغوي - ٦٨.
(٧) مجمع البيان - ٧ - ٦١، تفسير الطبري - ١٧/٧٣ و٨١، تفسير الواحدي - ٢/٧٢٢.
(٨) كتاب معاني الحروف - ٥٩.
(٩) مغني اللبيب - ١/٤٦٣.
(١٠) كتاب حروف المعاني - ٣٦.

مفاهيم سياسية الحلقة ١ :

# النظام البرلماني

• مهدي عابدين
كلية القانون/ جامعة الكوفة

ينابيع ضمن إطار التوجهات العامة لمكتب سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم(مدّ ظله) في رفع المستوى الثقافي والإرشادي لأبناء الشعب عامة ولطلبة العلوم الدينية على وجه الخصوص، وفي ضوء الطروحات السائدة على الساحة العراقية، يتبنى القسم الإعلامي طرح بعض المفاهيم والمصطلحات القانونية لتزويد القارئ الكريم بالمعرفة القانونية بغية الإلمام والإحاطة بها والاستفادة منها في قادم الأيام الذي سوف يكثر الحديث فيها عن مسائل تخص الانتخابات وأنواع النظم وكيفية الانتخاب وما إلى ذلك من المصطلحات الدستورية والقانونية التي بقيت بعيدة عن أذهان الكثيرين بسبب تعتيم النظام البائد عليها وجعل العمل الإعلامي يصب في مصلحة نظامه المقيت.

وقبل الكتابة في مثلٍ هذه المواضيع لابد أولاً من تعريف القارئ الكريم ببعض المفاهيم التي هي مثار الحديث بين أوساط الشارع المثقف خاصة فيما يشار به إلى النظام البرلماني الذي سوف يعمل به نظراً لتكوّن المجتمع العراقي من أطياف متعددة يمكنها الانصهار في بوتقة هذا النظام للخروج بمزيج متجانس يخدم في توجهه مصالح الأمة العراقية.

## النظام البرلماني

نشأ هذا النظام في إنكلترا بعد تحول الحكم فيها من الملكية المطلقة المتمثلة بسيطرة الملك على مقاليد الحكم إلى الملكية الدستورية المقيدة والمتمثلة بسيطرة البرلمان على الملك والتي بدأت بانتصار البرلمان على الملك جون بإصدار العهد الأعظم سنة ١٢١٥م المتضمن استشارة المجلس الكبير (البرلمان) خاصة في ما يتعلق بقوانين الضرائب. إضافة إلى انتصار آخر للبرلمان بإصدار ميثاق الحقوق سنة ١٦٨٩م والذي عُدّ انتهاءً لعصر السلطان المطلق وقيام الملكية الدستورية المقيدة والمسيطر عليها من البرلمان والتي منها تسمية هذا النظام البرلماني. وقد انتقل هذا النظام من إنكلترا إلى دول عديدة كألمانيا وايطاليا والنمسا والهند واليابان وماليزيا ومصر والعديد من الدول.. ومن الجدير ذكره أن النظام البرلماني يمكن تطبيقه في الدول الملكية والدول الجمهورية.

## خصائص النظام البرلماني

١. ثنائية الجهاز التنفيذي: رئيس الدولة (يسود ولا يحكم)، رئيس الحكومة (رئيس الوزراء).

٢. الرقابة المتبادلة: البرلمان يمكنه سحب الثقة من الحكومة، يمكن للحكومة حل البرلمان.

١. ثنائية الجهاز التنفيذي: وتعني أن السلطة التنفيذية متكونة من رئيس دولة إضافة إلى رئيس الحكومة (رئيس الوزراء)، ورئيس الدولة هنا غير مسؤول سياسياً فهو يسود ولا يحكم أما رئيس الوزراء فهو مسؤول سياسياً أمام البرلمان. والسبب في ذلك هو أن رئيس الدولة ليس له سلطات فعلية فسلطاته اسمية وشرفية على عكس رئيس الوزراء الذي يتمتع بسلطات فعلية، وبما أن القاعدة هي متى ما وجدت السلطة وجدت المسؤولية، فلا مسؤولية لرئيس الدولة.

ولعل البعض يتساءل كيف لا يكون لرئيس الدولة في النظام البرلماني سواء كان ملكاً أو رئيس جمهورية سلطات بينما ينص له الدستور على بعض الصلاحيات كحق حل البرلمان وتعيين الوزراء ورئيس الوزراء والتصديق على القوانين؟

وللإجابة على ذلك، إن حقه في حل البرلمان وتعيين الوزراء لا يكون إلا بناء على اقتراح رئيس الوزراء أما فيما يتعلق بالتصديق فهي إجراءات شكلية بحتة، أما فيما يتعلق بتعيين رئيس الوزراء فان رئيس الدولة (ملكاً أو رئيساً للجمهورية) مجبر على اختيار رئيس الوزراء من بين أعضاء حزب الأغلبية في البرلمان، أي أن رئيس الدولة في النهاية مقيد بشكل كبير ويمكن اعتبار صلاحياته على أنها اسمية وليست فعلية.

٢. الرقابة المتبادلة: وتتم ما بين السلطتين التشريعية (البرلمان) والتنفيذية (الحكومة)

وتكون على شقين:

الأول: رقابة السلطة التشريعية على التنفيذية أي البرلمان على الحكومة وتكون عن طريق فتح باب المسؤولية الوزارية من سؤال واستجواب وتحقيق انتهاءً بسحب الثقة من الحكومة أي الوزارة وتشكيل وزارة جديدة.

والثاني: رقابة السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية أي الحكومة على البرلمان وتكون عن طريق حل البرلمان. فهناك سلاحان متوازيان لكل من الحكومة والبرلمان في مواجهة كل منهما الآخر.

وفي الحلقة القادمة إن شاء الله (طرق الانتخابات في الأنظمة الديمقراطية) ■

## الحجّاج وسعيد بن جبير

**لما دخل سعيد بن جبير على الحجّاج قال له: ما اسمك؟ قال: سَعيد بن جُبير، قال: بل شَقي بن كسير، فقال: أمي سمتني سعيداً، قال: شقيتْ، قال: الغيب يعلمه غيرك، فقال الحجّاج: والله لأبدلنّك من دنياك ناراً تلظّى، قال: لو علمت أن ذلك إليك ما اتخذت إلهاً غيرَك، قال الحجّاج: لأقطعنّكَ قطعاً قطعاً ولأفرقنّ أعضاءك عضواً عضواً، قال: إذاً تفسد عليّ دنياي وأفسد عليك آخرتك، فقال: الويل لك، قال: الويل لمن زحزح عن الجنّة وأدخل النار، فقال: اضربوا عنقه.**

**فقال سعيد: أشهد أن لا إله الله وأشهد أن محمداً رسول الله، أستحفظهما حتى ألقاك يوم القيامة، فقال الحجّاج: اضجعوه للذبح، فقال: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، فقال الحجاج: اقلبوا ظهره إلى القبلة، فقرأ سعيد: (فأينما تولوا فثمّ وجه الله)، فقال: كبّوه على وجهه، فقرأ سعيد: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)، فذبح من قفاه.**

**فما بقي الحجّاج بعده إلا ثلاثة أيام.**

# كيف تحافظ الأنظمة الاستبدادية على عروشها؟

• محمد حسن الياسري

ينابيع

توسلت الأنظمة الاستبدادية بوسائل إضافية ساعدتها على البقاء متربعة على عروشها وجاثمة على صدور الناس وكاتمة على أنفاسهم طيلة الفترة الزمنية الطويلة الماضية نذكر الأهم منها وكما يلي:

١. إحاطة نفسها بهالة من العظمة والجبروت، ويتجلى ذلك بفخامة الألقاب وعظمة المسميات التي يسبغونها على أنفسهم من صفات طنانة حتى إنهم يضاهون الله في أسمائه الحسنى وصفاته (جل جلاله)، فالله العظيم والطاغوت بمسمياته المختلفة (رئيس، ملك، أمير، سلطان، زعيم...) أيضا صاحب العظمة والجلالة، ويركعون له كما يركعون لله جل

وعلا والواقع يصدق كل ذلك.

٢. فخامة القصور والرياش ومظاهر الترف والأبهة، والإسراف المتناهي في الحفلات ومراسم التشريفات وما يصاحبها من علائم التكبر وهالة من الغرور والتعالي ومظاهر الهيبة المصطنعة، حتى يصبح الطاغوت وكأنه قدس من الأقداس وإله من الآلهة لكي يشعر الناس بعظمة الطاغوت، وخلق حالة محيطة من القداسة والانبهار في نفوسهم.

٣. خلق حالة المثالية المتناهية لشخصية الطاغوت ليس في أذهان الناس وعقولهم بل تمتد إلى منطقة اللاوعي لديهم لتصبح حالة راسخة بفضل الإعلام المضلل والتكرار والاستمرار طيلة عقود متوالية، فتصبح شخصية الطاغية حتى كأنها حالة أرقى من الصنف البشري وإضفاء سور عليه من الحصانة الإلهية والعصمة النبوية فهو منزه عن الخطأ والخطل وكل ما يبدر منه فهو كالقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٤. إن الطاغية فرد عاجز لا حول له ولا قوة إلا بالمتزلفين والملتفين حوله، حيث شكل منهم قوة القهر والغلبة والإرهاب بالعظمة، والسيطرة بالحديد والنار، ويختار هؤلاء من أقربائه وأبناء عشيرته ومذهبه وعرقه، وعادة ما يكون أغلبهم من الجهلة والأميين ومن ذوي النفوس المريضة والعقول الخربة وممن لا دين لهم ولا ضمير ولا وازع من خلق أو مروءة، ليكونوا أخلص في الدفاع عنه وأوفى من غيرهم (حسب ما يظن هو) إن داهمته الأخطار أو هب عليه إعصار الثوار والمنتفضين، وأيضا ليكون هؤلاء الأتباع أوفى من غيرهم إن تحرك دافع العصبية أو المذهبية ضده، لذا وحسب ما يظن أنه قد أغلق باب الخطر من هذه الجهة بهذا الاختيار، وهذه هي قوة العسكر بكل صنوفها وتعدد ألوانها ومسمياتها وأجهزتها، التي أسبغ على أفرادها الرتب العالية والمرتبات الفخمة والإمتيازات الفريدة والمنح الجزيلة والسيارات الفارهة والقطائع والأراضي، وجعل منهم طبقة فوق المجتمع ومتسلطة عليه بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى وأشركهم في إجرامه وربط مصيرهم بمصيره، فهم كما يقول أحد أتباع الطاغوت نحن مثل طبقة البيض في يده فإذا وقع سقطنا وتكسرنا.

٥. الطاغوت يملك السلطة التي استولى عليها بقوة السلاح وبالتالي يملك كل مقدرات البلاد وثرواتها ومفتاح التصرف بها بيده ولا منازع له في ذلك، إذن فهو يملك السلطة والثروة والسلاح، والثروة والمال، هذا السلاح السحري، الذي يسيل له اللعاب وتشترى به الذمم وتباع به الضمائر وتهلك عليه النفوس و...، حيث يفعل المال في كثير من الأحيان ما لا يفعله غيره في التأثير في الوسط الجماهيري المتحرك، والمال مادة الشهوات كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، فبالمال تقلب الحقائق وتداس القيم ويصبح الظالم عادلاً والمظلوم ظالماً معتدياً باغياً، وبالمال يصير المنكر معروفاً والمعروف منكراً، وبالمال يعبد الطاغوت ويعصى الله والقائمة طويلة لا تنتهي، ولذا ترى الطاغوت ينفق بسخاء لديمومة حكمه وتسلطه، والمال يفعل فعله في

الضمائر الخربة والنفوس المريضة المنافقة، وقد نجح الطاغوت في تجييش الكثير منها ممن ينفخ في بوقه ويسبح بحمده صباحاً مساءً، من سياسيين وإعلاميين ومثقفين وفنانين وكتاب وشعراء وأدباء وممن يسمون اليوم بطبقة النخبة، ورجال دين وغيرهم من الانتهازيين والنفعيين ممن يتاجرون بالمبادىء الخداعة والشعارات البراقة، بل وحتى أنظمة برمتها تم شراؤها.

٦. أحاط الطاغية نفسه بمجموعة من رجال الدين من طبقة وعاظ السلاطين وشيوخ البلاط ممن يزعقون على منابر المسلمين بتمجيد الطاغوت ويزينون أفعاله، ويسبغون عليه الصفة الشرعية، وإن الخارج عليه فهو خارج على ولاة أمره وممن يريد إثارة الفتنة وشق عصا الطاعة وتفريق الجماعة ونشر الفساد في البلاد وبالتالي تنهال عليه فتاوى التكفير والمروق والارتداد عن الملة والدين، ومن جهة أخرى يحظى هؤلاء الوعاظ والشيوخ بجزيل العطاء وبمكانة سامية عند الطاغوت ومن المقربين لديه، فبنى لهم مساجد الضرار كي يسبحون بحمده ويدعون له بطول بقائه ودوام حكمه وعمره، وجعلوا من هذه المساجد وخطب الجمعة والجماعة أبواقاً للجهاد في سبيل الطاغوت وللدفاع عنه ضد أعدائه من المارقين وأصحاب البدع، إن الطاغوت إذا ظهر منه ما ينسب لفعل الخير فهو ليس لوجه الله، بل سمعة ورياء ونفاقا، فهو يريد أن يسرق قلوب الناس بعد أن سرق منهم أموالهم.

٧. خداع السواد الأعظم من الناس بالشعارات الطنانة والأهداف العظيمة، ويحيطونها بهالة من القداسة والتبجيل، مثل تحرير فلسطين والمقاومة الوطنية والوحدة العربية والاشتراكية والحرية وغيرها من الشعارات القومية التي لا طائل تحتها وبان زيفها وتهرؤها من كثرة الاستهلاك والتي لم ولن يراها المواطن

## ثعلب النحوي

دخل بعض الأعراب على ثعلب النحوي فقال: أنشدني يا إمام الأدب أرقّ شعر قالته العرب. فقال: لا أجد أرقّ من قول جرير:

إن العيون التي في طرفها حور  قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به  وهن أضعف خلق الله إنسانا

فقال الأعرابي: هذا شعر قد لاكته العامّة بألسنتها هات غيره، فقال ثعلب: أفدنا مما عندك يا أخا العرب، فقال الأعرابي: قول مسلم صريع الغواني:

نبارز أقران الوغى فنقدّهم  ويغلبنا في السلم لحظ الكواعب
وليست سهام الحرب تفني نفوسنا  ولكن سهام فوقّت في الحواجب

فقال ثعلب لحضار مجلسه: اكتبوها على الحناجر ولو بالخناجر.

المسكين في دول العرب، ولن يذوق طعمها أبدا ما لم ينسلخ من هذا الواقع الفاسد ويتبرأ منه ويخرج ثورة عليه ليغير هذه الأنظمة المتهالكة الفاسدة الشمولية من جمهورية وملكية (جملكية) وسلطنية وغيرها، ويسقط معها شعاراتها والتي بعضها حق يراد به باطل، وأهمها شعار فلسطين وتحرير القدس الشريف، وقد أثبت الواقع المر فشل مشروع القومية العربية الماسوني الصليبي والذي أريد به كبديل للحل الإسلامي والوحدة الإسلامية، فشلا ذريعاً بعد أن قاد الأمة العربية إلى الخسارة والذل والهوان والاستسلام والتمزق والتشرذم والفقر والديكتاتورية وبالتالي بيع مقدرات الأمة للأجنبي، إن هؤلاء الطغاة يعتبرون إن كل ما ينفقونه على الشعوب من فتات هو من كيسهم وأموالهم وليس من مال الشعب الذي وهبه الله لهم من خيرات وموارد.

٨. العمالة للأجنبي:

إن هؤلاء الطواغيت في عالمنا العربي على اختلاف مسمياتهم ما هم إلا دمى تتحرك بيد صناع القرار ومن يوجه دفة السياسة العالمية في واشنطن وخاصة بعد انهيار المعسكر الشرقي وصيرورة العالم تحت سيطرة القطب الواحد، وزاد الأمر إحكاما بشكل خاص بعد أحداث (١١ سبتمبر) والتي عجلت بإظهار الكثير من السياسات التي كانت مخفية طيلة الفترة الماضية، إن أمريكا تعلم علم اليقين أن هؤلاء الطواغيت ما هم إلا أنظمة ديكتاتورية مقيتة حكموا بلدانهم بالحديد والنار قامت هي بتنصيب الكثير منهم، وكلهم يدورون في فلكها ويحققون مصالحها، إنها تعلم إنهم خنقوا الأصوات الحرة وصادروا الحريات وزجوا بمئات الآلاف في السجون والمعتقلات ومات الكثير منهم تحت سياط الجلادين في غياهب السجون وبددوا ثروات شعوبهم على نزواتهم وشهواتهم وتثبيت ملكهم وسرقوا الباقي وأودعوه في بنوك أسيادهم، ولا يهمها ذلك ما دامت مصالحها متحققة على يد هؤلاء.

وثمّة شيء مهم آخر هو أن استمرار هؤلاء الحكام الطواغيت على عروشهم يشكل الضمانة الآمنة للدويلة اللقيطة إسرائيل، وبفعل اللوبي الصهيوني المتحكم في أمريكا، فإن أمريكا أبقت هذه الأنظمة على حالها طيلة الفترة الماضية ولازالت على ذلك رغم تبجحها بانتهاج سياسة الإصلاح في الوطن العربي بعد الإطاحة بعميلها القديم (صدام التكريتي) لأنه ببساطة واضحة جلية أصبح من مصلحتها إسقاطه لانتفاء الحاجة له بعد أن نفذ كل برامجها وما أمرته أن يفعل فيما سبق وأصبح عبء عليها وهكذا هي سياستها دوما مع عملائها خونة الدين والضمير والوطن، مثلما كان مصير جيش أنطوان لحد ومرتزقته في جنوب لبنان، والآن جاء دور مرحلة أخرى تحتاج فيها لوجه آخر وطاقم جديد يحقق مصالحها في العراق والمنطقة، وعلى الرغم أيضا من تبجح بعض هذه الأنظمة من فوق الطاولة بمعاداة أمريكا وتحرير فلسطين والقدس الشريف، لكن ما تحت الطاولة هو النافذ وهذا ما يؤيده الواقع وتشهد له الأحداث، فالشعوب وتحررها وسعادتها ورخاؤها لا يهم شياطين البيت الأبيض المتصهينين ولا توجد لدى أمريكا صداقات دائمة ولا

عداوات دائمة بل مصالح دائمة ومصالحها فوق كل اعتبار، وبالتالي نتيجة لكل ما تقدم، يستمر الطاغوت المستأسد على شعبه والجرذ أمام أمريكا في ظلمه وحكمه الظالم الذي يتمتع به أعوانه وجلاوزته ما دام طيعا لها موافقا لاستراتيجيتها منفذا لبرامجها محققا لمصالحها وقانون أمريكا وكل مستعمر هو:

قَتْلُ امرئٍ في غابَةٍ
جَريمَةٌ لا تُغْتَفَرْ
وَقَتلُ شَعْبٍ آمِنٍ
مَسْألَةٌ فيها نَظَرْ!

وتستمر معاناة الشعب المقهور ويطول ليل عذابه ويصبح الخلاص حلماً قد لا يراه حتى النائم في نومه! إلا أن يرمقه الله جل وعلا بنظرة رحمة فيجعل بها خلاصه.

ونتيجة الاستبداد التي نخلص إليها هي: شعب جائع مقهور، واقتصاد مدمر، وديون هائلة متراكمة لا يعلم بها الشعب، وبطالة متفشية، ومجتمع مفكك، وخلق خرب، وجريمة منظمة، وفساد مستشر، وبنية دولة متهالكة، وقيم طاغوتية منحطة.

إن الاستبداد هو أعظم البلاء، وأكثر هولاً من الحريق، وأعظم تدميرا من الزلزال، وأكثر تخريبا من السيول الجارفة، فالبناء المادي إذا تهدم يمكن بناؤه، ولكن النفوس إذا خربت من ذا الذي يصلحها؟!

إن الاستبداد هو شر محض ونقمة نازلة وكلب مسعور ووباء فتاك يهلك الحرث والنسل ويخرب البلاد ويضل العباد وينشر في الأرض الفساد ■

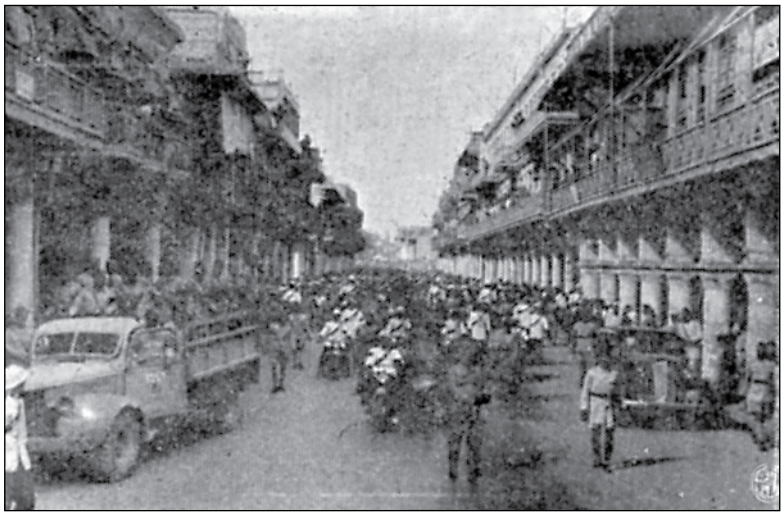

**صورة نادرة**

**جانب من تشييع جنازة السيد أبي الحسن الموسوي الأصفهاني في شارع الرشيد ببغداد، ويبدو في الصورة اشتراك رجال الشرطة والجيش في التشييع.**

# التشريع الإسلامي
## بين أصالته الفكرية وقيادته للحياة

• السيد محمدصادق الخرسان
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع إن ضمان النجاح لأية تجربة تشريعية يعتمد على تأمين الحصانة الفكرية لذلك التشريع، ولا يتيسر ذلك إلا إذا ما تأكد صفاء المنبع وسلامة المصدر، لتتأمن القاعدة المناسبة لنهوض المشروع التشريعي؛ ليدوم نفعه طويلاً ويستديم في قيادته للحياة، وهذا ما نعنيه من أصالة الفكر وقيادة الحياة في العنوان.

ولنر ماذا أعدّ الإسلام في خطته لتشريع الأحكام وسنّ القوانين.

أولاً: نلاحظ أن المشروع القرآني بوصفه الدستور الإسلامي يتضمن خطاباً إلهياً يمكننا من خلال استيعابه أن نتوافر على قراءة دقيقة للأطروحة القرآنية، ويتمثل هذا المشروع بعدة آيات مباركات وردت في الكتاب العزيز الذي (لاَ يَأْتِيه الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِه تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد) فصلت ٤٢.

الآية الأولى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) آل عمران ١٩.

الآية الثانية: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) آل عمران ٨٥.

الآية الثالثة: (..وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) المائدة ٣.

الآية الرابعة: (فَمَنْ يُرِدْ اللّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ) الأنعام ١٢٥.

لنجدها تركز على إعلان مبدأ سيادة الإسلام ليكون ضمن المرحلة الزمنية التي ابتعث الله تعالى نبيه محمداً ﷺ رسولاً ليبلغ رسالته فتكون الدعوة عامة عالمية أممية تدوم ما دامت الحياة وتبقى ما بقي موحد لله، بحيث يعاقب من لم يذعن بذلك كما يتعرض للمساءلة المشكك أو الجاحد، وهذا الإعلان ليمثل مشروع أسلمة العالم.

كما نجد الآيات تركز على أن الإسلام يقدم مشروعه الإصلاحي لكثير من المشكلات التي عانى منها السابقون؛ وذلك من خلال برمجة شؤون الإنسان المختلفة بالمستوى الذي يمثل حلولاً عملية تواكب مسيرة الإنسان الأمر الذي ييسر للمكلف سلوك الطريق وقطع الشوط

وفقاً للإطار الملائم وظروفه الشخصية أو الاجتماعية، ولو صادف حدوث أزمة معينة لدى بعض الأفراد فان السبب في ذلك عدم التكيف المناسب مع الحالة الشرعية من قبل الفرد نفسه؛ حيث تمثل حالة التشريع الخط المستقيم الذي يتوجب على الفرد أن يتأقلم حياتياً معه بما ينسجم وطبيعة ظرفه، وان هذا المشروع الإصلاحي ليمثل الإرادة القوية في أن يكون الإسلام حاضراً عالمياً أو ما يسمى بـ(عالمية الإسلام).

كما نجد الآيات تبين كون الإسلام حالة اختيارية تحقق إرادة إلهية ضمن عملية الدلالة والتوجيه لعلمنا بعدم الجبر على الطاعة أو سواها وإنما توجد مؤشرات تبين المحبوب والمكروه ليتبين الناس مواقع الهدى والرشاد فيسلكوا إليها ويتحركوا نحوها بمحض إرادتهم عندما يكونون قد قرروا ذلك؛ حيث يعرف الجميع أن الله تعالى يحب الخير ويكره الشر حتى أنهم يتمثلون في خواطرهم دائماً أن الإرشاد الإلهي نحو الإسلام يعني حالة من الغبطة والسعادة حيث يهيئ سبحانه الأسباب لتفاعلهم العقلي والجسدي مع الإسلام وهذا ما نستوحيه من قوله تعالى: (يَشْرَحَ صَدْرَهُ للإسلام) حيث يتبين أن تأهيل الإنسان نفسياً واجتماعياً يهيئ له فرصة كريمة ليستثمرها من خلال تجاوبه بالبحث والاستقصاء حتى يقتنع بسيادة الإسلام. ولنا أن نستهدي بقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة ١٥٢ حيث يقول:

(إن الله تعالى خصكم بالإسلام واستخلصكم له؛ وذلك لأنه اسم سلامة وجماعُ كرامة اصطفى الله تعالى منهجه وبيّن حججه) الأمر الذي يوضح امتياز الإسلام عن سائر الأديان فيلغي تأثيرها التشريعي في مرحلته حتى يوم القيامة، بل من لم يأخذ به وصدّ عنه فهو كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة ١٦١: (فـ(مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلَام ديناً) تحقق شقوته وتنفصم عروته وتعظم كبوته ويكن مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الوبيل) فهو بذلك يكون قد اصطدم بالخطر الذي لا يقيله منه سوى الاستغفار والالتزام التام بالتعاليم الشرعية لينفتح على آفاق تتسع لعلاقة طيبة مع الإسلام في أصوله وفروعه وسائر أخلاقياته التي تسعى لترشيد الملتزم بها في أفعاله وأقواله وتصوراته في اختياراته، ومع ذلك فينبغي للإنسان أن لا يترك الالتجاء إلى الله تعالى طلباً للتسديد لأنه الأمل الوحيد المؤكد لسلامة الخطوات وضمان النجاة، لذا نجد الإمام علي السجاد عليه السلام في دعائه بالعافية يسأل الله تعالى بقوله: (اشرح لمراشد دينك قلبي) مبيناً أن الوسائل التي يعتمدها الإنسان مهما كانت فاعليتها لا تؤثر في الاهتداء إلى الصواب ما لم تتعزز بتوفيق الله سبحانه وعنايته.

ثانياً: مما أعده الإسلام في خطته التشريعية: نلاحظ أنه استعان بما يحسه

الناس سواء بالغرائز أم الأحاسيس أم مراكز التفكير لديهم؛ حيث جعلها عاملاً نشيطاً يتسم برهافة الحس من أجل إبعادهم عن مواقع الشر أو تقريبهم من مواقف الخير.

فنجد أن الإنسان يدرك بما يمتلكه من قوة تفكيرية أن المساهمة في الإبقاء على الحياة أمر مستحسن وان القتل أو التسبيب له مستنكر، وهذا ما يختصر الخطوات التقنينية الملزمة اتكالاً على الطبع السليم والعقل القويم لأن ذلك أجدى وأنفع.

ثالثاً: نلاحظ استعمل اليسر واللين في تبليغ الأحكام الشرعية إلى الذهنية البشرية بلا ضغط أو تأثير سيء الظروف لاقتناع المكلف بكون الحلول الإسلامية أكثر ملائمة لسير الحياة الإنسانية ومن دون تعصب أو تنكر لقضايا الحياة وتطورها، على أن لا يكون هذا سبباً للانكماش عن إعلان المبادئ والأهداف وإنما فضّل المشرع أن يتم ذلك بروح تتفق ومتطلبات أية مرحلة لئلا يحدث انثيال وإقبال بدافع سوى الاقتناع والإيمان اللذين يؤمّل منهما تحقيق التواصل المنشود بين التشريع كنظرية والفرد كمكلف بالتطبيق.

وان هذا التواصل المنشود يثمر تفاعلاً وانشداداً فلا يصدم الفرد بواقع يستغربه ـ كلاً أو بعضاً ـ بل يجد التشريع متأقلماً مع الحدث أساساً لم يكلفه سبحانه بما لا يطاق أو بما تستوحشه الطبيعة الإنسانية، نعم لا ينكر ابتعاد البعض عن الأصالة من خلال انشداده أو تأثره بالفكر المادي أو تناغمه مع أجواء ثقافة التغريب وعندها يعتبر بعض مفردات التشريع غير منسجمة مع الحداثة أو العصرنة أو المرحلة التي يعيشها، ومن الواضح أن المشكلة طارئة بطروء بعض الأفكار البعيدة عن الروح الإسلامية.

ولاكتمال الإطار الصحيح للصورة نحاول عرض بعض المفردات التشريعية التي تتنوع بدورها إلى ما يمثل علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بالإنسان، وعلاقته بالمجتمع.

١. فمثلاً الصلاة بما ترمز إليه من صلة روحية يراد لها أن تكون علاقة ذات درجات عالية في المستوى المعنوي للإنسان، لم تكن معيقة له في وصوله إلى مطمح في أي ظرف من ظروف الحياة المتغيرة؛ حيث نجد أنها تستوعب في الجانب التشريعي الحالات البشرية المتعددة بتعدد حضر الإنسان وسفره وصحته ومرضه وأمنه وخوفه وسائر الحالات التي من شأنها تبديل الحكم بما يكشف عن واقعية كون الصلاة تمتلك البرنامج التنظيمي لمفردات لا يستغني عنها الإنسان مهما بلغ وان تجاهلها كثير، ويلاحظ اختيار التمثيل بالصلاة من بين الواجبات لأنها مما يعيشه الإنسان بعمق جسدياً وزمانياً بخلاف ما سواها مما تكون العلاقة به سنوية أو ضمن

**إن الإنسان يدرك بما يمتلكه من قوة تفكيرية أن المساهمة في الإبقاء على الحياة أمراً مستحسناً، وأن القتل أو التسبيب له شيء مستنكر.**

محور خاص.

٢. والعلاقة بين الأفراد بما هم متفقو الجنس أو مختلفوه كالحجاب ومزاولة العمل بعامة أو بعض الأصناف منه بخاصة أو الالتزامات العقدية التجارية وسواها، وعدم التجاوز على حقوق الفرد المقابل سواء على الصعيد الإسلامي أو الإنساني وعدم الاختلاط المشبوه وعدم التسامح في حقوق الإنسان المقابل مما يترتب عليه الأضرار المالية أو المعنوية أو الاجتماعية بل الوطنية أحياناً، فنجد أن التشريع قد وضع بعض المؤشرات لضمان الحقوق والمستحقات مع انفتاحه على الواقع الحياتي بشكل مرن قابل لمسايرة المستجدات العصرية أي بمعنى سعي الإسلام إلى تقنين أصول العلاقة الاجتماعية ووضع الضوابط الكفيلة بالمحافظة على حقوق المواطنة وغيرها مما قد يتجاوز عليه البعض فلذا نرى الحكم الشرعي غير ملائم للفئة المتجاوزة، وبهذا نستشعر اهتمام المشرع بالإعلان عن أن للمجتمع ـ كوحدة تتألف من عناصر كثيرة ـ التزاماً جميعاً تسود فيه مراعاة الآخرين واحترام خصوصياتهم وإلا لتعطل الدور المنشود للإنسان في إغناء الحركة الحياتية بكل ما يطورها ويرفع من المستوى الإنمائي، مع تأجيل وقتي لدور الغريزة وما تسببه في كثير من الحالات من إرباك في العملية التعايشية أو الإنتاجية.

٣. والعلاقة بالمجتمع ككل في حالته التنظيرية التي تهدف إلى رفد الأفراد بوسائل التقنية المتطورة أو سواها مما يرتبط بالطبيعة الحياتية وأسلوب تكيفها مع المتغيرات وطريقة معالجتها للمستجدات، فنلاحظ أن التشريع الإسلامي اعتمد أسلوباً نجح من خلاله في الجمع بين الثوابت والمبادئ من جهة والطريقة العصرية من جهة أخرى، ولذلك كان موفقاً جداً حيث أتاح الفرصة أمام الإفادة من التطور العلمي الذي يساعد على تحقيق الطموحات وإنجاز الآمال على الصعيد العملي، ولنذكر نماذج تطبيقية[1]:

أ. التشريح: بما هو ضرر معنوي يلحق شخصية من يشرّح ـ مضافاً إلى الضرر الجسدي ـ بما يصطلح عليه بـ(هتك حرمة المسلم) محرم ما لم يكن مستوجباً تركه الوقوع في الإحراج الذي لا يتفادى منه عادة أو ما لو كان بجثة غير المسلم، فعندئذ يسوغ نظراً للحرج الذي لم يجعله الله تعالى في تشريعاته، أو نظراً لعدم شمول الأدلة الشرعية لحرمة جثة الكافر، وهذا ما يُبرِّز مبدأ سيادة الإسلام الذي لم يتعارض مع المتبنيات القانونية لغيره حيث نجد كثيراً من غير المسلمين يقدمون على التشريح أو يسهلون السبيل أمام تعلم طرقه العلمية ودروسه التطبيقية، فنلاحظ أن المنع الشرعي من المشاركة في التشريح لمن يُطلب منهم أو من يمارسونه أصلاً لم يكن ليعتقد الحالة بل الثابت على صعيد الواقع المعاش

**إن التشريع الإسلامي اعتمد أسلوباً نجح من خلاله في الجمع بين الثوابت والمبادئ من جهة، والطريقة العصرية من جهة أخرى.**

ومنذ سنوات هو عدم الفرض على الطلبة والطالبات كلهم وإنما هناك آلية في هذا الدرس التطبيقي يتحدد مسارها بجانبين: الممارسة والمتابعة، وكل منهما في ضوء توجيه المشرف وبيانه، إننا لنؤمن يقيناً بأن الإسلام لم يكن حجر عثرة في طريق التقدم وإنما لا يحسن لبعض المسلمين الإفادة من الوسائل التقنية أو النظريات العلمية بالشكل الذي يحفظ له انتسابه للإسلام.

ب. الغش في الامتحان: حيث يلجأ البعض إلى استعمال قنوات معلوماتية غير نزيهة وهي بالتالي غير مشروعة لما تسببه من إخلال بالنظام القانوني القائم على الالتزام الكامل بأداء المطلوب تربوياً أو تعليمياً حتى لا تتلكأ المسيرة التكاملية للفرد ومن خلاله للمجتمع، ولما يؤدي إليه من تدني المستوى الثقافي العلمي للأمة التي يكثر فيها ذلك البعض، لان القلق كبير جراء تقادم الحالة السلبية عبر الأجيال الأمر الذي يشكل خطوة لا تقل عن خطورة السلاح المدمر للأجساد أو الممتلكات، كما نلاحظ أن التشريع الإسلامي قد استعان بأداة تحفظ للمجتمع طاقاته النافعة التي من شأنها بناء المستقبل الزاهر للأمة والازدهار للوطن وكانت تلك الأداة من خلال التشديد على المنع من الغش مدرسياً أو وظيفياً أو حياتياً وبمختلف مستوياته التي تعتبر تزويراً وخلطاً للجيد بالرديء وتعمداً للإخلال بالمطلوب.

ج. الإجهاض: حيث يعني الإقدام الإرادي على إنهاء حياة نفس محترمة جناية قد رتب المشروع عليها الديّة توصلاً إلى تحجيمها كحالة سيئة تصادر حياة الآخرين تلبية لرغبات شخصية لا تتأهل لأن تكون سبباً وجيهاً في الغالب، نعم هناك بعض الحالات الخاصة التي يراعى فيها تقديم الأهم على المهم أو دفع الحرج الشديد ونحو ذلك مما يشكل مساحة خاصة في أسلوب التعامل الاضطراري، فنلاحظ أن هذه المعالجة التي تحد المزيد من هدر كرامة الإنسان مع كونه الخليفة في الأرض في المنظور القرآني والتخطيط الإلهي، لهي خطوة مهمة في طريق تأصيل النظام الإسلامي عالمياً للمسلمين ولغيرهم تأكيداً على أهمية احترام حقوق الإنسان.

د. التدليك واللمس والنظر وما تستلزمه عملية الفحص السريري فنلاحظ أن التشريع الإسلامي قد أبدى مرونة بمقدار ما تلح به الحاجة الإنسانية عندما تصل إلى مستوى خوف تلف الحياة، ولكنه دعا إلى تجنب المباشرة الجسدية من خلال استعمال الكفوف العازلة أو الآلات العاكسة، ونجد أن هذا الأسلوب يحافظ على مبدأ سيادة الإسلام كقانون وعلى حق الإنسان في الحياة بوصفه مكلفاً.

**إن الإسلام لم يكن يوماً حجر عثرة في طريق التقدم وإنما لا يحسن لبعض المسلمين الإفادة من الوسائل التقنية بالشكل الذي يحفظ له انتسابه للإسلام.**

هـ. إجراء التجارب الدوائية أو البحثية

الأخرى على المريض بما لا ينسجم مع كونه إنساناً يحظى بحقه في الحياة بلا مصادرة أو اقتحام بغية إنجاح تجربة أو تحصيل درجة علمية معينة، حيث نلاحظ أن التشريع الإسلامي بصفته الراعي للحقوق قد منع أمثال هذه التجارب غير المأمونة العاقبة بل غير المعروفة النتائج أصلاً لغرض كونها تجربة تخضع للنجاح أو الفشل، وكان هذا المنع مؤشراً على كون استعمال جسد هذا المريض المسلم حقلاً للتجارب لهو اختراق وتعد ومجازفة وبالتالي تكون الخسارة فادحة وهو ما يشكل تطبيقاً جديداً للقمع ضد البشر.

وفي الختام قد اتضح أن التشريع الإسلامي كان يمثل القاعدة التنظيمية التي تستوعب مفردات كثيرة ومختلفة في حياة الإنسان بما يمتلك من خصوبة فكرية ولنسمي هذه القاعدة التنظيمية بسدّاد الأمان وطوق النجاة مما يتعرض له الإنسان من مخاطر الغريزة والعيش ضمن محاور سياسة التغريب وثقافته التي يهتم بنشرهما الأعداء، وقى الله المسلمين شرهما ■

### الهوامش

(١) قد روعي في اختيار النماذج عنصر الملائمة للواقع الدراسي في كلية الطب حيث كانت النقاط الرئيسة لهذا الموضوع جزءاً من محاضرة وحوارية على مسامع طلبتها يوم السبت ٢٧/رمضان/١٤٢٤هـ في قاعة كلية طب الكوفة.

### أبو الأسود الدؤلي

مرّ أبو الأسود الدؤلي الشاعر والنحوي ومعه امرأته في بعض سكك المدينة، فرآها عمر بن أبي ربيعة فتعرض لها فأتت زوجها أبا الأسود فأخبرته، فأتاه أبو الأسود وعاتبه فأنكر عمر وقال له: ما فعلت شيئاً، ثم لقيها عمر مرة أخرى فكلمها، فلم تجبه، وأعرضت عنه وأتت زوجها ثانية فأخبرته بما فعل عمر. فجاء أبو الأسود إلى عمر وهو جالس مع قوم فقال له:

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا
وعن شتم أقوام خلائق أربع
حياء وإسلام وبقيا وإنني
كريم ومثلي قد يضر وينفع
فشتان ما بيني وبينك إنني
على كل حال أستقيم وتضلع

فقال عمر: لست أعود إلى كلامها بعد هذا اليوم، إلا أنه عاد وكلمها، فأخبرت أبا الأسود فقال له:

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى
وسيدنا لولا خلائق أربع
نكول عن الجلى وقرب من الخنا
وبخل عن الجدوى وإنك تبع

وخرج أبو الأسود مشتملاً على سيفه ومعه امرأته فلما رآهما عمر أعرض عنهما، فقال أبو الأسود متمثلاً:

تعدو الأسود على من لا كلاب له
وتتقي صولة المستأسد الحامي

# جهود الأئمة (ع) في خدمة القرآن والعقيدة

• د. ستـــار الأعرجي

ينابيع

**إن المتصـــدي لاســـتعراض تاريـــخ الأئمة عليهم السلام وصلتهم بالقـــرآن الكريم يتلمـــس بوضوح أهمية جهودهم عليهم السلام في التصدي لتفســـير النـــص، وبيان معانيه واســـتنطاقه ليتبين بوضوح خصوصية أهليتهـــم المتفردة، ابتداء من أولهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حتى آخرهم عليهم السلام .**

فممـا لا يسـع منكـراً أن ينكـره أفضليـة علـي عليه السلام وسـعة علمـه بالقرآن، وأولويتـه وأسـبقيته إلى تأويلـه وقربه من ينبوعه الأصيل ولصوقه به فهو الباب الذي تنبثـق منـه ينابيع العلـم ويطلع منـه آفاقه المطلقـة من مصدر الوحي، روى عبد الله بـن عباس عـن الرسـول صلى الله عليه وآله أنه قـال: (أنا مدينـة العلم وعلي بابها فمـن أراد المدينة فليأت من الباب)[1].

وإذا كان محمـد صلى الله عليه وآله الناطق بلسـان الوحـي وطريـق تلقيـه عـن السـماء (وما ينطـق عن الهـوى إن هو إلا وحـي يوحى) النجـم:٣-٤. فإن عليـاً عليه السلام هو نفس محمد بدلالة آية المباهلة قوله تعالى: (فمن حاجك فيـه من بعد ما جاءك مـن العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونسـاءنا ونسـاءكم وأنفسـنا وأنفسـكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله علـى الكاذبين) آل عمران:٦١، كما يرى مفسـرو الإمامية[2] وهو أقرب الناس إليه ومكمل مهمتـه من بعده ووارث علمه وصنـو القـرآن وعدلـه ومسـتنطقه يروي سـليم بن قيـس الهلالي عنـه عليه السلام أنه قال: (مـا نزلت علـى الرسـول صلى الله عليه وآله مـن آية من القـرآن إلا اقرأنيها وأملاها عليّ وكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ودعا الله عز وجل أن يعلمني فهمها وحفظها فما نسـيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه إليّ فكتبته وما ترك شيئاً أعلمه الله عـز وجـل ولا أمراً ولا نهيـاً وما كان وما يكون من طاعته أو معصيته إلا علمنيه وحفظته فلم أنس منه حرفاً واحداً)[3].

ويؤكـد الإمـام عليه السلام خصوصيته في القـرب منه فيقول: (وليـس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يسأله ويسـتفهمه حتى أنهم كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي أو الطاري حتى يسمعوا كلامه وكان لا يمر بي من ذلك شـيء إلا سألته عنه وحفظته..)[4]. هذا القـرب من النبي صلى الله عليه وآله بـكل معانيه والتلقي عنه جعل علياً عليه السلام محيطـاً بعلوم الكتاب الكريم حتى اهلّـه ذلك إلى أن يقول على رؤوس الأشـهاد (سـلوني قبل أن تفقدوني والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عـن آية، في ليل نزلت أو في نهار أنزلت، مكيهـا ومدنيهـا، سـفريها وحضريهـا، ناسخها ومنسـوخها، محكمها ومتشابهها وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم به)[5].

وهـو القائـل يصف سـعة علمـه: (بل اندمجـت علـى مكنـون علم لـو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشـية في الطوى البعيـدة)[6] على مثل هـذا كان عليه السلام دائرة معـارف القـرآن ورأس علمائـه ومن عنده علم الكتاب الذي أشارت إليه الآية ـ كما يـرى الإمامية وكثيرون غيرهم ـ في قوله تعالى: (ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شـهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) الرعد:٤٣.

إذ تـرد العديد مـن الروايات عن أئمة آل البيت عليهم السلام وجمع من الصحابة ثم كثير من المفسرين على نزولها فيه[7].

ولقـد تكاثـرت المصاديـق علـى اختصاصـه عليه السلام بهـذا الوصـف، وكونـه أعلـم صحابـة رسـول الله صلى الله عليه وآله بالكتاب، فضلا عـن غيرهم، وهذا مـا تعارف عليه الصحابة أنفسـهم فقد سئل ابن عباس وهو الموصوف بحَبـر الأمة وترجمـان القرآن والملازم لعلي عليه السلام وتلميذه وخريجه كما يعبر ابن أبـي الحديد[8] وقد عرف من بين الصحابـة بكثرة ما ورد عنه من الروايات في تفسير القرآن وقد سئل: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة المطر إلى البحر المحيط![9].

وفي رواية عن سعيد بن المسيب: (أن ابن عباس رضي الله عنه سأل رجلاً: أعلي أعلم عندك أم أنا؟ فقال الرجل: لو كان أعلم عندي منك سألتك ـ وكان جاءه سائلاً ـ قال: فغضب ابن عباس حتى اشتد غضبه ثم قال: ثكلتك أمك علي علمني وكان علمه من رسول الله صلى الله عليه وآله ورسوله الله صلى الله عليه وآله علمه الله من فوق عرشه فعلم النبي صلى الله عليه وآله من الله وعلم علي من النبي وعلمي من علي وعلم أصحاب محمد كلهم في علم علي كالقطرة الواحدة من سبعة أبحر)[١٠].

هذه الملامح المهمة من العلاقة الوثيقة بين الإمام والنص القرآني اتضحت في خصوصية فهمه عليه السلام إلى درجة يصورها في قوله لمن سأله: هل عندكم شيء من الوحي؟

فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه[١١].

وإنعام النظر في قوله عليه السلام يثبت أن أقل ما يدل عليه (إن ما نقل عنه من أعاجيب المعارف الصادرة عن مقامه العلمي الذي يدهش العقول مأخوذ من القرآن الكريم)[١٢].

هذا الفهم الكامل للنص القرآني الذي تعبر عنه الروايات السابقة يصفه الإمام عليه السلام بأنه استنطاق للنص الذي لا ينطق بنفسه وإنما تلك مهمة الإمام المعصوم ووظيفته التي يرثها عن النبي صلى الله عليه وآله يقول عليه السلام: (أرسله صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي بين يديه والنور المقتدى، ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه..)[١٣].

وقد قام عليه السلام بهذه المهمة الجليلة خير قيام حتى أننا لو أحصينا ما روي عنه عليه السلام لوجدناه أكثر الصحابة تصدياً لتفسير القرآن حتى قال ابن أبي الحديد: (إن أكثر علم التفسير أخذ عنه)[١٤].

وكان لخصوصيته العلمية وقربه من النبي صلى الله عليه وآله من جهة وامتداد حياته طوال فترة الخلافة من جهة أخرى أثر كبير في سعة هذه الجهود ووضوح أثرها في تفسير القرآن الكريم بخاصة وقد اشتدت الحاجة بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله إلى توضيح معاني القرآن، وبرزت قضايا جديدة وحاجات فرضتها طبيعة اتساع الرقعة الجغرافية لدولة الإسلام أو طبيعة التلاقح الحضاري والعقائدي الذي فرض تحديات أخرى أوجبت تصدي علماء الدين إلى بلورة المنظور الإسلامي للعقيدة المستمدة من الكتاب الكريم وكان علي عليه السلام وأبناؤه من بعده في مقدمة من وقف تلك الوقفة وهي مهمة الإمام المعصوم التي سنجد أن متكلمي الإمامية يرونها أساساً ودليلاً لإثبات وجوب الإمامة إذ لا بد من وجود الإمام المعصوم (لانتفاء البيان في النص في كل زمان يبين للناس في القرآن والسنة فلا يحصل البيان يقينا، وحيث أن هناك تلازماً بين أمره تعالى بالتقوى وضرورة البيان وان التقوى مترتبة وتالية للبيان ومنوطة به وحيث أن النص فيه المتشابه والمحكم والمجمل والظاهر فلابد من معصوم، إذ لولا وجود المعصوم المبين للآيات الذي يحصل بقوله اليقين لم يحصل ما أنيط به من التقوى وهو مقتضى قوله تعالى: كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون)[١٥] سورة البقرة:٧ ١٨٧.

هذا الإرث العظيم الذي خلفه الإمام عليه السلام والذي لم يتهيأ لهذا البحث في حدوده الضيقة إلا لمس جوانب بسيطة منه هو التركة التي انتقلت إلى الأئمة الآخرين عليهم السلام ولاسيما أننا قد أسلفنا القول:

إن أحد طرق علم الإمام هو التلقي عن سابقه مما شكّل منظومة يكمل بعضها بعضاً وكان لكل من الأئمة دوره الواضح فيها وان تفاوتت ملامحها التطبيقية الواقعية لكل إمام منهم بتأثير الظروف السائدة في عصره وطبيعة حاجات ذلك العصر والمؤثرات السياسية والفكرية فيه مما كان له أثر واضح في بروز الدور العلمي لبعض الأئمة أكثر من الباقين ومن خلال إلقاء نظرة سريعة على الساحة الفكرية التي غطتها مدة حياتهم لاستقراء طبيعة جهد كل منهم نلتقط بعض الشذرات من ملامح دورهم.

وأول ما يتجلى ذلك في خصوصية الدور الكبير الذي أدّاه الإمام الحسن الزكي عليه السلام (استشهد ٥٠ هـ) حيث سار على نهج أبيه عليه السلام في حمل راية الإمامة بكل ما احتملته من مهام جليلة كان أهمها الحفاظ على مسيرة الإسلام العظيم وتثبيت ركائز العقيدة في فترة حالكة شهدت أحداثاً جليلة استدعت منه تلك الوقفة التي حفظت بيضة الإسلام.

فقد كانت له عليه السلام مواقف في الدفاع عن العقيدة تركت أثراً كبيراً في صياغة المنظور الإسلامي عموماً والإمامي على وجه الخصوص والذي يقوم على استجلاء المعاني الواقعية للنص القرآني والنبوي باستنطاقهما ليبوحا بما حملاه من أبعاد ذلك المنظور المتكامل المعصوم.

وأكثر ما نجد مصاديق ذلك فيما ورد عنه عليه السلام من المناظرات والمحاججات التي تناولت أغلب مباحث العقيدة وجوانبها وخصت أصل الإمامة وإثباتها والنص عليها وبيان أحقيتهم عليهم السلام بها بمساحة كبيرة[١٦].

وقد حفلت المجاميع الحديثة وكتب العقيدة عند الإمامية بالكثير من هذه النصوص الواردة عنه عليه السلام والتي شكلت رصيداً تمثله متكلمو الإمامية فيما بعد مع ما ورد عن باقي الأئمة عليهم السلام وأسسوا في ضوئه ركائز المنظومة العقائدية للإمامية.

واستكمالاً لهذا الدور نجد أن الإمام الحسين بن علي عليه السلام (استشهد ٦١هـ) قد بين أسس الإمامة ودافع عن مفاهيمها وضوابطها التي أهمها أن الإمامة عنده ـ وهي من أصول الدين ـ لم تكن مجرد منصب سياسي ولا الموقف تجاهها سياسياً وإنما كانت عنده مسؤولية للإمام تجاه الله يتولاها بالنص ولذلك فهو حين لم يبايع يزيد فلأنه يرى أنه (في ظل دولة يقوم نظامها السياسي على أسس دينية فلا

**نبوة وخلافة..**

**سأل هشامُ بن الحكم جماعة من المتكلمين فقال: أخبروني حين بعث الله محمداً(ص) بعثه بنعمة تامة أو بنعمة ناقصة، قالوا: بنعمة تامة.**

**قال: فأيما أتم أن يكون في أهل بيت واحد نبوة وخلافة؟ أو يكون نبوة بلا خلافة؟ قالوا: بل يكون نبوة وخلافة.**

**قال: فلماذا جعلتموها في غيرها، فإذا صارت في بني هاشم ضربتم وجوههم بالسيوف، فأفحموا.**

تعد البيعة أو انتخاب الحاكم مجرد عمل سياسي وان بيعة يزيد انحراف عن أصل من أصول الدين)[١٧].

وانطلاقاً من هذا الأصل بالذات وهو من أهم ركائز المنهج العقائدي عند الإمامية كانت ثورته ضد الحكم الأموي قضية ومبدأ دينياً (يتصل بالدعوة والعقيدة أكثر مما يتصل بالسياسة والحرب. ذلك أن معاوية لم يكن يدعم ملكه بالقوة فحسب بل بأيدلوجية تمس العقيدة في الصميم)[١٨].

فقد حاول الحكم الأموي أن يرسخ نظرية في القضاء والقدر تتقاطع مع ركائز العقيدة الإسلامية وتناقض القرآن وتنسب انحرافات الحكام إلى قضاء إلهي وتمثيل بشري لإرادة السماء وهي قضية تمثلت في سيادة عقيدة الجبر وان الخليفة ظل الله في الأرض والمنفذ لإرادته وهو ما عبر عنه بالتفويض الإلهي الذي بنت عليه الدولة الأموية بعامة وحكم معاوية ويزيد بخاصة مسألة الخروج عن المبدأ الإسلامي في الحاكمية السياسية وتحويلها إلى قيصرية وراثية لا تحدها الضوابط الدينية الروحية التي تمثل أهم ركائز الأهلية للخليفة فكان يراد مثلاً تثبيت أن اختيار يزيد للخلافة كان بقضاء من الله تعالى وليس للعباد خيرة في أمرهم وهكذا كاد يكون من مظاهر العقيدة أن تترسخ نظرية التفويض الإلهي للحاكم بغض النظر عما إذا كانت مسيرته في طاعة الله أو سخطه وكأنه قضاء حتمي على العباد وهي تحولات دراماتيكية في مسيرة العقيدة الإسلامية كانت لها آثار مدمرة في الواقع العقائدي والسياسي فيما بعد فكان خروجه عليه السلام تصحيحاً للمسيرة وترسيخاً لمفاهيم الدعوة الإسلامية الصحيحة وتأسيساً لأصول الموقف المبدئي من قضية الإمامة (الخلاقة) ومعايير النظر إليها ودفاعاً عن الحق الديني وليس الشخصي في اختصاص الإمام عليه السلام بالنص الإلهي بطريق النص من النبي صلى الله عليه وآله ثم نص الأئمة السابق منهم على اللاحق.

وكان لاستشهاده في سبيل هذا المبدأ ثمار جليلة من أهمها أنه مثل (نقطة تحول في التفكير السني من حيث استنكار جمهور أهل السنة موالاة خلفاء الجور وانتهوا إلى اعتبار الخلافة الدينية منتهية بتنازل الإمام الحسن)[١٩].

ونلاحظ أن الخط الفكري لولده الإمام علي بن الحسين عليه السلام (ت: ٩٥هـ) قد طبع بطابع الدعاء[٢٠] كمجال اعتمده الإمام لبث الدعوة الإسلامية فالصحيفة السجادية التي ضمت ما ورد عنه عليه السلام من أدعية حملت الكثير من المفاهيم القرآنية وجلّت الأصول العقائدية وأسست لمنهج فكري ينطلق من تحقيق الصلة مع الله تعالى كأساس لبناء عقيدة قوية تضع الإنسان على آفاق بناء النظام الإسلامي الاجتماعي والتعبدي والعقائدي الذي أسس القرآن الكريم والسنة الشريفة ركائزه الأولى[٢١].

وانطلق الخط الفكري عند الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام (ت: ١١٤هـ) من دور التوجه إلى التوسع في بث العلوم والمعارف حتى لنلاحظ أن ممارسته لإمامته أكثر ما تبرز من (كثرة روايته الأحاديث عن الرسول(ص) وعن آبائه عليه السلام وبثّ العلوم والمعارف بكل وسيلة بحيث شكل ذلك مصداقاً جليا للروايات المشهورة في تلقيب الرسول صلى الله عليه وآله له بالباقر[٢٢] وهو وصف صار خاصاً به عليه السلام حتى لا يطلق إلا وينصرف الذهن إليه وحده كما تعارف أهل اللغة فنجدهم

في تعريفهم البَقْرُ انه شق العلم والتوسع فيه واستنباط فروعه وانه لذلك سمي محمد بن علي بالباقر[٢٣] فقد أثرت عنه عليه السلام علوم ومعارف في شتى المجالات الفكرية الإسلامية وبرزت في عصره على وجه الخصوص ملامح الاكتمال لمذهب الشيعة الإمامية في آرائه في العقيدة، والاستقلال التام في آرائهم[٢٤]. ولاسيما أن من أهم ملامح عصره عليه السلام ظهور الاعتزال وشيوع الجدل والمناظرات في التوحيد والذات والصفات.. الخ.

حتى قيل: (لم يظهر عن أحد من أولاد الحسن والحسين عليهما السلام من العلوم ما ظهر منه من التفسير والكلام والفتيا)[٢٥].

ويعد تولي الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ت: ١٤٨هـ) الإمامة بعد أبيه الباقر مرحلة تاريخية فاصلة وحاسمة طبعت المذهب بطابعها في جميع المجالات الفكرية وكان لطبيعة عصره كونه مرحلة انتقال السلطة من الأمويين إلى العباسيين أن فسح أمامه المجال واسعا لترسيخ أسس الفكر الإمامي وان يتوسع في جهده العلمي وعطائه الفكري فتوزعت اهتماماته على شتى العلوم الدينية وتناولت العلوم الأخرى كالكيمياء والفلك والرياضيات.

وقد استقل الإمام عليه السلام بالإمامة مدة أربعة وثلاثين سنة (١١٤-١٤٨هـ) كانت لها أهمية كبيرة في وضوح أثره البارز في فكر الإمامية وتبين ذلك بوضوح تام في منهجه الفكري القائم على أساس المحافظة على العقيدة الإسلامية في وجه تيارات الإلحاد والزندقة التي سادت عصره، وموقفه من الحجاج والمناظرة مع أتباع الفرق الإسلامية الأخرى[٢٦] ولاسيما أن بدايات علم الكلام ظهرت في هذا العصر.

وكان لمنهجه أثره الواضح في تشكيل منهج الإمامية الكلامي والتفسيري ويظهر اثر ذلك بوضوح من كثرة تلامذته الذين عدوا بأربعة آلاف[٢٧]. وقد نسب إليه تفسير للقرآن[٢٨] وجمع تلميذه (المفضل) مجالسه وأماليه التي ضمنها آراء كلامية مهمة تناولت شتى مفاهيم العقيدة[٢٩]. كما رويت عنه المئات من الروايات في التفسير والعقائد تضمنتها كتب الحديث والعقائد[٣٠].

وصارت للإمام الصادق عليه السلام بسعة علمه وكثرة الآخذ عنه مدرسة بل جامعة إسلامية كبرى انتشرت آثارها في أرجاء العالم الإسلامي وشكل أتباعها الكثير من الملامح الفكرية الإسلامية تفسيراً وفقها وكلاما.

وهؤلاء الأئمة الثلاثة علي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق عليهم السلام ارتبطوا بالقرآن بعلاقة وطيدة وتصدوا لتفسيره وكشف معانيه وشكلوا قوام مدرسة الكوفة في تفسير القرآن[٣١].

كما أن تلاميذ كل من الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام يمثلون الاتجاه النصي في مدرسة الكوفة في التفسير التي كان لها أثر واضح في ظهور مؤلفات عديدة في تفسير القرآن الكريم[٣٢].

تولى الإمامة بعد الصادق عليه السلام ستة أئمة هم ولده موسى

الكاظم عليه السلام (ت: ١٨٣هـ) ثم علي بن موسى الرضا عليه السلام (ت: ٢٠٣هـ) ثم محمد الجواد عليه السلام (ت: ٢١٩هـ) ثم ابنه الهادي عليه السلام (ت: ٢٥٤هـ) ثم ابنه الحسن العسكري عليه السلام (ت: ٢٦٠هـ) ثم ولده الإمام المنتظر المولود عام ٢٥٥هـ. إلا أن دور هؤلاء الأئمة لم يكن بارزاً بدرجة وضوح دور الإمام الصادق عليه السلام للأسباب والمؤثرات التي سبق الحديث عنها (فلم تسنح الفرصة لواحد منهم ليظهر ما استودعه الرسول صلى الله عليه وآله إياه وليبلغ ما استحفظه عليه كما سنحت للصادق)[٣٣].

إلا أن الإمام الرضا عليه السلام من بين هؤلاء الأئمة يتميز بورود الكثير من الروايات عنه في تفسير القرآن والمناظرات الكلامية ولاسيما أنه عليه السلام عاصر محنة (خلق القرآن) وقد وردت عنه صحيفة تضمنت أسس العقيدة وأصول الدين ألفها بطلب من المأمون. وكانت له مناظرات كثيرة أهمها مجلس المأمون المشهور[٣٤] في التوحيد ونفي التجسيم وعصمة الأنبياء وغيرها من المسائل.

وفي المباحث الآتية من هذا الفصل ستتبين لنا ملامح من الدور الكبير الذي مارسه الأئمة عليهم السلام في تفسير القرآن وبيان أصول العقيدة انطلاقاً منه ومن ثم تأسيس أصول المنهج الإمامي في فهم النص القرآني ■

الهوامش:

(١) الحاكم النيسابوري: مستدرك الصحيحين ٣: ١٢٦ قال الحاكم عنه (هذا حديث صحيح الإسناد).
(٢) ظ الطوسي: التبيان ٢: ٤٨٥، الطبرسي: مجمع البيان ٢: ٤٥٣، الطباطبائي: الميزان ٣: ٢٢٣.
(٣) ظ الحويزي (عبد علي بن جمعة): تفسير نور الثقلين ١: ٢٦٤ مطبعة الحكمة، طهران.
(٤) الطبرسي: الاحتجاج ١: ٣٩٥.
(٥) ظ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٨، الصدوق: التوحيد ٣٠٥، المفيد: الاختصاص ٢٣٦، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١: ٣٥ وغيرها.
(٦) ظ: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة مج١: ٢١٣.
(٧) ظ: القندوزي: ينابيع المودة ص١٠٣، عن أبي سعيد الخدري قال سألته (أي الرسول صلى الله عليه وآله عن قول الله عز وجل: (قل كفى بالله.. الآية) فقال صلى الله عليه وآله: ذاك أخي علي بن أبي طالب). وما في الاحتجاج ١: ٢٣٢ من روايات عديدة في هذا المعنى كما عن سليم بن قيس الهلالي أنه سمع علياً عليه السلام يقول في الآية: (إياي عنى بمن عنده علم الكتاب).
(٨) شرح النهج ١١: ١٩.
(٩) شرح النهج: ١١: ١٩.
(١٠) الطوسي: الأمالي ١: ١١.
(١١) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣: ٧١، الفيض الكاشاني (محمد بن المرتضى): الصافي في تفسير القرآن ١: ٢٢ المطبعة الإسلامية طهران ١٣٧٤هـ/١٩٦٧م.
(١٢) الطباطبائي: الميزان ٣: ٧١.
(١٣) نهج البلاغة الخطبة ١٥٨ ص٢٢٣ تصنيف صبحي الصالح ط١ بيروت ١٩٦٧م.
(١٤) شرح النهج مج ١١: ١٩.
(١٥) انظر: العلامة الحلي: الألفين في إمامة أمير المؤمنين٣٨٩ عليه السلام (بتصرف).
(١٦) انظر للتفصيل الاحتجاج ١: ٣٩٥-٤٢٠، ٢: ٣-١٣، الصدوق: التوحيد ص٤٥، ١٨٤، ٢٣٠، ٣٠٧، ٣٧٨-٣٨٣ وكذلك الكليني: الكافي: (الأصول)، المرتضى: الشافي، العلامة الحلي: الألفين في مواضع كثيرة منها.
(١٧) أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة ٣٢٢.
(١٨) المصدر نفسه.
(١٩) نظرية الإمامة ٣٤٨.
(٢٠) ظ: المصدر نفسه ٣٥٠، محمد الخليلي: أمالي الإمام الصادق: ١٥٣ مطبعة النعمان/ النجف ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.
(٢١) انظر الصحيفة السجادية وقد طبعت عدة طبعات وتحوي ٥٤ دعاء في مختلف الأغراض.
(٢٢) من روايات طويلة أن جابر بن عبد الله الأنصاري (كان يقعد في مجلس رسول

اللهﷺ.. وكان ينادي يا باقر العلم يا باقر العلم. فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر. وكان يقول والله ما أهجر ولكن سمعت رسول اللهﷺ يقول: ستدرك رجلاً مني اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقراً فذاك الذي دعاني إلى ما أقول) انظر أصول الكافي: ١: ٤٦٩، المفيد: الإرشاد ٢٩٤. المطبعة الحيدرية، نجف ط٢ ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م. وروى قريباً منه اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٢٠.

(٢٣) انظر مثلاً: الأزهري: تهذيب اللغة ٩: ١٣٦، ابن منظور: لسان العرب ٥: ١٤٠، الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١: ٣٧٥.

(٢٤) أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة ٣٥٩.

(٢٥) المجلسي: البحار ١١: ٨٤.

(٢٦) نظرية الإمامة: ٣٦٢، عبد الله فياض: تاريخ الإمامية ص١٥٠.

(٢٧) ظ المفيد: الإرشاد ٢٤٩.

(٢٨) ظ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٤: ٩-١١.

(٢٩) ظ محمد الخليلي: أمالي الإمام الصادقعليه السلام خصوصاً الجزء الرابع منها.

(٣٠) ظ: الكليني: الكافي (الاصول) الصدوق: التوحيد الطبرسي: الاحتجاج.

(٣١) ظ:د. محمد حسين الصغير (مدرسة الكوفة في تفسير القرآن العظيم) بحث منشور في مجلة المورد عدد ٣ سنة ١٩٨٨م عدد خاص بالدراسات القرآنية ص٩٥.

(٣٢) المصدر السابق نفسه ٩٥.

(٣٣) أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة ٣٦٣.

(٣٤) انظر التفاصيل في: الصدوق: التوحيد ص٤٤١-٤٥٤، عيون أخبار الرضا ١: ١٥٤ وما بعدها، الطبرسي: الاحتجاج ٢: ١٧٤ وما بعدها.

## مناظرة ابن عبّاس

قال ابن عباس: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل وأنا على فرس، فقرأ آية فيها ذكر علي بن أبي طالب(ع) فقال: أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر. فقلت في نفسي: لا أقالني الله إن أقلته. فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين؟! وأنت وصاحبك وثبتما وأفرغتما الأمر منّا دون الناس.

فقال: إليكم يا بني عبد المطلب أما إنكم أصحاب عمر بن الخطاب.

فتأخرت وتقدم هنيهة، فقال: سرْ لا سرت، وقال: أعد عليّ كلامك. فقلت: إنما ذكرتَ شيئاً فرددتُ عليه جوابه ولو سكتَ سكتْنا.

فقال: إنا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوة ولكن استصغرناه وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها.

قال: فأردت أن أقول: كان رسول الله(ص) يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك؟!!

فقال: لا جرم، فكيف ترى والله ما نقطع أمراً دونه، ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه.

الغدير للأميني ج١ ص٣٨٩

# مرقد السيد إبراهيم الغمر

## (ملاذ يلتجئ إليه القاصدون)


- استطلاع: حيدر الجد
- تصوير: ضرغام كمونة


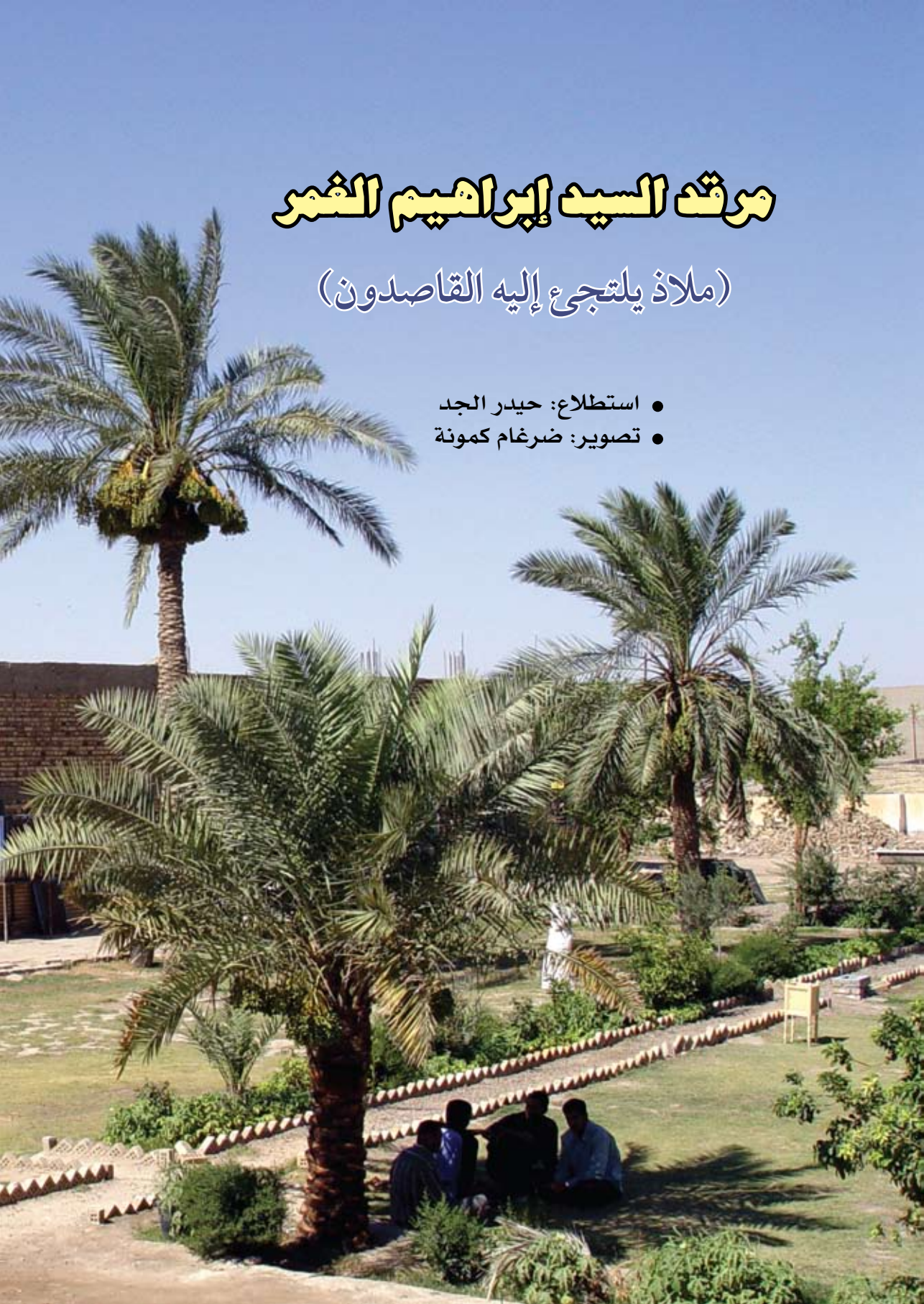

# استطلاع المجلة

## ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبىٰ الدّار﴾

المدخل الرئيس للمرقد الشريف

ينابيع شاء الله أن يهب لصفوة أنبيائه المصطفى محمد صلى الله عليه وآله ذرية مباركة وعترة طاهرة عبّر عنها بالكوثر. وقد أصبحت هذه الذرية موضع احترام وتقديس عند عامة المسلمين، حيث أنها تمثل منبعها وأصلها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، الأمر الذي حدا ببعض الناس ممن سلبه الحسد صوابه وأورده مسلكا كثرت صعابه، أن يقف موقف الند والعدو اللدود لهذه الشجرة الميمونة حقدا على ما آتاهم الله تعالى من طيب أصل، وعفةٍ رَحِمٍ، وطهارة صُلبٍ، فأصبح مصداقاً

لقول الشاعر:

إن يَحْسدوكَ عَلى عُلاك فإنّما
مُتَسافِلُ الدرَجات يَحسدُ مَنْ عَلا

خصوصا وان هذه الذرية تميل إليها قلوب المسلمين، فهي الأنسب لتولي شؤون الأمة وفق القانون الإلهي المعد لمكافأة المحسنين ومعاقبة المسيئين.

ولكن كيف يروق للحكام والسلاطين ذلك!

الذين سلطتهم يد غير أمينة على رقاب الناس، ومنحتهم ألقاباً دونما استحقاق. وهذا حال الدولة الأموية التي عملت بكل ما أوتيت من قوة على ضرب الإسلام.

وعندما وجدته متجسداً في أهل البيت عليهم السلام وجهت نحوهم حرابها وسيوفها، فجعلت دماءهم الطاهرة تجري على الثرى من دون ذحل. وعندما آل الأمر إلى بني العباس، ابتهج الناس عموما بزوال الظلم والعلويون خصوصاً. إذ عُقد الأمل على أبناء العم، فالعباسيون والعلويون يعودون إلى منبت واحد، المتمثل بسيد البطحاء وابن سيدها عبد المطلب. لكن آمال العلويين ذهبت أدراج الرياح، حيث تبيّن لهم ان العباسيين والأمويين سواء، بل وراح الشاعر إلى ابعد من ذلك حيث يقول:

تَاللّه مَا فَعَلَتْ أُمَيّةُ فيهمُ
معْشارَ مَا فَعَلَتْ بَنُو العَبّاس

استقر رأيَ أبي العباس السفاح (أول الخلفاء العباسيين) على ضرب أبناء عمه العلويين بكل ما أوتي من قوة، خصوصاً أبناء الإمام الحسن عليه السلام وبالأخص محمد وإبراهيم ولدي عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن الزكي عليه السلام.

فكيف يهدأ لأبي العباس أو أخيه المنصور البال، وهذا محمد ذو النفس الزكية، كريم الخلال، حسن الفعال، محمود النقيبة، مشكور الخصال، وقد بايعاه بالخلافة مرتين، في مكة بالمسجد الحرام مرة، وأخرى بالأبواء بالقرب من المدينة، وقد جعلا من هذه البيعة طوقاً في رقبتيهما. ومادام محمد على قيد الحياة فإن عرش العباسيين مهدد بالسقوط ونجمهم مهدد بالأفول، هذا والعباسيون يعلمون جيدا أن محمدا ثائر، اليوم أو غدا، فكيف ينام أبو العباس أو أخوه المنصور وهذا العلوي ماثل أمام أعينهما، كالشبح يقضّ مضجعيهما.

وهنا برز الهاشمي العلوي، سَميّ الخليل عليه السلام، الذي اجتمعت فيه المآثر الحسنية والحسينية، فهو محض النسب كريم الحسب، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله.

إنه السيد إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام، فالأب نجل كريم آل محمد، المعروف بسخائه وجوده. حضر الحسن المثنى كربلاء وأبلى بلاءً حسناً يوم الطف، فأصابته النبال والرماح وما هي إلا أوسمة المجد تدلّت على صدره الطاهر.

وكتب الله جل وعلا له البقاء، وأما الأم فهي فاطمة بنت الحسين الشهيد عليه السلام، السيدة الفاضلة، النقية الطاهرة، الراوية الثقة عن أبيها وعمتها زينب الحوراء عليها السلام، والتي روت خطبة جدتها الزهراء حينما مُنعت فدكا، كما كان لها دور مشرف في الكوفة، حين جاؤوا بالسبايا فوقفت وألقت خطبتها على مسامع الكوفيين (على صغر سنها آنذاك) فألهبت المشاعر وأقرحت القلوب!.

أما إخوته فهم: عبد الله المحض،

شبيه رسول الله ﷺ وشيخ بني هاشم في زمانه، المقتول ظلماً في سجنه، وكذلك الحسن المثلث الذي قتل في محبسه أيضاً بأمر من المنصور الدوانيقي، كما أن للسيد إخوة من أبيه وهم داود بن الحسن المثنى وجعفر.

أما عقبه فيعود لولده إسماعيل الديباج، ومنه في ولده إبراهيم المشهور بـ(طباطبا) حيث انتشر عقبه في البلاد بين العراق وإيران ومصر واليمن والحجاز.

أما ولده الآخر فهو محمد وهو المسمى بالديباج الأصفر، الذي قال له المنصور الدوانيقي عندما أبصره على ذاك البهاء والجمال: (أأنت الديباج الأصفر؟ والله لأ قتلنك قتلة ما قتلت بها أحداً من قبلك، فأقامه في أسطوانة فارغة، ثم بناها عليه وهو حي، فمات عطشاً وجوعاً)[1].

كان السيد إبراهيم رجلاً شجاعاً، جواداً حتى لُقب بـ(الغمر) لسخائه وكرمه، راوياً للحديث متكلماً، حيث ورد (أن السفاح كان كثيراً ما يسأل عبد الله المحض عن ابنيه محمد وإبراهيم، فشكا عبد الله ذلك إلى أخيه إبراهيم الغمر، فقال له إبراهيم: اذا سألك عنهما فقل: عمهما إبراهيم أعلم بهما، فقال له عبد الله: وترضى بذلك؟ قال: نعم. فسأله السفاح عن ابنيه ذات يوم فقال: لا علم لي بهما وعلمهما عند عمهما إبراهيم. فسكت عنه ثم خلا بإبراهيم فسأله عن ابني أخيه فقال له: يا أمير المؤمنين أكلمك كما يكلم الرجل سلطانه أو كما يكلم ابن عمه؟ فقال بل كما يكلم الرجل ابن عمه. فقال: يا أمير المؤمنين أرأيت إن كان الله قد قدر أن يكون لمحمد وإبراهيم من هذا الأمر شيء أتقدر أنت وجميع من في الأرض على دفع ذلك؟ قال: لا والله، قال: ورأيت إن لم يقدر لهما من ذلك شيء، أيقدران ولو أن أهل الأرض معهما على شيء منه؟ قال:

المحراب ويبدو في ركن من أركان المرقد

جانب من الضريح المقدس

لا. فقال: فما لك تنغص على هذا الشيخ - ويعني أخاه عبد الله - النعمة التي تنعمها عليه؟ فقال السفاح: والله لا ذكرتهما بعد هذا. فلم يذكر شيئاً من أمرهما حتى مضى سبيله)[٢]. كما كان يكنى بأبي إسماعيل وأبي الحسن.

لقد كلّف أمر محمد ذي النفس الزكية أبناء الحسن الزكي عليه السلام حياتهم ووجودهم، فكل حسني يجب أن يخضع لأحد الأمرين، إما التخفي والهروب إلى أوطان أخرى، أو الاستسلام إلى الموت الذي لا مفر منه. فكان بداءة ذي بدء القبض على عبد الله المحض وإيداعه السجن في المدينة وقد استخدم أبو جعفر هذه الورقة للضغط على ولديه محمد وإبراهيم كي يخرجا ويأتيا إليه طائعين مُرغمين، فلم تُفلح هذه المحاولة إلى أن (نبّه أبا جعفر رجل يدعى عبد الله بن عمران فقال له أتطمع أن يخرج لك محمد وإبراهيم وبنو الحسن مخلّون؟ والله للواحد منهم أهيب في صدور الناس من الأسد؛ فكأن هذا الشخص قد هيج أبي جعفر على حبسهم فكتب أبو جعفر إلى رياح عامله على المدينة بحبس بني الحسن جميعاً ووجه في ذلك أبا الأزهر المهري فلما وصل الرسول إلى رياح أخذ حسناً وإبراهيم ابني الحسن المثنى وجعفراً أخاهما والعباس بن الحسن المثلث)[٣].

ويقول الحسين بن بدر: (غدوت إلى المسجد فرأيت بني الحسن يخرج بهم من دار مروان بن أبي الأزهر يراد بهم الربذة، فانصرفت، فأرسل اليّ جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فجئته، فقال لي ما وراءك، فقلت: رأيت بني الحسن يخرج بهم في محامل، قال اجلس فجلست فدعا غلاماً له ثم دعا ربه كثيراً ثم قال للغلام: اذهب فاذا حملوا فأخبرني، فأتاه الرسول، فقال قد أقبلوا بهم فقام الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فوقف من وراء ستر شعر يبصر من وراءه ولا يبصره أحد فأخرج عبد الله بن الحسن المثنى في محمل ومعادله مسوّد - أي من رجال بني العباس الذين لبسوا السواد - وكذلك أهل بيته، قال: فلما نظر اليهم الإمام هملت عيناه حتى جرت دموعه على لحيته، ثم أقبل عليّ فقال يا أبا عبد الله والله لا يحفظ الله حرمة بعد هؤلاء)[٥].

ولما ارتحلوا من الربذة وهم على مثل تلك الحال صاح عبد الله المحض الحسن بن الحسن المثنى (يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بكم يوم بدر - وهو يشير إلى صفح النبي عن العباس بن عبد المطلب جد العباسيين - فجعل أبو جعفر يعنفه ويشتمه)[٦]. هذا وان إبراهيم ومحمداً ولدي المحض يسايران أباهما معتمين كهيأة الأعراب ثم يسألانه ويستأذنانه في الخروج فيقول لهما: لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك. ويقول لهما: إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين[٧].

وهكذا سار ذلك الركب بالحسنيين وهم يرسفون بالاغلال والقيود، قد غيّرت الشمس ملامحهم ركبوا ذلك المركب الخشن وفيهم الشيخ الذي لا يقوى على تحمل هذا الوضع والشاب المترف الذي انتابته العلة لما ألمه والكل لا يعلم ماذا يصنع بهم، هذا ونظرات الحقد تحيط بهم، لقد تجشموا عناء السرى ووطأة الهجير إلى ان وصلوا الكوفة وحبسوا في سرداب لا يفرقون فيه بين الليل والنهار وهو سجن الهاشمية وقد هدم عليهم هذا السجن حتى ماتوا ولم ينج منهم سوى علي الخير بن الحسن المثنى وإسماعيل الديباج ابن إبراهيم الغمر.

أما بالنسبة لوفاة السيد إبراهيم الغمر فهناك رأيان:

الأول: يقول: إنه أخذ مع من أخذ من بني الحسن وتوفي في حبسه في شهر ربيع الأول سنة ١٤٥هـ وله من العمر تسع وستون وقيل: سبع وستون سنة[٨].

الثاني: ما قاله المحدث القمي في سفينة البحار وما ذكره حرز الدين في مراقد المعارف اعتمادا على قول ابن خداع (جذعان): ومات إبراهيم الغمر قبل الكوفة بمرحلة وله من العمر سبع وستون سنة فقد مات رضوان الله تعالى عليه قبل أن يصل الحبس لأنهم جردوه الثياب وكشفوا المحامل عليه وهم في الطريق فسقط خده في حر الشمس، فمات قبل وصوله للكوفة[٩].

والرأي الثاني وهو الأصوب وذلك لأنه لو كان قد توفي في سجن الهاشمية لمات مع من مات من أبناء الحسن لأنهم هدموا السجن عليهم وساووه مع الأرض. وهنا يصعب نقل جثمانه الطاهر دون أخوته من الهاشمية إلى الكوفة[١٠].

وعليه فالرأي الثاني يكون الأقرب إلى الصحة.

منظر خارجي للقبة الشريفة

أمـا تاريخ ظهور قبـره فيذكر حرز الدين: لقد ظهر قبر السـيد إبراهيم الغمر بزمن متأخر، وذلك عند نهاية القرن الثاني عشـر الهجري، عثر عليه بعـض المنقبين عـن حجارة آثـار الكوفـة لبيعهـا، حيث وجـد صخـرة دفينـة تحكي بوضـوح انه قبر إبراهيم الغمـر، وبنى عليه قبة صغيرة بيضـاء اللون. السـيد الجليل علامة عصره فريد دهره السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائـي النجفـي، كما أمر سـماحة المرجـع الأعلى السـيد محسـن الحكيم ببناء سياج واسع جداً يحيط بالصحن[11].

والظاهـر ان هـذا التعيين بعيـداً عن الواقع فتأريخ ظهور القبر يعود إلى أبعد من القرن الثاني عشر ويتبين ذلك من خلال ما ذكره ابن عنبة الحسني في كتابه (عمدة الطالـب في أنسـاب آل أبي طالب)، حيث يقول: (وهو صاحـب الصندوق بالكوفة، يـزار قبره)[12]. ومـن هذه العبـارة يتبين ان المرقد كان يعلوه صندوق، ويزوره الناس منذ عهد ابن عنبة خلال القرن التاسع عشر الهجـري، هذا ما نقله ابن عنبة وربما يعود تأريخ هذا الصندوق إلى زمن أبعد من زمن ابن عنبة الحسني.

وحول موقع القبر يذكر حرز الدين (أنه يقع شمالي مرقد ميثم التمار (رضوان اللّه تعالـى عليـه)، على يسـار الذاهب من النجـف الاشـرف إلـى الكوفة، شـرقي

الخندق المعروف بـ(كري سعد بن أبي وقاص) ببعد رمية سهم أو يزيد)[١٣]. اما البراقي فيقول في تاريخ الكوفة (دفن قرب السهلة بجنب المحجة الحديدية)[١٤]. واليوم ينتصب مرقده المبارك في منطقة المشتل من حي كندة في مدينة الكوفة وقد قام بعض الفضلاء باكمال ما تبقى من بناء وسعوا بتطوير المرقد الطاهر بما يتلاءم مع سمو شخصية صاحبه.

تبلغ مجموع مساحة المرقد الطاهر دونمين ونصفاً، وهي عبارة عن صحن كبير تتوسطه حديقة وارفة الظلال، وفي أحد أركان الجدار المحيط يرتفع الحرم المبارك المبني بالكونكريت المسلح والمكسو بالكاشي الكربلائي المزخرف، يتوسط المدخل باب تعلوها عبارة مرقد السيد إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام وقد كتبت على الجانب الأيمن زيارته وعلى الجانب الأيسر سيرة حياته الطاهرة. تبلغ مساحة الحرم ١٥٠م تقريباً، وتعلو الحرم قبة بارتفاع ٦م، مكسوة ظاهرياً بالكاشي الكربلائي ومن الداخل بالكاشي المزخرف يتخلله طوقان كتب في الطوق الأول آيات من سورة القيامة وفي الثاني آية الكرسي، يظهر الشباك في منتصف الحرم، وهو من مادة الألمنيوم وقد استبدل للمرة الثالثة حيث كان من الخشب ثم رفعوه ووضعوا شباكاً حديدياً ثم اليوم من الألمنيوم، يضم الشباك صندوقاً من الخشب، مغطى بقطعة قماش خضراء، وتعلو الشباك بضع باقات من الزهور، يحيط بالحرم المبارك أربعة أروقة، ينتصب المحراب في أحدها، كما

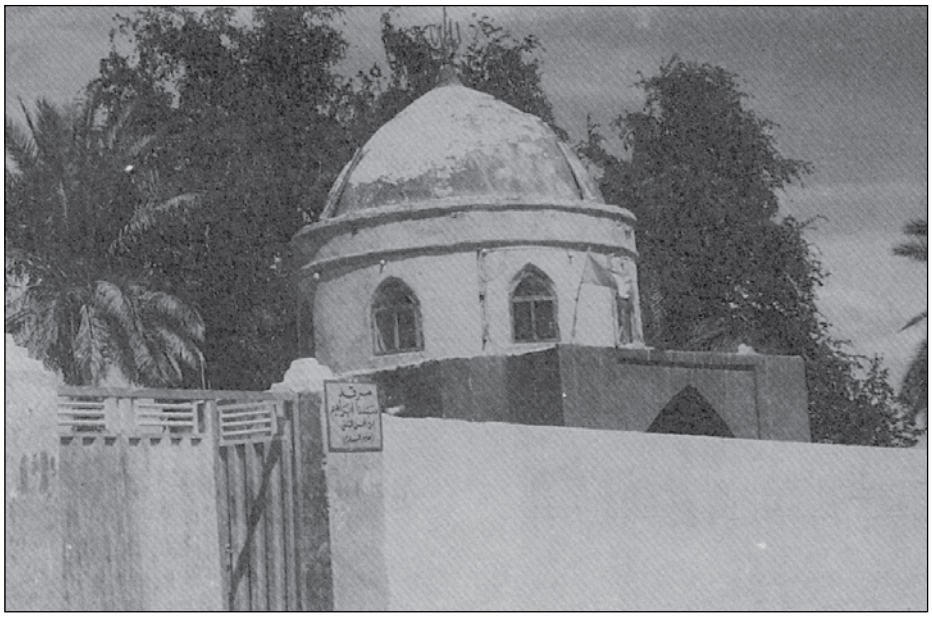

المرقد الشريف قبل التجديد

**الواجهة الأمامية للضريح المقدس**

يوجد منفذ مقابل للمدخل يؤدي إلى قاعة جديدة، تبلغ مساحتها مائتي متر تقريباً، حيث لم يكتمل بناؤها بعد، و تظهر طبقة من الحصى الخابط، وهذه القاعة تعد لاقامة المآتم وتدريس العلوم الدينية، تعاقب على خدمة السيد إبراهيم أسرة آل طغيمان، وتظهر قبورهم في الصحن إلى جانب بعض مريدي القرب من هذا السيد الطاهر.

يتحدث مجاورو المرقد المبارك عن كرامات وبراهين ظهرت ولازالت تظهر للسيد إبراهيم وقد أخبرني السيد سامي الموسوي (أحد القائمين على خدمة المرقد المطهر): ان أهل المنطقة يسمونه حامي الحمه (كجده المرتضى علي) ويقولون: إن وجود قبر السيد بيننا يعد حماية لنا، بل هو الملاذ الذي نحتمي فيه ونلجأ إليه عند الشدة، فكم من برهان جلي بان لهم خصوصاً عند الحرب، وعند القصف كانت القذائف تسقط على المنطقة المحيطة بالمرقد إلا أنها لا تنفجر.

أما أصحاب الحوائج وذوو العاهات والأمراض المزمنة فقد وجدوا في قبره مذخراً للشفاء وباباً لإجابة الدعاء فجاؤوا إليه وقصدوه ووضعوه بين يدي حوائجهم إلى الله لعلمهم أن له عند الله الجاه الوجيه، ويذكر السيد سامي أن عاملاً بالكهرباء كان في داخل الحرم يكشط السلك بشفرته، فكشط يده بطريق الخطأ، فانبعث الدم من يده و قد ظهرت بقعة دم كبيرة في الحرم، فخرج مسرعاً وغسل يده وعاد كي يغسل تلك البقعة فما وجد لها أثراً، كما يقول: إنه بنفسه رأى في عالم الرؤيا السيد إبراهيم، وقد ارتدى

ملابساً بيضاء راكباً صهوة جواد أبيض، وقد خرج من المكان المغاير لمكان الباب الرئيسي، وكأنه يقول لمحدّثي (إن هذا المكان هو الأصلح لوضع الباب)، وفعلاً، تم تغيير مكان الباب.

تنعدم بعض الخدمات في المرقد المبارك حيث لا يوجد تبريد هواء ولا يوجد تبريد ماء، كما ان المجموعة الصحية تفتقد لكثير من الخدمات واما الجدار المحيط بالصحن فهو آيل للسقوط، انها دعوة لكل المؤمنين، محبي أهل البيت عليهم السلام، ممن مكنهم الله تعالى لكي يمدوا يد المساعدة للمساهمة في إكمال وترميم نواقص مجموعة المرقد المبارك.

ولم أجد أي قطعة شعرية في رثائه أو مدحه فقلت فيه مادحاً:

أيّها القاصِدُ مِصْباحَ الدُّجى ... حَيْدرَ الكرّار نِبْراسَ الفَخَرْ
سِرْ إلى كُوفَانَ تَرْجو رَوْضَةً ... قَدْ حَوَتْ من هاشِمٍ لَيْثاً أَغَرْ
طَابَ أصْلاً جَدّهُ هَادِي الوَرى ... أحْمَدُ المَخْصوص في آي الذكرْ
وَكَذا اللّيْث عَليّ المُرْتَضى ... فارِسُ الأحزابِ سَلْ عَنْهُ بَدرْ
وَرِثَ الإكرامَ مِنْ سِبْطِ الهُدى ... حَسَنِ الخَيْرِ بِقَوْلٍ وَأَثَرْ
وَمِن الطُهرِ حُسينٍ كَمْ حَوَى ... للإبَا وَالحِلْمِ عُنْواناً ظَهَرْ
كَمْ لَهُ مَكْرمَةً فاقَتْ نَدَى ... عِطْرها يَذكو عَلَى مَرِّ الدَهرْ
كَمْ لَهُ مُعْجِزٌ قَدْ وَافى بِهِ ... نَحْوَ زوّار أَتَتْ تَشْكو الخَطَرْ
لَهْفَ نَفْسي ما لَقي مِنْ مِحَنٍ ... مِنْ بَنِي العَبّاسِ ضَيْماً وَكَدرْ
فِي هجيرِ القَيْضِ ألْفاهُ الرَدى ... فَقَضى صَبْراً ألا هَذا الصبرْ
سائِلي عَنْه وَذا فِي قَبرِهِ ... حَلّت الرَحْمات وَالنّور انْتَشرْ
سَلْ ذَوي كُوفانَ عَنْ هَذا المَقام ... لِهُمامٍ طَابَ نَفْساً وَطَهُرْ
إنّ إبراهيمَ قَدْ حَلّ هُنا ... وَهُو المَعْروفُ بِـ(السّبْطِ الغَمَرْ)

المصادر:

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير، ج:٩ ص:١٩٨.
(٢) عمدة الطالب، ابن عنبة ص:١٦٢.
(٣) الحسنيون في التاريخ، الساعدي ص:٩٠.
(٤) المصدر السابق ص:٩٢.
(٥) المصدر السابق ص:٩٣.
(٦) مروج الذهب، المسعودي، ج:٣ ص:٣١١.
(٧) الحسنيون في التاريخ، الساعدي ص:٩٣.
(٨) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج ص:١٧٨، سر السلسلة العلوية، البخاري ص:٦، تاريخ الكوفة، البراقي ص:١٠٢.
(٩) معارف الرجال، حرز الدين ج:١ ص:٣٤.
(١٠) الغمر، الهلالي ص:١١٨.
(١١) معارف الرجال، حرز الدين ج:١ ص:٣٤.
(١٢) عمدة الطالب، ابن عنبة ص:١٦١.
(١٣) معارف الرجال، حرز الدين ج:١ ص:٣٤.
(١٤) تاريخ الكوفة، البراقي ص:١٠٢.

**الضريح المقدس من الداخل**

**يعلن باب**
**(في رحاب الفقه)**
**للقرّاء الكرام عن استعداده**
**في استقبال أسئلتكم الفقهية،**
**والإجابة عنها في ضوء فتاوى سماحة**
**المرجع الديني الكبير السيد محمد**
**سعيد الطباطبائي الحكيم** (مدّ ظله).

**س/ إذا اتخذ شخص بلداً ما مقراً له لمدة سنتين أو أكثر للعمل أو الدراسة أو المجاورة، هل يكون بحكم الوطن في الصلاة والصوم أو لا؟**

ج: نعم يكون بحكم الموطن، كما أوضحناه في رسالتنا (منهاج الصالحين).

**س/ إذا عمل موظفاً في منطقة تبعد عن وطنه المسافة الشرعية وكان ناوياً البقاء في العمل مدة سنة أو أكثر مع تردده على بلده كل يوم خميس وجمعة أوكل يوم، فما حكم صلاته وصيامه؟**

ج: يصوم ويتم في مقر عمله وفي وطنه ويقصر في الطريق إذا كان بينهما مسافة امتدادية (ثمانية فراسخ) هذا إذا كان تردده على بلده مرة واحدة في الأسبوع كما في الفرض الأول أما إذا كان يتردد على بلده كل يوم ـ كما في الفرض الثاني ـ فهو يتم حتى في الطريق. نعم إذا صادف أن أقام ـ ولو من دون سبق نية ـ في أحد البلدين عشرة أيام فالواجب عليه التقصير في السفرة الأولى في الطريق ثم يرجع إلى التمام في البلدين معاً وفي الطريق.

**س/ في بعض بلاد النرويج يتلاشى الليل تماماً من شهر تموز إلى منتصف آب فيكون الوقت كله نهاراً خلال ٤٥ يوماً فما هو حكم الصيام. إذا صادف شهر رمضان. وما هو حكم مواعيد الصلاة؟**

ج: أما مواعيد الصلاة فالظاهر تحقق وقت صلاة الظهرين بانحراف الشمس عن دائرة نصف النهار في منتهى ارتفاعها ضمن دائرة شروقها المحيطة بالأفق، فيجب الإتيان بهما. كما أن الأحوط وجوباً الإتيان ببقية الصلوات برجاء المطلوبية مردداً بين الأداء لصلاة اليوم والقضاء لصلاة اليوم السابق. وحينئذ إذا كان المراد بتلاشي الليل عدم غيبوبةً قرص الشمس فالأحوط وجوباً الإتيان بصلاة العشاءين بعد دخول الشمس في نصف الدائرة الأسفل والإتيان بصلاة الصبح قبل خروجها عن النصف المذكور. وإن كان المراد بتلاشي

الليل عدم غيبوبة البياض الذي يكفي في تحقق الفجر مع غيبوبة الشمس في الأفق، فالأحوط وجوباً الإتيان بصلاة العشاءين بعد غيبوبتها في الأفق قبل وصولها إلى دائرة نصف الليل في منتهى نزولها في الأفق، والإتيان بصلاة الصبح قبل ظهورها في الأفق بعد قوة نور الفجر.

وأما الصوم فيشكل مشروعيته أداءً لو صادف شهر رمضان في الزمن المذكور سواءً لم تغب الشمس أصلاً أم غابت ولم يتحقق بغيبوبتها ظلام يبدأ من بعده نور الفجر، بل اختلط ضياء الشفق بضياء الفجر من دون تمييز بينهما. وحينئذ يتعين القضاء في الفصول التي يتميز فيها الليل عن النهار ويبدأ فيها الفجر بعد اشتداد الظلام.

هذا وفي مثل هذه البلاد كما تمر فترة يتلاشى فيها الليل كذلك تمر فترة فيما يقابلها من السنة يتلاشى فيها النهار بغيبوبة الشمس في تمام دورة الأرض. وفي مثل هذه الفترة لا يتحقق وقت شيء من الصلوات حتى صلاتي الظهرين، فاللازم حينئذ الإتيان بالصلوات الخمس بالنية التي تقدمت سابقاً موزعة على ما يناسبها من موقع الشمس من دائرة الأفق. ويظهر ذلك بالتأمل. أما الصوم فلا يشرع أداء، بل يتعين قضاؤه في الوقت المتقدم من فصول السنة.

**س/ ذكرتم أن الكوفة من مواطن التخيير فهل مرادكم المدينة كلها؟ وما هو حدها؟**

ج: المراد من ذلك المدينة القديمة والتي هي أكبر من المدينة الحالية بكثير، حيث لا إشكال في دخول مسجد السهلة فيها.

**س/ من كان عمله السفر كسائق السيارة مثلاً. إذا أراد الصلاة في الطريق أو دخل عليه الزوال وهو في الطريق أيام الصيام فهل يقصر ويفطر أو لا؟ وهل يفرق فيه بين أن يكون رجوعه إلى وطنه كل يوم أو كل أسبوع أو أكثر؟**

ج: من كان السفر مقتضى وضعه الطبيعي المتعارف في حياته ولا يكون حالة خاصة استثنائية وذلك بأن يكون سفره مقارباً لحضره أو أكثر منه كسائق السيارة ونحوه يتم في الطريق ويصوم من دون فرق بين أن يكون رجوعه إلى وطنه كل يوم أو كل أسبوع أو أكثر.

**س/ إذا خرج سائق السيارة على طريق غير طريقه المعتاد أو إلى جهة غير جهته المعتادة فما حكمه؟**

ج: إذا كان خروجه من ضمن عمله أتم وصام.

**س/ وإذا سافر السائق إلى غير الجهة المعتادة لحاجة لا علاقة لها بعمله؟**

ج: أفطر وقصر.

**س/ من كان عمله في السفر وأرسل من عمله إلى محل آخر في السفر أيضاً متعلق بعمله الأول فما حكم صلاته وصيامه بالنسبة للعمل الثاني؟**

ج: أما في القسم الأول فالسفر الثاني لا يكون بحكم السفر الأول إلا إذا كان مثله عملاً للشخص كالسائق بين مدينتين يذهب لمدينة ثالثة للنقل، وإلا فلا يلحق

به، كالسائق بين مدينتين يذهب لمدينة ثالثة لتصليح سيارته. وأما القسم الثاني فالسفر الثاني حكمه التقصير والإفطار، كالموظف الذي عمله في مدينة غير مدينته فيتخذ تلك المدينة مقراً له، ثم يخرج منها لتعقيب معاملة توظيفه في مدينة ثالثة.

**س/ وإذا كان عمله الأول في وطنه وأرسل من عمله لمسافة سفر لإنجاز عمل له علاقة بعمله الأول فما الحكم؟ وهل يكون لمرّات الخروج عدد معين كالثلاث والأكثر بحيث يصدق عليه أن عمله في السفر؟**

ج: لابد من تكرر السفر منه بحيث يكون السفر منه مقتضى وضعه الطبيعي المتعارف في حياته، ولا يكون حالة خاصة استثنائية، وذلك بأن يقارب سفره حضره أو يزيد على حضره.

**س/ من ذهب أيام عطلته لمنطقة عمله فما هي وظيفته بالنسبة لصلاته وصيامه؟ وهل يفرق في ذلك بين أن يكون مقراً يسكن فيه أو محلاً للعمل فقط؟**

ج: إذا كان محل عمله مقراً له يسكن فيه أتم وصام فيه إذا ذهب في أيام عطلته إذا كانت عطلته قصيرة. وأما إذا كانت طويلة فالأحوط وجوباً الجمع بين القصر والتمام والصوم والقضاء. أما إذا لم يكن محل عمله مقراً له يسكن فيه، بل عمله فيه ويرجع لأهله فعليه الإفطار والتقصير إذا ذهب إليه أيام عطلته.

**س/ هل تفرقون بين المدن الصغار والكبار في أحكام السفر ذهاباً وإياباً، فمثلاً هل أن امتداد العمران داخل في حساب المسافة، أم ينتهي بمجرد الوصول لمشارف البلد المقصود؟**

ج: إذا كان الشخص مقيماً في المدينة الكبيرة في خصوص حي منها بحيث يكون عمله وسكنه وزياراته في مناسباته العامة ونحوها مختصة بذلك الحي ويكون ذهابه لبقية أحيائها استثنائياً كان مبدأ حساب المسافة من حدود ذلك الحي. وإذا كان موزعاً في حياته على أكثر من حي واحد كان مبدأ الحساب حدود الأحياء التي يتوزع في حياته عليها، وإذا كانت جميع الأحياء عنده سواء يبيت ويعمل فيها كان مبدأ الحساب من حدود المدينة على سعتها.

**س/ أرجو توضيح ضابطة مبدأ المسافة في المدن الكبيرة، وأنه متى يكون مبدأ حسابها طرف المحلة؟ كيف نفترض انفصال محلات المدينة الواحدة في الوضع المعاشي؟ هل بلحاظ التسوق اليومي أو بلحاظ مجموع الروابط بين المحلات، خاصة أن احتياجات أهل المدن الكبيرة لبعضهم معقدة مثلاً قد لايوجد أطباء أخصائيون في محلة أو تتقدم بعض حوائج المكائن والسيارات في المحلة أو لضعف الروابط الاجتماعية بين أهل المدينة الكبيرة الواحدة فهل يكفي هذا أو نحوه في جعل مبدأ حساب المسافة لتقصير الصلاة هو طرف المحلة؟ الرجاء توضيح الضابطة بتفصيل؟**

ج: يقصد من ذلك اكتفاء الشخص بما

في محلته في وضعه المعاشي العام بحيث يكون خروجه عنها حالة استثنائية نظير السفر ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص فمن يكثر من القيام بالواجبات الاجتماعية في كل أنحاء مدينته الكبيرة تكون المدينة كلها وطناً له ومن يقتصر في واجباته على محلته ولا يحتاج إلى أطراف المدينة في سائر شؤونه تكون محلته وطناً له دون أطرافها والمرجع في ذلك إلى العرف.

**س/ شخص يقضي ثلاثة أو أربعة أيام خلال الأسبوع في السفر للعمل من دون تكرار السفر فما حكم صلاته وصومه؟ وما الحكم إذا كان يتكرر منه السفر للعمل خلال هذه الأيام الثلاثة أو الأربعة في الأسبوع، فيسافر في كل يوم من هذه الأيام الثلاثة أو الأربعة خلال الأسبوع؟**

ج: أما في صورة عدم تكرار السفر فإنه يتم في مقر العمل ويقصر في الطريق، وأما في صورة تكرار السفر فإن كان السفر قصيراً لا يتجاوز نصف يوم فالمتعين القصر، وإن كان مستغرقاً للنهار أو الأكثر أو يزيد عليه كفى في الأربعة أيام، والأحوط وجوباً في الثلاثة أيام الجمع بين القصر والتمام.

**س/ من يمارس عملاً مؤقتاً في السفر لمدة شهر أو شهرين أو ثلاثة كالطلاب خلال إجازة الصيف هل يجري عليهم أحكام من عمله الدائم في السفر أم أحكام المسافر في الصلاة والصيام؟**

ج: إذا كان يتكرر السفر منه في المدة المذكورة الحق بمن عمله الدائم في السفر.

**س/ إذا رأيت أو سمعت أحداً أخطأ في صلاته، أو صلى صلاة ونسي الواجب أو المستحب هل يجب عليّ تنبيهه على خطئه؟**

ج: لا يجب عليك تنبيهه إلا إذا كان يعتمد عليك في معرفة أحكامه الشرعية.

**س/ كم هو الفرق الزمني بين طلوعي الفجرين الكاذب والصادق ولو بصورة تقريبية، هل هو ربع ساعة أو ثلث ساعة مثلاً؟**

ج: ليس لذلك تحديد شرعي بل هو تابع للتجربة والاستقراء اللذين لا مجال لهما غالباً في زماننا هذا الذي يشيع فيه الكهرباء فلا يتيسر معه رؤية الفجر الصادق في أول طلوعه فضلاً عن الكاذب.

**س/ نحن في بعض الدول الغربية وقد يحل وقت الصلاة ونحن في العمل فهل يجوز أن نأخذ من وقت العمل لتأدية الصلاة علماً أنه لا يؤثر على سير العمل، وإذا كان مؤثراً فهل يجوز وهل تصح الصلاة؟ وهل يجب الاستئذان من المسؤول؟**

ج: إذا لم يكن الانشغال بالصلاة مؤثراً على سير العمل فلا إشكال أما إذا كان مؤثراً عليه فالصلاة صحيحة إلا إذا كان صاحب العمل مسلماً محترم المال. نعم لا ينبغي للمؤمنين أن يعرف عنهم عدم الانضباط والخروج عن القوانين المرعية، كما أطلنا الكلام في ذلك في رسالتنا الموجهة لإخواننا المغتربين ■

# وهل الدين إلّا الحب؟!

## بحث تحليلي حول واقع الحب ودوره في حياة الإنسان

• السيد محمد القاضي
أستاذ في الحوزة العلمية

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وقد قال له بعض أصحابه: «إني ألمّ بالذنوب حتى إذا ظننت أني قد هلكت ذكرت حبكم فرجوت النجاة وتجلّى عنّي. فقال أبو جعفر عليه السلام: وهل الدين إلا الحبّ؟!

قال الله تعالى: ﴿حبّب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾، وقال: ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾، وقال: ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾...» إلى أن قال عليه السلام: «ما تبغون؟! وما تريدون؟! أما إنها لو كان فزعة من السماء فزع كل قوم إلى مأمنهم، وفزعنا إلى نبينا، وفزعتم إلينا»[1].

---

ينابيع هكذا يجيب الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام سائله، (وهل الدين إلا الحب؟!)، وهذا الجواب يثبت الارتباط الوثيق بين الدين والحب، وأنه ليس بالغريزة الحيوانية، التي تنشأ من الانجذاب العاطفي للإنسان، كما يحاول أن يصوره البعض، بل له عمق في واقع الإنسان، ومن خلاله تنتظم المسيرة، لأنه هو الدين (وهل الدين إلا الحب؟!). وهذا ما يحتم علينا الوقوف عند مفهوم (الحب) وتداعياته، وتسليط الضوء - وبقدر ما يتسع له الفهم - على جانب من حركة الإنسان على هذا الكوكب، لنتملس حقيقة جواب الإمام عليه السلام وما يعطيه من أبعاد جديرة بالاهتمام والتأمل.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

يبدأ كل واحد منا صباحه بمجموعة كثيرة من الممارسات والأنشطة، منها ما

يرتبط بنفسه واحتياجاتها مثل تناول الأكل والشرب والدواء وغيرها، ومنها ما يرتبط بغيره من الأعمال الصناعية أو التجارية والخدمات الاجتماعية وما إلى ذلك مما يعود في مردودها بالنهاية إلى نفسه، وإن كانت في الظاهر ترتبط بغيره، كما سيتضح لنا من خلال البحث.

ومن خلال نظرة فاحصة دقيقة إلى تلكم الممارسات، وتحليلها علمياً نجدها بأجمعها لا تخرج عن اطاري (العلم) و(الحب)، فهما الوحيدان اللذان ترتكز عليهما أفعال الإنسان الاختيارية، بل أفعال كل ذي شعور مختار، بل لو دققنا في التحليل لوجدنا ان الحيوان أيضاً يشارك الإنسان في ذلك وخصوصاً في (الحب).

ومن هنا نحاول تسليط الضوء على هاتين الركيزتين لنتبين واقع الأفعال الاختيارية ومنشأها، وكيف ترتكز بأجمعها على (العلم) و(الحب)، وأنهما يلازمان الإنسان طيلة حياته، ولا يفارقانه، في جميع الأحوال الشعورية.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

## ١ ـ العلم أولى الركيزتين.

الإنسان وكل فاعل مختار، لابد له عند إرادته القيام بعمل ـ أي عمل كان ـ ان يكون قد تصور ذلك العمل، وأن تكون قد ارتسمت لديه صورة عنه كامنة في قراره، وما يحقق له من أغراض وأهداف، كل ذلك قبل القيام بذلك الفعل، فتكون هذه الصورة المرتسمة هي المحرك والمحفز نحو العمل وتأديته، ومن دونها لا يتحقق منه أي فعل كان، كما ان تركه للكثير من الممارسات ناشئ من هذه الصورة العلمية.

وعليه فإن الإنسان إذا شاء أن يفعل فعلاً ـ أي فعل كان ـ فلابد أن يكون قد تكونت لديه صورة علمية كافية عن ذلك الفعل،

وحصل له العلم الكافي بجدارته وتحقيقه لأغراضه وأهدافه من السعادة له او لغيره، ومن دونها لا يتمكن من ممارسة أي عمل كان، لأنه غير عالم بنتائجه وما يؤول إليه.

نعم مطابقة هذا العلم للواقع الخارجي ليست بالضرورة، فما أكثر الخطأ في النتائج، إلا أن هذا لا يعني كونه عملاً خالياً عن صورة علمية، بل الخطأ وقع في التشخيص.

ومن المفيد ان نسعف هذه النظرية بالأمثلة الحية التي يمارسها كل فرد منا يومياً ليتضح الموضوع أكثر من ذلك.

فكل فرد منّا لا يأكل ولا يشرب إلا بعد علمه لما يؤديه ذلك الطعام والشراب في سد حاجته من الجوع والعطش مثلاً، او جلب لذة معينة له، ولولا العلم لما أقدم عليهما.. فالجائع لا يقدم على طعام يؤدي في نهايته إلى زيادة الجوع مثلاً، بل يتوخى ما هو مفيد في سد الجوع.

والمريض يصف له الطبيب المعالج أقسى أنواع العلاج ويعرضه إلى عملية جراحية مثلاً، ويبتر بعض أعضائه، وتراه مستسلماً لجميعها، لأنه قد ارتسم في قراره ان حياته وبقاءه متوقفان على مثل هذه الأمور، وأنها الوسيلة إلى عافيته وسلامته المنشودة له، ولولا علمه بذلك لما أقدم على شيء منها.

وهكذا يقوم الإنسان بدوره في إعمار الأرض وإدارة شؤونه الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وكله يقين بأنها السبيل إلى سعادته أو سعادة أسرته أو مجتمعه، فهو يؤديها بكامل الإخلاص ويتحمل في سبيلها العناء والجهد، ولولا علمه بذلك لما أقدم على أي منها.

وأيضاً نجد الإنسان يهرب من الحيوانات المفترسة، ويتجنب السقوط من شاهق، ويبتعد عن تناول السم، ولا يعرض نفسه إلى التيار الكهربائي..و..و.. وكثير غيرها، وما ذلك إلا بسبب علمه بما تؤدي إليه هذه الأمور من مخاطر لا تتناسب مع حياته وبقائه المنشودتان له.

ومن خلال هذه الأمثلة الحية التي يمارسها كل واحد منا في حياته اليومية يتضح لنا ان الصورة العلمية الكامنة في قرار الإنسان هي التي تساهم في دفعه إلى المخاطر تارة، وتجنبه الهلكات تارة أخرى.

وهذه الحقيقة بديهية وجدانية، يجدها كل فرد منا في نفسه وواقعه المعاش له يومياً، وعليها تبتني جميع أعماله وممارساته، وسلوكه واخلاقه، فتراه يعرض نفسه لأخطر الأمور إذا تكونت لديه صورة علمة عن كونها السبب في السعادة الدنيوية أو الأخروية، على اختلاف أهداف الناس واتجاهاتهم.

ومن هنا نجد التفاوت بين الناس في ممارساتهم واتجاهاتهم، وما ذلك إلا بسبب اختلاف علمهم بها، او فقل: اختلاف صورهم العلمية، لأنها المنشأ للفعل والترك، ومن البديهي حينئذ ان يكون فاعل الفعل قد وجده يتناسب مع متطلباته النفسية، بينما لم يجده الآخر كذلك.

ومن المفيد أن ننبه في هذه المناسبة أن الصور العلمية هذه لا تتدخل في

**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء مع من أحب، فمن أحب عبداً في الله فإنما أحب الله تعالى، ولا يحب الله تعالى إلا من أحبه الله.**

إرادة الإنسان واختياره، فليست هي بالقوة القاهرة التي تخرج الإنسان عن إرادته واختياره.

فالمريض يعرض نفسه للعلاج بتمام إرادته ومحض اختياره، وبإمكانه أن يتحمل المرض وما يستتبعه من عواقب وخيمة.

كما ان الذي يتجنب السم ولا يتناوله، بعد علمه بما يؤدي إليه، وكونه مريدا للحياة والبقاء والسلامة، إنما يتجنبه بتمام إرادته واختياره، وليست هناك قوة قاهرة تمنعه عن استعماله.

إلى هنا نكون قد تعرفنا على أهمية العلم في أعمال الإنسان وممارساته، وارتباطها الوثيق به، وارتكازها عليه.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

## ٢ ـ الحب، الركيزة الثانية

الحب من المفاهيم الوجدانية، ومن المعاني الواضحة التي يجدها كل فرد منا في نفسه، وهو نوع من التعلق والانجذاب الخاص بين شيئين أو أشياء متعددة، او نوع من الانفعال النفسي نحو الطرف الآخر.

فالإنسان محب للغذاء، وللجنس، وللمال، وللجاه، وللعلم، وبالدرجة الأولى محب لنفسه، وهذه الأمثلة تشترك في انجذاب الإنسان لها وهو معنى واحد أعني (الحب)، وإن كانت تختلف فيما بينها في درجة الانجذاب، أو شدة الحب وضعفه.

وبالالتفات إلى هذه الظاهرة الموجودة في الإنسان وغيره، وتحليلها علمياً نجدها ترجع كلها إلى قضية واحدة وهي (حب الإنسان لذاته)، أو (حب كل شيء لذاته)، ولكي تتضح هذه القضية نجعل من الانسان محوراً في البحث، وإلا فإن الحب غير مختص بالإنسان كما سيتضح من خلال البحث إن شاء الله تعالى.

التكامل فطرة نشأ عليها الإنسان منذ أن وجد على ظهر هذا الكوكب، فهو انشودته التي يطلبها، وبغيته التي يحاول الوصول إليها، وهو دائب السعي وراء كماله، لا يصل في ذلك إلى حد، ولا ينتهي إلى أمد.

ومن هنا فهو يطلب كل شيء يحقق له ذلك الكمال المطلوب، وينجذب نحو كل ما يحقق له السعادة، عاجلة كانت أم آجلة، مادياً أو معنوياً، ومن الواضح ان الكمال والسعادة من متطلبات النفس، والسعي وراءهما، تنفيذاً لما تمليه النفس، فلابد لنا من الإذعان ـ حينئذ ـ بأن الحب الحقيقي والانجذاب الواقعي للنفس فقط، وغيرها ليس بمحبوب إلا بالتبع وبمقدار ما يحقق للنفس سعادتها.

وتوضيحاً لهذه الحقيقة نعود إلى الأمثلة التي قدمناها، لنراها غير مطلوبة للإنسان بنفسها، بل بما تحققه من رغبات النفس العارمة، وما تضفيه من سعادة وكمال لها.

فحب الغذاء من الطعام والشراب ليس إلا بسبب ما يسد به من حاجة الجوع أو العطش، أو ما يجلبه من استكمال اللذة التي تجدها النفس في تذوق اللذيذ.. وما حبهما إلا استجابة لما تمليه النفس ـ المحبوب الحقيقي ـ في سد حاجتها أو استكمال لذتها.. فمن الواضح ـ حينئذ ـ ان المحبوب الحقيقي هو النفس، والغذاء محبوب بالتبع، ولذا نجد الإنسان لا يحب مطلق الطعام والشراب، بل يحب منهما ما يحقق له سد حاجة النفس أو استكمال لذتها.

وحب الزوجة أيضاً لا يخرج عن هذا الإطار، فإنها محبوبة بمقدار ما تحقق من سعادة نفسية للرجل، والرجل يحب المرأة وربما يصل الى حدود بعيدة في الحب والعشق، وما ذلك إلا إحساس النفس

بحاجتها إلى معشوقها والتذاذها به، وفقل: احساسها بأنه جزء من كمالها.. فلا يكون السعي وراء المعشوق إلا استجابة لدواعي النفس ورغباتها.

وحب المال ربما يكون أوضح في هذا المجال، لأن العقلاء لا يرونه هدفاً مستقلاً، بل وسيلة لتحقيق أهداف الإنسان، على اختلاف بين الناس في أهدافهم واتجاهاتهم.

ومثلها حب الجاه وحب العلم فهما من هذا القبيل مطلوبان بقدر ما يحققان للإنسان من أغراض سامية أو دنيئة، على اختلاف في الآراء والأهواء.

وربما نجد الشيء الواحد محبوباً من جهة، وغير محبوب من جهة أخرى، مثل (النار) فهي محبوبة عند الحاجة إليها مثل التدفئة وطهي الطعام وما إلى ذلك، ولكنها غير محبوبة عند الاستغناء عنها في الصيف مثلاً، وما لو أرادت ان تحرق ما هو نفيس.

وبعد وضوح هذه الحقيقة، وهي: ان (الحب) لا يتعلق بالأشياء بذاتها، بل بالتبع لما تحققه تلكم الأشياء من كمال مادي أو معنوي، والمحبوب للإنسان بالذات هو نفسه التي بين جوانحه.. يتضح لنا أيضاً ما تقدم في أول البحث بأن الأفعال الاختيارية ترتكز على ركيزتين أساسيتين، وهما (العلم) و(الحب)، فكلما علم الإنسان بشيء في تحقيقه لغاية ما، من سعادة وكمال له، انجذب نحوه وأحبه وعشقه، تحقيقاً للغاية المطلوبة والكمال المنشود.

فالأفعال الاختيارية قبل تكوّن الصورة العلمية في ذهن الإنسان لا يتحرك نحوها، وبعد تكونها وإدراك النفس لما يحققه الفعل من كمال منشود يحصل الحب والانجذاب والتعلق.

ومن هنا تتفاوت متعلقات الحب بين الناس، وما ذلك إلا بسبب تفاوت الصور العلمية لديهم فيما يحقق لهم الكمال والسعادة، فالجائع ـ مثلاً ـ إنما ينجذب للأكل بعد تكوّن صورة علمية لديه عن أهمية الأكل وما يمكن ان يحققه من سد حاجة الجوع، والمريض يستسلم ـ بتمام رغبته ـ لأقسى أنواع العلاج، وطالب البقاء والسلامة والحياة يجنب نفسه عن المخاطر ويبتعد عن كل ما يؤدي إلى انحراف صحته وعن مسببات المرض ـ مثلاً ـ ولا يرمي بنفسه من شاهق، وهكذا... كل ذلك لعلمه بما تؤدي إليه تلكم الأعمال وحبه لنفسه الذي يجعله محافظاً عليها ولا يعرضها لما يؤلمها ويؤذيها، وهي الطريقة المألوفة بين الحبيب ومحبوبه.

فمن الواضح أيضاً أن تختلف ـ على هذا الأساس ـ اتجاهات الناس في الانجذاب والتعلق والحب، وقديما قيل: وللناس فيما يعشقون مذاهب.

ومنه نعرف أيضاً أسباب تفاوت الناس في طاعة الله تعالى ومعصيته، بل قد يتفاوت الإنسان الواحد فيجمع بين الطاعة في بعض الأوامر الإلهية، والمعصية في ترك البعض الآخر، وما ذلك إلا بسبب تفاوت العلم لديه.

وبهذه المناسبة يقول الطباطبائي: «فاختلاف

**قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن أطيب شيء الجنة، وألذه حب الله والحب في الله والحمد لله، قال الله عزوجل: (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين).**

قال كميل بن زياد: سألت أمير المؤمنين عليه السلام عن قواعد الإسلام ما هي؟ فقال: قواعد الإسلام سبعة، فأولها العقل، وعليه بني الصبر، والثاني صون العرض وصدق اللهجة، والثالثة تلاوة القرآن على جهته، والرابعة الحب في الله والبغض في الله ، والخامسة حق آل محمد ومعرفة ولايتهم، والسادسة حق الإخوان والمحاماة عليهم، والسابعة مجاورة الناس بالحسنى.

قلت: يا أمير المؤمنين العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه فما حد الاستغفار؟ قال: يا ابن زياد التوبة، قلت: بس؟ قال: لا، قلت: فكيف؟ قال: إن العبد إذا أصاب ذنباً يقول: أستغفر الله بالتحريك، قلت: وما التحريك؟ قال: الشفتان واللسان يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة؟ قلت: وما الحقيقة؟ قال: تصديق في القلب وإضمار أن لا يعود إلى الذنب الذي استغفر منه .

قال كميل: فإذا فعلت ذلك فأنا من المستغفرين؟ قال: لا، قال كميل: فكيف ذاك؟ قال : لأنك لم تبلغ إلى الأصل بعد، قال كميل: فأصل الاستغفار ما هو؟ قال: الرجوع إلى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه، و هي أول درجة العابدين، وترك الذنب، والاستغفار اسم واقع لمعاني ست: أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود أبداً، والثالث أن تؤدي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم، والرابع أن تؤدي حق الله في كل فرض، والخامس أن تذيب اللحم الذي نبت على السحت والحرام حتى يرجع الجلد إلى عظمه ثم تنشئ فيما بينهما لحماً جديداً، والسادس أن تذيق البدن ألم الطاعات كما أذقته لذات المعاصي.

بحار الأنوار ج ٥٦ ص٣٨١

أفعالنا طاعة ومعصية لاختلاف علمنا الذي يصدر عنه الفعل، ولو دام أحد العلمين، أعني الحكم بوجوب الجري على العبودية وامتثال الأمر الإلهي لما صدر إلا الطاعة، ولو دام العلم الآخر الصادر عنه المعصية ـ والعياذ بالله ـ لم يتحقق إلا المعصية»[٢].

أضف إلى ذلك الممارسات العبادية نفسها، قد تختلف صورها العلمية المسببة والدافعة نحو العمل، إذ تكون خوفاً من العذاب وتجنباً لما أعده الله تعالى للعاصين من النقمة والعقاب تارة، وطمعاً في الثواب وعلوّ الدرجات في النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال تارة أخرى، وعرفاناً بمقام الربوبية والألوهية، ومقام العبودية والفقر والحاجة تارة ثالثة.

وباختلاف الصور العلمية هذه لا يختلف الحب لدى الإنسان، فهو من خلال حبه لنفسه يحاول ان يجنبها الألم والعقاب والنقمة الإلهية فيما لو كانت العبادة خوفاً، كما أنه من حبه لنفسه في الارتفاع إلى النعيم المقيم الدائم من الجنان والأنهار وغيرها مما أعده الله تعالى للمطيعين من عباده، تكون عبادته طمعاً في ذلك.

وأما لو استشعر فقره الحقيقي، وما هو عليه من الحاجة الدائمة المستمرة إلى الغني المطلق الجامع لجميع الكمالات، وانه لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فلا شك ان النفس ستتوجه بتمام وجودها نحوه، وتتعلق به، وتنجذب إليه، لأنها توّاقة للكمال، ولا ترى كمالاً لشيء غيره سبحانه وتعالى، فهو الواهب لجميع الكمالات يعطي من يشاء ما يشاء، ويمنع من يريد ما يريد، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

أضف إلى ذلك حاجتنا الدائمة لله سبحانه، فكما انه تعالى علة في أصل وجودنا كذلك هو العلة في بقائنا، وكما كانت حاجتنا إليه تعالى في أصل وجودنا، كذلك حاجتنا إليه مستمرة لبقائنا وحياتنا واستمرارنا، فهو الذي أفاض علينا الوجود، ولازال دائم الفضل و الفيض والعطاء على بريته، وفي الوقت نفسه نجد نفوسنا تحب بقاءها واستمرارها، فلا ريب انها تتعلق وتنجذب للعلة الحقيقة للبقاء والاستمرار.

فإذا استشعرنا ذلك في أنفسنا، وتجلّت هذه الحقيقة لدى الإنسان فلا شك أن تكون عبادته عرفاناً بمقام الألوهية والربوبية، ومقام العبودية والفقر والحاجة، لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته بل لأنه أهل للعبادة، كما أثر ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يقول: «لم أعبده خوفاً، ولا طمعاً، لكني وجدته أهلاً للعبادة فعبدته»[٣].

وعنه عليه السلام أيضاً: «إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»[٤].

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: «العبادة ثلاثة: قوم عبدوا الله عزوجل خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حباً له فتلك

**قال الإمام الصادق عليه السلام:**
**المحب في الله محب لله، والمحبوب في الله حبيب الله، لأنهما لا يتحابان إلا في الله.**

عبادة الأحرار ، وهي أفضل العبادة»[٥].

ومن هنا يكون الانجذاب للعلة المفيضة للوجود والكفيلة بالاستمرار، والتعلق بها، وحبها، كما قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لله)[٦]، فإذا استمرت هذه الرؤية وأخذت بالوضوح والجلاء تبدأ آثار الحب تظهر على الإنسان في عمله وسلوكه، فيصير متبعاً للرسول صلى الله عليه وآله ولما جاء به من عند الله تعالى في جميع حركاته وسكناته، لأنه من آثاره تعالى، ومن أحب شيئاً أحب آثاره، على ما يقتضيه قانون الحب الحاكم في الوجود، فإن حب الشيء يقتضي حب جميع ما يتعلق به ويوجب الخضوع والتسليم لكل ما هو منه.

وقد يشتد هذا الحب ثم يشتد حتى ينقطع إلى الله تعالى من كل شيء، فلا يحب إلا ربه، ولا يخضع قلبه إلا لوجهه، فإن هذا العبد ـ والحالة هذه ـ لا يمرّ بشيء في هذا الوجود، وعنده شيء من الجمال والحسن، إلا وجده انموذجاً يحكي الكمال الذي لا ينفد، والجمال الذي لا يتناهى، والحسن الذي لا يحد ، فلله تعالى الحسن والجمال والكمال والبهاء، وكل ما كان لغيره فهو له، لأن كل ما سواه آية له، والآية تحكي صاحبها، وهذا العبد قد استولى سلطان الحب على قلبه، ولا يزال يستولي، ولا ينظر إلى شيء إلا لأنه آية من آيات ربه، فينقطع حبه عن كل شئ إلا إلى ربه ، فلا يحب شيئا إلا لله سبحانه وفي الله سبحانه .

وحينئذ يتبدل نحوُ إدراكه وعمله، فلا يرى شيئاً إلّا ويرى الله سبحانه قبله ومعه، وتسقط الأشياء عنده من الاستقلالية، ويكون ما عنده من صور العلم والإدراك غير ما عند الناس، لأنهم إنما ينظرون إلى كل شيء من وراء حجاب الاستقلال بخلافه ، هذا من جهة العلم .

وكذلك الأمر من جهة العمل فإنه إذا كان لا يحب إلا لله، فلا يريد شيئاً إلا لله وابتغاء وجهه الكريم ، ولا يطلب، ولا يقصد، ولا يرجو، ولا يخاف، ولا يختار، ولا يترك، ولا ييأس، ولا يستوحش، ولا يرضى، ولا يسخط إلا لله وفي الله تعالى. فمن الواضح أن تختلف أغراضه مع ما للناس من أغراض، وتتبدل أهدافه وغاياته.

فإنه قد كان قبل هذا يختار الفعل ويقصد الكمال لأنه فضيلة إنسانية، ويحذر الفعل أو الخلق لأنه رذيلة إنسانيه.

وأما الآن فهو لا يريد إلا وجه ربه ، ولا همَّ له في فضيلة ولا رذيلة، ولا شغل له بشاء جميل وذكر محمود، ولا التفات له إلى دنيا أو آخرة أو جنة أو نار ، وإنما همّه ربه ، وزاده ذل عبوديته ، ودليله حبّه.

ومن هنا لا عجب لو سمعنا عقيلة بني هاشم الحوراء زينب عليها السلام وهي تقول لابن زياد: ـ وبكل رباطة جأش ووضوح في الرؤية، تعقيباً على قوله: كيف رأيت صنع الله بأخيك... ـ (ما رأيت إلا جميلاً)[٧].

فإن التضحية لما كانت في سبيل الله تعالى، وبإرادته واختياره كانت جميلة بكل ما لهذه الكلمة من معنى، وكل ما يأتي من المحبوب محبوب، فهؤلاء الصفوة الأكارم تجلّت لهم عظمة الله تعالى وكماله المطلق، وفقرهم له واحتياجهم المطلق لعنايته، فاختلفت أهدافهم عن أهداف الناس، وصار رضا الله تعالى هدفهم الحقيقي، والتضحية في سبيله جميلة عندهم.

وهذه الرؤية كانت السمة البارزة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فلقد وقف رسول الله صلى الله عليه وآله في محرابه حتى ورمت قدماه، فقالت له زوجته: «يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة ألا أكون عبدا شكوراً؟!»[٨].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على أطراف أصابع رجليه فأنزل الله سبحانه وتعالى: (طه ❖ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)[٩].

وهذا علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام الذي يقول: «والله لو تقطعت اعضائي وسالت مقلتاى على صدري لن أقوم لله جل جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التى لا يحصيها العادون ولا يبلغ حد نعمة منها على جميع حمد الحامدين. لا والله ، أو يرانى الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار، ولا سرّ ولا علانية. ولو لا ان لأهلي عليّ حقاً ولسائر الناس من خاصّهم وعامّهم عليّ حقوقاً لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم، لرميت بطرفي إلى السماء، وبقلبي إلى الله، ثم لم أرددهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين»[١٠].

ودخل عليه ابنه أبو جعفر الباقر عليه السلام، فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فرآه قد اصفر لونه من السهر، ورمصت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته، وانخزم أنفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة.

قال أبو جعفر عليه السلام: «فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء، فبكيت رحمة له، فإذا هو يفكر، فالتفت إليّ بعد هنيئة من دخولي، فقال: يا بنى، أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام، فأعطيته فقرأ فيها شيئاً يسيراً، ثم تركها من يده تضجراً، وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام؟!»[١١].

ويوصي أبو الحسن موسى عليه السلام بعض ولده فيقول: «يا بني عليك بالجد. لا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله عز وجل وطاعته، فإن الله لا يعبد حق عبادته»[١٢].

فهؤلاء الصفوة المنتجبة لم يشغلهم عن حب الله تعالى شاغل، لأنهم رأوا من كمال الله تعالى وجلاله، وعظمته، وكبريائه، وآلائه، ما لا حدّ له من الكمال والجلال والعظمة والكبرياء والآلاء، ما يدفع بهم لأن يقولوا من أعماقهم:

(سبحانك ما عبدناك حق عبادتك)

أو كما يصف أمير المؤمنين عليه السلام المتقين: «ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض، ويقول: قد خولطوا، ولقد خالطهم أمر عظيم»[١٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: «إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما، ووجد حلاوة حب الله وكان عند أهل الدنيا كأنه قد خولط، وإنما خالط القوم حلاوة حب الله، فلم يشتغلوا بغيره. قال: وسمعته يقول: إن القلب إذا صفا ضاقت به الارض حتى يسمو»[١٤].

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

والحديث في هذا المجال طويل، وأرجو أن أكون قد أوضحت

**قال رسول الله صلى الله عليه وآله:**
**إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، وتوالي ولي الله، وتعادي عدو الله.**

فكرة اعتماد العمل على (العلم) (والحب)، ونكون قد حصلنا من خلالها على نتيجة مهمة أشار إليها الإمام الباقر عليه السلام بقوله الذي صدَّرنا به البحث (وهل الدين إلا الحب؟!)، فإن الدين عبارة عن العقيدة والسلوك، كما يشير إليه قوله عليه السلام «الإيمان إقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان»[15]، فالإقرار والعمل لا ينشأان إلا من العلم والحب، والدين والعبادة من مظاهر العلم والحب، ولولاهما لما عمل الإنسان، فالعلم هو الذي يحدد لنا الهدف والنتيجة، والحب هو المحرك نحو المعلوم.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى عرفنا ان المحبوب الحقيقي هو النفس التي بين جوانحنا، وهي محبة لكمالها، ولكنها تارة ترى كمالها في شيء مادي زائل، فتهفو له وتحاول تحصيله، وأخرى تراه في الكمال التام المطلق غير المحدود بحد، فتتعلق به وتنجذب نحوه وتحبّه، وحينئذٍ تذهل عن كل ما سواه، وقديماً قيل:

ومن ركب البحر استقلَّ السواقيا

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وختاماً لابد من تسجيل بعض الملاحظات:

١ ـ الحب معنى وجداني وهو حقيقة واحدة لا يختلف من شيء إلى آخر، فحب الطعام هو بعينه حب الجنس مثلاً، وهو بعينه حب العلم والجاه والمال. والاختلاف إنما يقع في متعلقاته، وفي الحاجة التي يسدها متعلَّق الحب، ومن هنا ينشأ الوهم بأنه نوع آخر من الحب، مع ان الحب لم تختلف نوعيته بل الاختلاف في الانفعالات النفسية النابعة من الحاجة إلى المطلوب، فإنها إذا احتاجت إلى الغذاء أبدت شعوراً خاصاً نحوه غير الشعور الذي تبديه لدى حاجتها إلى الجنس.

فكل منا يحب أبويه وزرجته وأولاده وأصدقاءه، وبالتحليل نجد أن حب هؤلاء لا تختلف نوعيته من شخص لآخر، وإنما الاختلاف فيما يحققه كل واحد منهم من سعادة خاصة.

فالأبوان ـ مثلاً ـ بما يقومان به من دور الأبوة والرعاية والتربية، والزوجة بما تؤديه من سعادة داخل الأسرة، والأولاد بما يبعثونه من الشعور بالأنس والامتداد الطبيعي للإنسان.

نعم يختلف الحب في الشدة والضعف، فالأشد حباً للنفس الأكثر إسعاداً لها، وهكذا يتناقص الحب بنسبة مراتب السعادة والكمال.

وهذا المعنى لا يختص بالحب، بل يعم جميع المعاني الوجدانية، مثل الفرح والحزن والألم والجوع والعطش، فإنها كذلك لا تختلف إلا بالشدة والضعف، فألم الصداع ـ مثلاً ـ لا يختلف عن أي ألم آخر إلا شدة وضعفاً، وكذلك الفرح لا تختلف نوعياته فيما بينها، وإنما الاختلاف في مراتبه التي تزيد وتنقص بحسب مؤدياتها.

ويمكننا استفادة هذا المعنى من قوله تعالى: (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ...)[16]. وظاهر الآية الشريفة ان حب هؤلاء للآباء وغيرهم أشد من حبهم لله ورسوله والجهاد في سبيله، لا أنه من سنخ آخر، ولذا عاتبهم على هذا التفضيل، وهذا يشير بوضوح إلى ان الحب حقيقة واحدة ذات مراتب متعددة في الشدة والضعف.. كما يشهد بذلك التعبير بـ(أحب) وهو فعل التفضيل.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

٢- ربما يتم التعبير عن (الحب) بألفاظ أخرى غيره، مثل الإرادة، والرغبة، والرضا، والشوق، وهذه الألفاظ بمعانيها الدقيقة ربما تكون أضيق من (الحب) وأخص منه، ومن هنا كان المعنى العام الشامل لجميعها هو (الحب).

وقد تكرر لفظ (الحب) ومشتقاته في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مورداً، كما انه نسب مرة إلى الإنسان تجاه الإنسان كما في قوله تعالى: (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا)[١٧]، وإلى الإنسان تجاه الله تعالى، كما قال سبحانه: (إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه)[١٨]، وإلى الله تعالى تجاه المؤمنين من عباده، كقوله عز اسمه: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)[١٩].

ومن الواضح ان الحب فينا عبارة عن انفعال نفساني أو كيف نفساني - كما يصطلحون عليه - يوجب التعلق بالمحبوب والانجذاب إليه، مضافاً إلى أن نشوء الحب عندنا لايكون إلا بعد تكوّن مجموعة من المقدمات، مثل تصور المحبوب، والاعتقاد أو التصديق بما يحتوي عليه من كمال منشود وما إلى ذلك من المقدمات التي تنتهي بالانجذاب والتعلق بالمحبوب.. فالذي لا يعلم بوجود الحسناء لا يتعلّق قلبه بها، وكذلك الذي يعلم بوجودها ولكن لا يعلم بأنها حسناء مثلاً.. أو لا يعلم بأنها تحقق له السعادة.. وهكذا.

وهذا فينا واضح، ولكنه مما يستحيل نسبته إلى الله تعالى، لأن جميع ما ذكرناه إنما هو من شؤون المادة وخصوصياتها.. ومن بديهيات الإيمان بالله تعالى أنه جل شأنه منزه عن المادة، وعن جميع خصوصياتها، مثل الانفعال النفسي ومقدمات الحب، وليس شأنه شأننا في ذلك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فإنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير)[٢٠].

وهذا من البحوث العقائدية المعقدة، والتي لا يسعنا التفصيل فيها هنا، بل نتركها للدراسات المتخصصة في مجالي العقيدة والفلسفة الإسلامية.

ولكن المهم في هذا المجال هو ان نتعرف على الأثر المترتب على هذا (الحب) الذي هو كسائر الصفات الإلهية التي نتلمسها من خلال آثارها مثل الغضب والرحمة وغيرهما، بعيداً عن الدخول في التفاصيل التي ربما لا تتسع لها أفهامنا.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

فقد اتفق الكتاب الكريم والسنة الشريفة على نسبة (الحب) و(الإرادة) لله تعالى، وعند التأمل في ذلك يمكننا ان نقوم بتقسيم هذا الحب إلى قسمين:

**القسم الأول:** حب الله تعالى لمخلوقاته فكل شيء تعلقت الإرادة الإلهية في إيجاده وخلقه لابد أنه محبوب له تعالى، لأنه قد علم، وعلمه من الأزل، أن مجموع هذه المخلوقات من الأرض والسماء، وما فيهنّ وما بينهنّ، مما نعلم وما لا نعلم، تحقق النظام الأكمل لهذا العالم، ومن هنا تعلقت إرادته سبحانه في خلقه وإيجاده، فهي محبوبة له بهذا الاعتبار، لأنها مخلوقاته، ومن جوده وعطائه، ومن آثاره وآثار كماله

**قال الإمام الصادق عليه السلام:**
**إن المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور، قد أضاء نور أجسادهم ونور منابرهم كل شيء، حتى يعرفوا به، فيقال: هؤلاء المتحابون في الله.**

المطلق، ومن أحب شيئاً أحب آثاره.

فهو تعالى دائم الفضل على جميع بريته، يسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، وهو الجواد الواسع، الكريم، المنعم، المتفضل، ( وَكَأَيِّن من دَابَّة لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ )[٢١]، (وَمَا من دَابَّة في الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّه رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[٢٢].

فهو تعالى يحب جميع مخلوقاته، والكل عبيده وفي قبضته، وكل شيء خاضع له، (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ...)[٢٣]، والكل مشترك في عطائه وفضله وجوده ونعمته، لأنه الجواد الكريم، و(يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)[٢٤] ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً إنه هو العزيز الوهاب.

بل نجد في جوده عزت آلاؤه جوداً منقطع النظير، إذ يجود حتى على العصاة، وعلى المشركين والذين اتخذوا أنداداً دونه، وعلى الجاحدين بربوبيته، فلم يمنعه كل ذلك من أن يجود عليهم بأفضل نعمه، ولا يحرمهم من جوده وعطائه، كما قال جل شأنه: (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُوراً ❖ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ❖ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً)[٢٥]، والتأمل في هذه الآيات الشريفة يوصلنا إلى نتائج مذهلة في هذا المجال، فإنه تعالى تعهّد فيها أن لا يقطع عطاءه حتّى عن أولئك الذين يريدون العاجلة، بل يعجل لهم العطاء، ويمدّهم حتى في أدوات المعصية وكفرانهم النعمة.

سبحانك اللّهم وبحمدك، «تتحبب إلينا بالنعم ونعارضك بالذنوب، خيرك إلينا نازل وشرنا إليك صاعد، ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنّا بعمل قبيح، فلا يمنعك ذلك أن تحوطنا بنعمك أو تتفضل علينا بآلائك، فسبحانك ما أحلمك، وأعظمك، وأكرمك مبدئاً ومعيداً، تقدّست أسماؤك وجلّ ثناؤك، وكرم صنائعك وفعالك»[٢٦] ■

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

**الهوامش:**

(١) الكافي ج٨ ص٧٩.
(٢) الميزان ج٢ ص١٣٨.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠ ص١٥٧.
(٤) نهج البلاغة ج٤ ص٥٣.
(٥) الكافي ج٢ ص٨٤.
(٦) سورة البقرة آية ١٦٥.
(٧) بحار الأنوار ج٤٥ ص١١٦.
(٨) الكافي ج٢ ص٩٥.
(٩) سورة طه آية ١، الكافي ج٢ ص٩٥.
(١٠) بحار الأنوار ج٤٦ ص٥٧.
(١١) الإرشاد للمفيد ج٢ ص١٤٢.
(١٢) الكافي ج٢ ص٧٢.
(١٣) نهج البلاغة ج٢ ص١٦٢.
(١٤) الكافي ج٢ ص١٣.
(١٥) الأمالي للطوسي ص٤٤٨.
(١٦) سورة التوبة آية ٢٤.
(١٧) سورة يوسف آية ٣٠.
(١٨) سورة آل عمران آية ٣١.
(١٩) سورة المائدة آية ٥٤.
(٢٠) سورة الشورى آية ١١.
(٢١) سورة العنكبوت آية ٦٠.
(٢٢) سورة هود آية ٦.
(٢٣) سورة الإسراء آية ٤٤.
(٢٤) سورة المائدة آية ٦٤.
(٢٥) سورة الإسراء آية ١٨-١٩.
(٢٦) من دعاء الإمام زين العابدين المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي انظر: مصباح المتهجد ص٥٨٦.

**التتمة في العدد القادم**

# الأعمار لا تقرّها شهادات الميلاد

## نظرة في أعمار مراجعنا الكرام

• أ. م. الدكتور نبيل عباس
F.R.C.P.
مدير المركز العلاجي للعوز المناعي في الحلة

ينابيع الجنس البشري مبرمج وراثياً لكي يعيش فترة محدودة، هي بحدود (٨٥) عاماً، وهذا ما يسمى بمدى العمر (Life Span) ويختلف هذا المدى باختلاف الأجناس والأنواع فهو (٢-٤) سنة في الفئران و(٢٠-٢٥) سنة في القردة وفي الفيلة قد يصل إلى (٧٥) عاماً وبعض السلاحف تعيش أكثر من مائة عام.

أما ابن آدم فلو لو يمرض ولم تحصل له أية حادثة في حياته فهو مبرمج لكي يعيش ٨٥ عاماً لتتوقف بعدها الساعة البايولوجية التي تديم هذه الحياة وهذا ما تكتبه المصادر العلمية رغم أن البعض يعتقد أن الإنسان ينطوي على قابلية العيش لمدة أطول فمنهم من يراها إلى (٢٠٠) عام بينما يراها آخرون (١٠٠٠) عام ولكن علينا أن نذكر أن قليلين جداً هم من عاشوا أكثر من مائة عام.

ومفهوم مدى العمر عن مفهوم معدل أو متوسط الأعمار (Life Expectancy) والذي يختلف باختلاف البلدان ورقيها الحضاري والطبي فمعدل الأعمار قد زاد في الولايات المتحدة من ٥٠ سنة عام ١٩٠٠م إلى حوالي الـ٧٠ سنة عام ١٩٩٧م بينما انخفض معدل الأعمار في بعض البلدان الإفريقية وبسبب ظهور وباء الإيدز بمعدل ١٠ سنوات، ولكن يبقى الإنسان دون أن يتجاوز مدى عمره حتى مع تطور الطب حسب المعطيات والحقائق العلمية الحالية. نعم، يبالغ في ذكر عدد سنين المعمرين في الصحف أو المجلات لكن الأعداد المسجلة رسمياً تتحدث عن أرقام قليلة جداً لمن تجاوز المائة والعشرين عاماً. فهناك إشارة إلى معمري المناطق الجبلية وهناك أسماء يتواتر ترددها ومنهم الفلاح المجري الذي عاش ١٨٥ عاماً وهو يعمل لآخر أيام حياته أو الأمريكي الجنوبي الذي عاش ٢٠٧ أعوام.

وهناك مصطلحان في سياق الحديث عن الأعمار، وهما العمر الزمني والعمر البايولوجي. فالعمر الزمني (Chronological Age) هو الذي يشير إليه تأريخ الولادة والعمر البايولوجي (Biological Age) فهو الذي تشير إليه القابلية الوظيفية

لمختلف أعضاء الجسم كفاءة وقدرة، طول العمر الزمني يجعل منك معمراً أما العمر البايولوجي فهو الذي يحدد شيخوختك وكبرك، فقد ندخل الشيخوخة قبل أن تدخلها أعمارنا وقد نتأخر في دخولها ولو وصلتها أعمارنا الزمنية ذلك أن الشيخوخة ليست مرحلة زمنية بل ظاهرة جسدية يمر بها الإنسان حينما تصاب أعضاء جسمه بالضعف والعجز عن القيام بوظائفها على الشكل المرجو خاصة إذا ما تذكرنا الحديث الشريف للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله حينما أشار إلى أن أي ضعف في عضو من جسدنا سيؤدي إلى تداعي باقي الجسد سهراً وضرراً وحمى.

يولد الإنسان وتولد معه قابليته للعيش والتي تتحكم فيها العوامل الوراثية البالغة التأثير لكن هذه القابلية تكون نهباً للكثير من الأعداء من أمراض وسموم وكدر يضاف إليها غرائز الإنسان والتي تزيد في ضعفه وخذلانه وتعمل على شيخوخته ولربما من أهمها كثرة الطعام حتى قيل أن الحيوانات المجترة أقل أعماراً من سائر الحيوانات.

ونأتي على المهم في موضوعنا ألا وهو (أعمار المراجع العظام) تقدست أسرار الميتين منهم وأطال الله عمر الأحياء منهم فهؤلاء لابد أنهم تأسوا ويتأسون بإمامهم، إمام الزهد والتقى، علي بن أبي طالب عليه السلام والذي كان يخشى أن تكثر لقيماته في وجبة طعام فيطول وقوفه أمام الله تعالى.

وقد يتبادر للبعض أن طول أعمار المراجع العظام قد يكون عاملاً في أن تخبو إمكاناتهم الذهنية وهم منار هذه الأمة في هذا الزمن، زمن الظلام الحالك فأقول: إن إسلامنا العزيز وسم الشيخوخة وعلامات الكبر بأنها (كلال الصبر وانحناء الظهر وزلة القدم) وما ذلك بإشارة علمية بليغة قدر ما هي إعجاز مثير.

وما قال الله تعالى إن الكل يُرد إلى أرذل العمر فقد أشارت الآية الكريمة: (وَاللّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) النحل:٧٠.

(ومنكم) هذه تبعيضية ولقد اطلعنا إلى العديد ممن دخلوا الأعمار المتقدمة وبقوا على نشاطهم لا بل إن البعض منهم واصل عطاءاته العلمية في اعمار السبعين وفوقها كـ(غاليلو الإيطالي والفيزياوي لابلاك الفرنسي) كما أن العديد من الموسيقيين والفنانين قدموا في شيخوختهم أروع مما قدموا في شبابهم فـ(بيكاسو) واصل الرسم وهو في التسعين، وهذا

يعني بوضوح أن الشيخوخة والعته ليسا مترابطين دائماً. نعم فقد تقل بعض المدارك وقد تصاب الذاكرة ببعض الضعف ولكن الخبرة المتراكمة من هذا العمر المديد لا تجعل من هذا الضعف أمراً ذا وزن، نعم هناك وهن وقلة قابلية لكن المدارك تبقى متقدة ولن يكون أرذل العمر أمراً لابد منه.

لقد جاء في تفسير الميزان ج١٤ للطباطبائي أن الأرذل هو الأردء والأدون والمراد بأرذل العمر وبقرينة ما تبعها من قوله تعالى (لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً) هو سن الشيخوخة والهرم والتي يحصل فيها انحطاط لقوى الشعور والإدراك. وفي تتبعي وجدت أن هناك حديثين للرسول ﷺ في تحديد أرذل العمر، الأول بـ٧٥ عاماً والثاني حدده بـ١٠٠عام علماً أن الواقع يتوافق مع كلا الحديثين وقد يكون هذا الاختلاف مقصوداً وليس عرضياً، وهذا هو بعض من المعاجز في ديننا العظيم والذي لم يدع للمسلمين أن يتأكدوا أي ليلة من ليالي رمضان هي ليلة القدر وأي صلاة هي الصلاة الوسطى.

وقد خبرت شخصياً ورغم صغر حجم هذه الخبرة ومن الأسئلة المكتوبة التي كنت أوجهها لمراجعنا الأفذاذ أن إجاباتهم الموجزة لم تكن مصداقاً لمقولة: (إن خير الكلام ما قل ودل) بل إن هذا الإيجاز كان يرقى إلى مستوى البلاغة، ولمن قد يتصور أن مرد هذا الإيجاز في الإجابة هو حالة الكلال عند المراجع من كثرة أسئلة هذه الأمة الحيرى أقول: إنه وحينما تتطلب الإجابة بعض الإيضاح تأتي الإجابة إفاضة ثرّة وصافية وحينما أسأل بعض الأسئلة الطبية يبقى في نفسي إحساس بقصور أنني لم أوضح الخلفية العلمية أو الطبية للسؤال بما يكفي وأفاجأ بتغطي السؤال وأبعاده المحتملة، هؤلاء هم علماؤنا وفخرنا.

لقد عاش السيد الآراكي حوالي (١٣٠) عاماً والسيدان الشاهرودي وأبو الحسن (١٠٠) عام ومن العلماء الذين كان لي حظ رؤيتهم في حياتي عن قرب وبعد. فلقد عاش السيد البهشتي (١٠٠) عاماً، والسيد محسن الحكيم (٨٣) عاماً والسيد الخوئي (٩٧) عاماً والسيد السبزواري (٨٧) عاماً وفي محافظة بابل فقد عاش السيد محمد سماكة (٩٦) عاماً وعاش السيد الخميني (٩٠) عاماً ولقد كان جميع هؤلاء العلماء مثالاً للدقة والعقل النير والمثابر بأعلى ما يكون عليه المثال.

لا يختلف اثنان على تعريف الموت بأنه افتراق الروح عن الجسد ولكن هذا التعريف المبسط يطرح سؤالاً غير بسيط هو هل أن الجسم هو الذي يوفر أسباب الموت أو أن الروح وراء هذا الموت حينما تزمع الرحيل وجميع العلماء تقريباً وأغلب رجال الدين يؤيدون الطرح الأول لكن الفيلسوف الإسلامي الكبير (ملا صدرا) يشير إلى الطرح الثاني ويقول: إن إدارة الجسد ورعايته موكولة إلى الروح التي تتحكم فيه كيف تشاء، فهي تتعلق بالجسد بأواصر قوية مادامت محتاجة إليه ولكن عندما تضعف حاجتها إليه يضعف تعلقها به

وينتج من إهمالها له الهرم والشيخوخة وصولاً إلى مرحلة الموت وعلى أساس هذه النظرية يمكن تفسير طول عمر الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) فهو قد ولد عام (٢٥٥هـ) وهو حي غائب ومن المحتمل أن يعيش قروناً أخرى، وقد يتبادر للذهن أن ذلك مخالف للعلم والعقل رغم أن هناك من الشواهد الكثيرة التي تتفق مع طول فترة الحياة فهناك أشجار عاشت لأكثر من ألف عام، وحبة القمح التي وجدت في قبور الفراعنة استطاعت أن تنمو وتثمر وهذا دليل على احتفاظها بالحياة لأكثر من أربعة آلاف عام، والنبي نوح عليه السلام عاش (٢٥٠٠) عام حيث يؤكد القرآن الكريم صراحة أن مدة دعوته في قومه بلغت (٩٥٠) عام: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِه فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) العنكبوت:١٤.

وعلى هذا يمكن أن نفهم بسهولة لماذا تطول أعمار مراجعنا العظام ذلك أن أرواحهم الطاهرة تحس بضرورة وجودها واستمرارها من أجل أداء مهام عظيمة أوكلت لها من قبل رب عظيم يقدر الأقدار والأعمار.

لقد تحدثت بلغة العقل عن أعمار مراجعنا الكرام ولو أردت الحديث بلغة القلب فبودي أن أقول سطرين الأول هو فداحة خسارتنا لفقدنا المرجع الفذ السيد الشهيد محمد باقر الصدر فلو امتد عمره الكريم فكيف سيكون مقدار العطاء والثاني هو دعائي لله تعالى أن يأخذ من أعمارنا ليطيل أعمار مراجعنا، هذه دعوة مخلصة والله سميع مجيب.


المصادر:

١. الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، العلامة الطباطبائي.

٢. حوارات حول المنقذ، العلامة الأميني.

3. Victor Adams Textbook of Neurology 2001.


## سورة الفاتحة

فاتحة الكتاب مكيّة عن ابن عباس وقتادة، ومدنيّة عن مجاهد، وقيل: أنزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة. وأسماؤها:

١. **فاتحة الكتاب**: لافتتاح المصحف بكتابتها.

٢. **الحمد**: لأن فيها الحمد.

٣. **أم الكتاب**: لأنها متقدمة على سائر سور القرآن.

٤. **السبع**: لأنها سبع آيات.

٥. **المثاني**: لأنها تثنى بقراءتها في كل صلاة.

٦. الوافية: لأنها لا تنتصف في الصلاة.

٧. **الكافية**: عن النبي(ص): أم القرآن عوض عن غيرها، وليس غيرها عوضاً عنها.

٨. **الأساس**: عن النبي(ص): إن لكل شيء أساساً.. إلى أن قال: وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم.

٩. **الشفاء**: عن النبي(ص): فاتحة الكتاب شفاء من كل داء.

١٠. **الصلاة**: عن النبي(ص): والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، هي أم الكتاب وهي السبع المثاني...

# الشيخ بهاء الدين العاملي ..
# العالم الموسوعي

• كاظم عبود الفتلاوي

ينابيع **في الدراسات الحديثة التي تجري لمعرفة حياة العظماء في العالم يولي الباحث اهتمامه البالغ في جغرافية وبيئة البلد الذي ولد ونشأ فيه من يبحث عنه لارتباط عناصر الدراسة على ذينك العنصرين من حيث النشأة وأدوارها والتكوين العلمي وأطواره.**

**وفي ظني أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل لكل بلد خصوصية يتميز بها عن البلد الآخر.**

و(جبل عامل) من البلاد التي خصها الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالخير الوفير: بالتربة الصالحة، والرياض الغناء الجميلة، والذكاء الخارق عند أبنائها.

لذا اشتهرت بكثرة من نشأ فيها من علماء، وأدباء، وشعراء ونظرة فاحصة إلى كتاب (أمل الآمل) وكتاب (تكملة أمل الآمل) تريك المئات من هؤلاء الأجلاء.

وفي مقالتي هذه أحاول أن أوجز القول في حياة عالم من علماء تلك البلاد ألا وهو الشيخ بهاء الدين العاملي.

وهو ألمع شخصية علمية في عصره، وأحد العلماء الموسوعيين القلائل في التاريخ، فقد شارك مشاركة عجيبة في مختلف الفنون والعلوم كالفقه وأصوله والتفسير والحديث والدراية والرجال والفلسفة والفلك والحساب والهندسة والجفر والرمل والنحو والشعر والبلاغة والتصريف. وكان يقال: إن له في كل قدر مغرفة.

## وإليك موجز حياته:

بهاء الدين محمد بن عز الدين الحسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن إسماعيل الحارثي الهمداني العاملي. من أحفاد الحارث الهمداني من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

ولد في بعلبك يوم الأربعاء ٢٧ ذي الحجة سنة ٩٥٣هـ ونشأ بها.

أحاطه والده بالحنان وغذاه العلم كسائر أولاد الشيخ، وتفتحت ورود هذا الصبي في تلك الرياض اليانعة، ولبلاده (جبل عامل) دور في تنشئته إذ كان البلد ـ يومها ـ يعج بمشايخ العلم والأدب، فأفاد من مجالسهم ومذاكراتهم، واقتبس من

تلك الشهب اللامعة ما طاب له في إنارة طريقه.

وللأسرة دور - أيضاً - فقد كانت من الأسر الشريفة التي لها الامتداد التاريخي الأصيل والمكانة العالية في العالم الإسلامي، نبغ فيها رجال لهم دور مرموق وصفحة غراء في دين الإسلام والمعرفة.

فجده الثاني: محمد بن علي الجباعي العاملي المولود سنة ٨٢٢هـ والمتوفى سنة ٨٨٦هـ كان عالماً مؤرخاً.

وجده الأول: عبد الصمد بن محمد المولود سنة ٨٥٥ هـ والمتوفى سنة ٩٣٥هـ كان عالماً فاضلاً.

ووالده: الحسين بن عبد الصمد المولود سنة ٩١٨هـ والمتوفى سنة ٩٨٤هـ كان من جهابذة العلماء، وشيخ الإسلام في عصره. وأعمامه وإخوته كلهم علماء فاضلون.

انتقل به أبوه إلى بلاد إيران في عصر الشاه (طهماسب)، وتولى الأب بها مشيخة الإسلام.

فاشتغل بالعلم على والده، والشيخ عبد الله بن الحسين اليزدي، والشيخ محمد باقر اليزدي، والشيخ علي المذهب، والشيخ أفضل القائني وغيرهم من العلماء وتخرج عليهم.

اقترن بكريمة العالم الكبير الشيخ زين الدين علي بن هلال الكركي العاملي المتوفى سنة ٩٩٤هـ والذي كان شيخ الإسلام بأصفهان، وكانت عالمة فاضلة، انتقلت إليها مكتبة والدها الضخمة بعد موته.

تولى منصب شيخ الإسلام وأمور الشريعة في بلاد إيران - بعد موت الشيخ الكركي - للمؤهلات المودعة فيه، ولثقة العلماء وأهل الفضل والسلطة الحاكمة به.

وبديهي أن هذا المنصب لا يتولاه إلا ذو حظ عظيم من العلم والعمل. فاستمر به مدة قليلة، ثم ترك منصبه هذا وساح في بلاد الله الواسعة مدة طويلة، فزار في سياحته بيت الله الحرام وقبر النبي صلى الله عليه وآله، ومصر والقدس وحلب ودمشق وكرك نوح، والمشاهد المشرفة في العراق كالنجف وكربلاء والكاظمية وسامراء، وبلاد إيران، واجتمع في سياحته بكثير من أرباب الفضل والأدب وجرت بينه وبينهم المناظرات العلمية والأدبية، وأفاد منه جمع من الطلبة.

ثم عاد إلى أصفهان واستقر بها، وعكف على التصنيف وتربية طلاب العلم، فخرج من قلمه الشريف أسفار رائعة، وتخرج من مجلس درسه العشرات من أفذاذ العلماء الذين انتشروا لبث العلم في البلدان العربية والأجنبية كما تشهد بذلك إجازاته العلمية لهم، إلى حين وفاته بين الظهرين الثلاثاء ١٢ شوال سنة ١٠٣٠هـ ونقل إلى مشهد الرضا عليه السلام ودفن

قبر الشيخ البهائي قرب مشهد الإمام الرضا (ع)

قريب الحضرة المقدسة وقبره اليوم مزار متبرك به.

## مؤلفاته:

كما قلت سابقاً إن له مشاركة في العلوم الإسلامية كافة، وسأذكر نموذجا منها:

١. العروة الوثقى في تفسير سورة الحمد.
٢. حاشية تفسير البيضاوي.
٣. الحبل المتين في أحكام الدين.
٤. مجمع النورين في الفقه.
٥. مشرق الشمسين.
٦. الاثنا عشرية في الطهارة.
٧. الاثنا عشرية في الصلاة.
٨. الاثنا عشرية في الصوم.
٩. الاثنا عشرية في الحج.
١٠. الاثنا عشرية في الزكاة.
١١. الاثنا عشرية في الخمس.
١٢. زبدة الأصول.
١٣. جهة القبلة.
١٤. تشريح الأفلاك.
١٥. الصفيحة في الإسطرلاب.
١٦. خلاصة الحساب.
١٧. الأربعون حديثاً.
١٨. الوجيزة في الدراية.
١٩. مفتاح الفلاح في الأدعية.
٢٠. أسرار البلاغة.
٢١. الفوائد الصمدية في النحو.
٢٢. الكشكول.
٢٣. المخلاة في الأدب.

## آثاره الهندسية:

نسبت إلى الشيخ البهائي آثار هندسية كثيرة، لم أجد نسبتها إليه إلا عند مؤرخي القرن الرابع عشر الهجري، ولم أطلع - بحدود تتبعي - على من دون تاريخ تلك الآثار قبلهم.

منها ما يشبه الأساطير والغرائب، ومنها ما هو واقع بالفعل إذ أن لشخصيته الفذة وشأنه العلمي الأثر في نسبتها إليه.

منها: أنه كان المهندس للصحن الحيدري الشريف، ووضع الغرف والحجر على شكل خاص بحيث أن كل غرفة أو حجرة تقع تحت تأثير كوكب يمتاز طالب العلم الذي يسكنها بأنه يبرع في احد العلوم.

وقد نفى السيد حسن الصدر في كتابه (نزهة أهل الحرمين) أن يكون الشيخ البهائي هو المهندس وأورد على ذلك دليلاً مفاده أن البناء قام بعد وفاته بأكثر من عشر سنين.

ومما هو معقول النسبة إليه:

١. استطاع أن يحطم الذرة، وأن يسيطر على طاقتها وان يستخدمها في الحاجات.
٢. وضع قوانين ضغط الماء وتساوي سطوحه.
٣. وضع قواعد للأشكال الهندسية المسطحة والمجسمة.
٤. صنع ساعة دائمة الحركة دون أي حاجة إلى من يحركها.
٥. أبدع في صنع شمعة أوقدها في اتون حمام بأصفهان وكانت تكفي لتدفئة الحمام بكامله مدة استمرت ثلاثة قرون وتزيد وظلت حتى هدمها المهندسون الإنكليز لاكتشاف أسرار اختراعها، وكان ابتداء بناء الحمام سنة ١٠٢٥هـ.
٦. توصل إلى اكتشاف قوانين الانعكاسات الصوتية - الصدى- وتطبيق النظرية عمليا بمسجد في أصفهان - مسجد الشاه - الذي ابتدأ ببنائه سنة ١٠٢١هـ.

وهو جامع متسع الجنبات لا يبلغ صوت الخطيب فيه إلى كل جانب فاستطاع الشيخ أن يبنيه على فن يتجاوب فيه الصوت تجاوباً متتابعاً مما يتيح انتقاله إلى كل أذن داخل المسجد ويبلغ به مدى بعيداً في صحن المسجد، بحيث يتردد فيه الصدى سبع مرات حين النطق أو التصفيق تحت قبته.

وهذا من العجائب حيث أن الشيخ أوجد مكبراً للصوت بلا مكبر ولا كهرباء ولا أسلاك من قبل أن يعرف العالم هذه المكبرات بمئات السنين.

ومن العجائب الموجودة في هذا المسجد (الساعة الزمنية) وهي عبارة عن صخرة مثبتة على الأرض في أحد أركان المسجد بشكل خاص، بحيث عندما تكون الشمس عمودية على الصخرة يحين وقت صلاة الظهر في جميع فصول السنة وهذا صعب جداً.

٧. ونسب إليه بناء المنارتين المتحركتين (منار جنبان).

تقع المنارتان المتحركتان على بعد ٣ أميال غرب مدينة أصفهان وقد بنيا على مرقد أحد أهل العرفان ويسمى محمد عارف. وبناؤهما من العجائب بحيث إذا صعد أحد على إحداها وهزها اهتزت الأخرى المقابلة لها، وقد حاول الخبراء الأجانب أن يكتشفوا سر هاتين المنارتين فلم يوفقوا.

وأخيراً فقد صدرت عنه دراسات مستقلة عديدة وبحوث ومقالات في الصحف العربية والأجنبية فضلاً عن ما قدم لكتبه المطبوعة مما استوعب حياته العلمية منها:

١. بهاء الدين العاملي: أديباً شاعراً عالماً. للدكتور محمد التونجي.

٢. الأعمال الرياضية لبهاء الدين العاملي: للدكتور جلال شوقي.

٣. رشحات سمائي في ترجمة الشيخ البهائي: للشيخ محمد علي المعلم ■

جانب من مسجد الشاه في أصفهان

# هند بن أبي هالة ..
# ربيب رسول الله ﷺ

• محمد جواد فخر الدين

ينابيع **هو هند بن أبي هالة التميمي الأسيدي[1]، واختلف في اسم أبي هالة فقيل: النباش بن بينها بن وقدان، وقيل: مالك بن بينها بن النباش، وقيل: مالك بن النباش بن بينها قاله الزبير بن بكار، وخالفه أكثر أهل النسب وقال: هو أبو هالة هند بن النباش بن بينها[2].**

**وكان أبوه ذا شرف في قومه ونزل مكة وحالف بها بني عبد الدار بن قصي وكانت قريش تزوج حليفهم فولدت خديجة لأبي هالة هند وهالة[3].**

**أمّه خديجة بنت خويلد أم المؤمنين عليها السلام كانت قبل النبي ﷺ تحت أبي هالة فولدت له هندا ثم تزوجها رسول الله ﷺ وهند بن أبي هالة غلام صغير، ثم ولدت خديجة من رسول الله ﷺ القاسم والطاهر وفاطمة فكان هند أخاهم لأمهم[4]، وهو خال الحسن والحسين (عليهما السلام)[5].**

---

وقد ذكرت بعض المصادر الرجالية أنه ربيب النبي ﷺ[6]، وخلال تتبعنا لحياة هند بن أبي هالة لم نعثر على نص واحد يشير إلى أنه تربى في بيت النبي ﷺ، وربما أنه أشرف على تربيته قبل البعثة، و إلا بعد هذه الفترة لا يوجد ما يدلل على هذا الأمر.

ولا يتوقف الأمر على هذا فحسب وإنما يتداخل ذلك في كثير من حلقات حياته حيث يسودها الغموض وعدم الترابط، حيث نجد إن كتب التاريخ تقف صامتة عن ذكر حال هذا الرجل وإن ذكرته فهو لا يخرج عن نطاق الإشارة ضمناً عند ذكر أم المؤمنين خديجة عليها السلام، هذا فضلا عن كتب الرجال التي تجاهلت كذلك مفردات حياته شأنها في ذلك شأن المصادر التاريخية.

ونرى ذلك واضحاً عند التحقق عن مسيرة هذا الرجل في ظل الإسلام ومواقفه في عهد الرسالة وما بعد ذلك حيث لم يذكر إلا في عدة نصوص.

وقد ذكرت بعض المصادر مشاركته في حروب الرسول ﷺ على الرغم من الاختلاف فيما بينها، فقد أوردت بعض المصادر الرجالية أنه شهد بدرا وقيل لم يشهدها بل شهد أحُداً[7]، لذا يمكننا أن نستنتج من خلال هذا النص التاريخي المهم أنه كان من المسلمين الأوائل بالرغم من إهمال المصادر ذكر ذلك.

بينما أورد ياقوت الحموي ذكره في مادة شمس بقوله:

(بضم أوله صنم كان لبني تميم وكان له بيت وكانت تعبده بنو أد كلها

ضبة وتيم وعدي وثور وعكل وكانت سدنته في بني أوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم فكسره هند بن أبي هالة وسفيان بن أسيد...)[٨]، هذا النص لا يقل أهمية عن سابقه حيث يثبت لنا دوره خلال عهد الرسالة ولم يكن هامشياً.

وهناك نص آخر ينتقل بنا انتقالة سريعة في حياة هذا الرجل حيث أجمعت عدد المصادر استشهاده في معركة الجمل مع الإمام علي[٩]، دون ذكر تفاصيل حياته خلال عهد الخلافة.

من خلال هذا النص يمكن القول أنه كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام بل من الموالين له على الرغم من أن مصنفات الشيعة الرجالية لم تضعه في قائمتها، ويمكن أن نلحظ العلاقة القائمة بينه وبين الإمام من خلال ما نقله الشيخ الطوسي من اصطحاب الإمام علي عليه السلام هند بن أبي هالة ودخولهما على الرسول صلى الله عليه وآله في الغار بقوله:

(فأذكت قريش عليه العيون - الرسول صلى الله عليه وآله - وركبت في طلبه الصعب والذلول وأمهل علي عليه السلام حتى إذا أعتم من الليلة القابلة انطلق هو وهند بن أبي هالة حتى دخلا على رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله هنداً أن يبتاع له و لصاحبه بعيرين)[١٠].

لذا نرى أنه لو لم يكن من المقربين للإمام عليه السلام لم يطلعه على مخبأ رسول الله صلى الله عليه وآله وخاصة في تلك الظروف الحرجة والدقيقة من عمر الرسالة هذا من جانب، وكذلك نلحظ وثاقة الرسول صلى الله عليه وآله به، ويؤكد رأينا السابق أنه كان من المسلمين الأوائل.

أضف إلى ذلك ومما يبين وثاقة الرجل وميله الواضح إلى الإمام علي عليه السلام وصدق روايته ما نقله الشيخ الطوسي في أماليه عن سنان بن أبي سنان:

(أن هند بن أبي هند بن أبي هالة الأسيدي حدثه عن أبيه هند بن أبي هالة ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه خديجة رضي الله عنها زوج النبي وأخته لأمه فاطمة صلوات الله عليها قال أبو عبيدة: وكان هؤلاء الثلاثة هند بن أبي هالة وأبو رافع وعمّار بن ياسر جميعاً يحدثون عن هجرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة ومبيته قبل ذلك على فراشه قال وصدر هذا الحديث عن هند بن أبي هالة واقتصاصه عن الثلاثة هند وعمار وأبي رافع وقد دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان الله عزّ و جلّ مما يمنع نبيه صلى الله عليه وآله بعمه أبي طالب...)[١١].

في حين نقل كذلك ابن شهرآشوب حديث آخر لا يقل أهمية عن سابقه وهي من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(عن ابن عباس وأبي رافع وهند بن أبي هاله أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه...)[١٢].

وكان هند بن أبي هالة فصيحاً بليغاً وصّافاً، وصف رسول الله صلى الله عليه وآله فأحسن وأتقن وقد شرح أبو عبيد وابن قتيبة وصفه ذلك لما فيه من الفصاحة وفوائد اللغة[١٣].

وروى عنه أهل البصرة حديثاً واحداً[١٤]، فعن حسان بن عبد الله الواسطي حدثنا السري بن يحيى عن مالك بن دينار قال:

(حدثني هند بن خديجة زوج النبي صلى الله عليه وآله قال: مرّ النبي صلى الله عليه وآله بالحكم أبي مروان بن الحكم فجعل يغمزه فالتفت إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: اللهم اجعل به وزغاً)[١٥].

وخلف ولداً واحداً وهو هند بن هند

ابن أبـي هالة وقتل مع مصعـب بن الزبير يوم قتل المختار سـنة سبع وستين وقيل بل مات بالبصرة وانقرض عقبه[١٦] ■

**الهوامش:**

(١) ابـن حـزام، تهذيـب الأسـماء، ٤٣٩/٢، المزي، تهذيب الكمـال، ٣١٥/٣٠، ابن حجر، الإصابة، ٥٥٧/٦، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٥٤٤/٤.

(٢) ابـن حـزام، تهذيـب الأسـماء، ٤٣٩/٢، المزي، تهذيب الكمـال، ٣١٥/٣٠، ابن حجر، الإصابة، ٥٥٧/٦، ابـن عبـد البر، الاسـتيعاب، ١٥٤٤/٤، ابن حنبل، المسائل، ص١٩١.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٤/٨-١٥.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣٢/١٥.

(٥) ابـن حـزام، تهذيـب الأسـماء، ٤٣٩/٢، المزي، تهذيب الكمـال، ٣١٥/٣٠، ابن حجر، الإصابة، ٥٥٧/٦، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٥٤٤/٤.

(٦) المـزي، تهذيب الكمـال، ٣١٥/٣٠، ابن حجر، الإصابـة، ٥٥٧/٦، ابـن عبد البر، الاسـتيعاب، ١٥٤٤/٤، ابن الأثير، أسد الغابة، ٧١/٥، الطبرسي، أعلام الورى، ٢٧٤/١.

(٧) ابـن حزام، تهذيب الأسـماء، ٤٣٩/٢، ابن الأثير، أُسد الغابة، ٧١/٥.

(٨) معجم البلدان، ٣٦٢/٢.

(٩) ابـن عبـد البر، الاسـتيعاب، ١٤٤٥/٤، ابـن حجر، الإصابـة، ٥٥٧/٦، المـزي، تهذيـب الكمال، ٣١٦/٣٠، ابن حزام، تهذيب الأسـماء، ٤٣٩/٢، ابن الأثير، أُسد الغابة، ٧١/٥.

(١٠) الطوسـي، الأمالي، ص٤٦٧، الإربلي، كشـف الغمة، ٤٠٥/١، المجلسي، بحار الأنوار، ٦٢/١٩، البحراني، حلية الأبرار، ١٤٦/١.

(١١) الطوسـي، الأمالي، ص٤٦٧، الإربلي، كشـف الغمة، ٤٠٥/١، المجلسي، بحار الأنوار، ٦٢/١٩، النوري، مستدرك الوسائل، ١٥٥/٥.

(١٢) ابن شهراشوب، المناقب، ٦٥/٢.

(١٣) ابـن عبد البر، الاسـتيعاب، ١٥٤٥/٤، الصدوق، معاني الأخبار، ص٨٠، المزي، تهذيب الكمال، ٣١٦/٣٠، ابـن حجـر، الإصابـة، ٥٥٨/٦، الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص١١.

(١٤) المزي، تهذيب الكمال، ٣١٦/٣٠.

(١٥) ابـن عبد البـر، الاسـتيعاب، ١٥٤٥/٤، الحلبي، السيرة الحلبية، ٥٠٩/١.

(١٦) ابـن حـزام، تهذيب الأسـماء، ٤٣٩/٢، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٥٤٥/٤.

---

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

كنـا في حلقات الذكر وكانـت هذه الحلقات تأخذ صبغـة إسـلامية مـن خـلال الاذكار مـن بدايـة البعثة المحمدية إلى وفاته، ثم استدرجنا الأمر إلى الوصول إلى ما يسمى (بالفتنة الكبرى) وعلة وقوعها وحدوثها.

هنـا قـام الشـيخ وقـال: نغلق هـذا البـاب وننهي الحلقة هنا. فسـألته: لماذا يا فضيلة الشيخ؟ فأجاب: إن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.

فـكان ردي ورد بعـض الإخـوة يحـضرون هـذه الحلقـة: لا يمكـن أن نؤمن بـشيء أو نعتقـده، إلا بعد دراسة وبحث وغربلة وتمحيص.

فـكان رد الشـيخ حاسـماً بالنسـبة لنـا. وقـال: إذا دخلتم في هذا الباب سـوف ينتهي بكم هذا البحث إلى الكفر وسـوف تظلمون صحابة رسـول الله (ص) هنا انتهـت الحلقة وخرجنـا كل إلى بيته. عندما وصلت إلى البيت تمشيت في حيرة وتردد وبدأت أشك في كل شيء هل استمر في البحث أم أتوقف؟

هنـا قـررت أن أكمل هذا البحـث لوحدي متكلاً عـلى الله وعلى إرادتي وهنـا بدأت أتـردد إلى المكتبات، لـشراء بعـض الكتـب التـي تخـص بحثي. واشـتريت بعـض العناوين منها: وذهبت إلى مكتبـة تدعى مكتبة جامـع الزيتونـة، وأرشـدني بعـض الإخوة وأشـار إلى بعض أسماء الكتب مثل:

١. الفتنة الكبرى بين الحقيقة والخيال.

٢. اليمين واليسار في الإسلام، وكتب أخرى.

وبقيـت عـلى هـذه الحالـة والدوامة أكثر من سـتة أشـهر تقريبـاً. وبعد هـذه المدة بـدأت أتردد إلى شـيخ يعطي دروساً في جامع محرز في تونس العاصمة وكانت هذه الدروس عبارة عن ردود عقائدية لما طرحه بعض الشخصيات الكبيرة في ليبيا، والذي طعن في الأحاديث التي تتعلق بالسنة النبوية.

ومثال ذلك: القاتل والمقتول في النار. وأحاديث عديدة ردها عليها سماحة الشيخ حسن غضبان. ثم في يوم من الأيام وبعد درس فضيلة الشيخ الغضبان، وكان يحضره المسؤول الثقافي الليبي في درس الشيخ وهنا عرفني الأخ الليبي بأخ إيراني يدرس في جامعة (بورقيبة) سكول للغات الحية.

وقال لي الأخ الليبي محمد الوسلاتي، أنت عندك بحث وتريد أن تتعرف على الشيعة فها هو الأخ محمد النبهاني طالب إيراني في تونس وهذا يعطيك الفكرة العامة عن خط التشيع. وتقابلنا وبدأنا نتجاذب أطراف الحديث.

أول سؤال توجهت إليه بعد أن تعرفنا على بعضنا البعض. قلت له: هل الشيعة يقولون تاه الوحي جبرائيل في آخر الصلاة ثلاث مرات؟

فأجابني ضاحكاً: إذا كان الشيعة يقولون هذا القول فإن الرسالة عندما نزلت على رسول الله محمد(ص) كان عمره أربعين سنة وعلي كان عمره حينذاك حدود ست سنوات، هل يعقل أن تتنزل الرسالة على الكبير أم على الصغير؟. فقلت له: طبعاً الرسالة تنزل على العاقل والناضج.

وفعلاً اعتبرها الضربة الأولى للعقيدة التي كنت أحملها عن المعتقد الشيعي. ثم بدأ يعرف لي هوية التشيع، وأسسه ومبادئه، كالتوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد. وكان يتلكأ في حديثه بالنسبة للغة العربية، فبعض الأحاديث كنت أصغي إليه بقوة حتى أفهم ما يقول. ثم قال لي: إذا كنت تريد أن تعرف أكثر عن الشيعة فأنا أعرف شيخاً شيعياً تونسياً في بلدكم هذه. فسألته: ما اسمه؟. فقال لي: اسمه محمد التيجاني السماوي مؤلف كتاب (ثم اهتديت) وغيره.. عندها ذهلت ولم أصدق. وقلت له: في بلدنا تونس شيخ شيعي ولم أسمع به ماذا تقول يا أخ؟.

فقال لي: نعم في تونس ومن مدينة قفصة. وموجود حالياً في مدينة قفصة، وكان وقتها يدرّس في الثانوية التقنية. وقال لي: سوف اخبره هاتفياً ويأتيك إلى تونس (العاصمة).

وهذه الأحداث بين عامي (٧٦ـ٧٧) أذكر اتصل الشاب الإيراني بالدكتور التيجاني السماوي وحضر الدكتور إلى العاصمة تونس الخميس وتقابلنا في منزلي الكائن في العاصمة تونس بالقرب من جامع الزيتونة. وأول شيء صدمني به هذا الدكتور التيجاني السماوي.

عندما أوصلني الأخ الدكتور التيجاني السماوي وطرق باب البيت ومعه الأخ الإيراني محمد النبهاني فعلاً ذهلت وفوجئت في هذه الزيارة السريعة، عندئذ الذي أدهشني أكثر أن هذا الدكتور العظيم يحمل حقيبتين كبيرتين من المصادر السنية والشيعية، ودخل بها إلى بيتي، وكنت متصوراً أن هذه الحقائب يحمل بها ألبسته وأغراضه الخاصة ففتح الحقيبتين وإذا بهما المصادر من كتب الفريقين نظرت وإذا بـ(صحيح البخاري)، صحيح مسلم، الغدير للشيخ الأميني (١١) مجلداً، وكتاب لما اخترت مذهب الشيعة مذهب أهل البيت(ع) للشيخ المجاهد الكبير الأنطاكي الحلبي. ثم بدأ الدكتور وقال لي: هذه الكتب أمامك أيها الأخ اقرأ أنت وأعط لمن تريد أن يقرأ. ثم قال لي: سأذهب إلى الفندق لأحجز غرفة. فقلت له: لا يمكن هذا وأنت ضيف عندي وعزيز في بيتي.

فأجابني: لا أريد أن أثقل عليك أريد أن أمكث بعض الأيام في الفندق، لنتمكن من الدعوة والاتصال لمن يريد الحوار والبحث عن طريق أهل البيت(ع) وعن التشيع.

فقلت له: هذا بيتي تحت تصرفك حتى لو أردت أن تمكث شهراً أو شهرين. فالتفت وقال للأخ الإيراني محمد النبهاني: أنت احضر وأعطي موعداً للطلبة في الجامعة لمن يريد الحوار أو الاستفسار عن مذهب أهل البيت(ع) فاتصل الأخ الإيراني هاتفياً إلى بعض الطلبة وقال لهم: إن الشيخ التيجاني موجود حالياً في العاصمة (تونس) ومن يريد الحوار معه أو اللقاء فهو جاهز، وأخذ معه موعد في جامع يسمى بـ(سبحان الله) في منطقة باب سويقة في تونس العاصمة:

حضر الدكتور التيجاني بعد صلاة العصر وحضر بعض الطلبة وحضر الأخ الإيراني محمد النبهاني فأخذوا يسألون الشيخ التيجاني السماوي، وكانت كل الأسئلة تصب حول ولاية الإمام علي بن أبي طالب. وقال الطلبة: بأن الرسول ترك الأمر شورى، ولم ينص على خليفة. فاجابهم الدكتور واستشهد بآية قرآنية: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس). وأخذ يسرد لهم حديث الغدير وكيف نزلت هذه الآية.

محمد العربي التونسي

مواليد: ١٤/ ٦/ ١٩٥١م/ جرجيس الجنوب الفرنسي

**من (المتحولون)**

# لقـــاء مع:

# جاسم الخطاط

• أجرى اللقاء: حيدر شاكر

ينابيع الخط العربي فن يتذوقه الكثير من الناس، وتهواه فئات منوعة، ولا يقتصر الاهتمام به على العرب فقط، كونه خطهم الذي به يتميزون عن الأمم الأخرى. بل تعدى ذلك إلى شعوب أخرى، فأصبح الخط العربي بحق أنموذجاً رائعاً للفن العالمي، وكما للفنون أسرار وقواعد فإن للخط أسراراً وقواعد يعرفها أرباب هذا الفن، ويعلمونها لمن يبدي رغبته لتعلمها.

واليوم.. ومع تطور الحياة بكل مفاصلها احتفظ الخط العربي بأصالته التي صانها المبدعون، وها نحن نحل ضيوفاً على مبدع من المبدعين وهو الخطاط العربي الأستاذ جاسم النجفي، الذي التقيناه في داره العامرة فلمسنا منه التواضع الدال على النبوغ والأخلاق العالية التي أهّلته كي يحمل اسم النجف الأشرف، ويجوب البلدان مفتخراً بهويته النجفية المقدسة التي لا تليق إلا للمبدعين.

لم يبخل علينا بوقته الثمين الذي يعني له إنجاز عمل ما. وكان بمعيته ولداه علي وحسن اللذان استقيا من نبع أبيهما الفني فأصبحا يعملان سوية مع الوالد، وقد طور الأب مهارتيهما كي يعتمد عليهما في زخرفة اللوحات التي تتناغم فيها الزخرفة مع الخط كي يكون النتاج مُبهراً. وكان

لنا مع الأستاذ جاسم هذا الحوار:

❖ متى ظهرت رغبتك في الخط؟

❧ منذ الطفولة.. في الخمسينيات كان خطي رديئاً وكنت ألاقي العقاب من معلمي وكنت طفلاً حساساً جداً مما أثار فيّ شعوراً قوياً بتقوية خطي فأصبحت خطاطاً.

❖ هل الخط هواية أو حرفة، وإذا كانت حرفة فهل تخضع لمفهوم تجاري؟

❧ الاثنان معاً.. حتى العمل التجاري يجب أن يكون راقياً ورفيع المستوى، والعمل مهما يكن فإنه يدل على ذوق صاحبه وكنت أعمل في مدينتي النجف أعمالاً تجارية جذبت إعجاب من يزور مدينتنا العزيزة (فترة الثمانينيات وبداية التسعينيات) قبل سفري إلى خارج العراق.

❖ أول لوحة قمت بخطها، وأول لوحة عُرضت لك في الخارج وفي أي مكان؟

❧ أحتفظ بأول لوحة لي كتبتها بشكل لا يصدق أجد أنها أول عمل لي وكنت أحب عملي وأراعي الدقة والضبط العالي ومضمونها (ربِّ أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين). وأول ما عرض لي في خارج العراق (عملان) كانا في السبعينيات من القرن الماضي وقصتهما غريبة جداً.. حيث دُعي كل فناني العراق في كافة محافظات القطر للمشاركة في معرض شامل وشكّلت لجنة عليا لاختيار الأعمال الجيدة.. وفي وقتها كنت غير معروف على الصعيد الفني ولم يكن الخط في النجف الأشرف ذا قيمة فنية لأن الخط في ذلك الوقت كان تجارياً فقط (أي الخط بالبوية) والأصباغ العادية لواجهات المحال التجارية، والخطاط في وقتها لا يعرف خطاطاً إلا في هذا المجال فقط.

أتيت بعملين فنيين وقدمتهما إلى اللجنة التي تنتقي الأعمال الفنية المميزة. وتفاجأت بالسخرية والاستهزاء قائلين لي: إنه معرض للفن وليس لي مكان بالموضوع سيما كان عمري لا يتناسب وأعمار كبار الشخصيات المعروفة بالفن في ذلك الوقت، فحملت لوحاتي بيدي وانسحبت والخجل والخيبة جعلتني أتعثر بالمشي، وكدت أقع على الأرض من الخيبة والخذلان.. صاح بي صوت: تعال، وقد قال أحدهم لزملائه: نرسلهما وهناك لجنة قد ترضى أو لا ترضى بذلك.. وفي يوم العرض الكبير لأعمال كل المشاركين ذهبت خائفاً وَجلاً لا يعرفني أحد، وكانت المفاجأة القوية.. علامات (حمر) على لوحتي، قلت بانزعاج: من الذي وضعها؟ قالوا: ومن تكون حتى تتدخل؟ قلت: أنا صاحب هذه الأعمال،

فهجمـوا عليّ تقبيـلاً وتبـركاً قائلين لي: مبروك مبروك، اختيرت هذه الأعمال من أرقى ما موجود في هذا المعرض، وبعدها قرأت في الصحـف: أعمال عراقية تجوب متاحـف العالـم، وكان اسـمي يندرج مع الأسـماء الكبيرة التي رفعت رأس العراق عالياً في الدول التي تعرض أعمال الشعوب ذات الفنـون الرفيعـة وحصلت فـي وقتها علـى مكافـأة كبيرة لا تخطـر على بالي حتى في عالم الأحلام.

❖ من هو الخطاط الذي تأثرت به؟

❧ هاشـم محمـد البغـدادي صاحب (قواعد الخط العربي). وبعدها تعرفت على أسماء كبيرة منهم: حامد الآمدي، سامي، شوق، وغيرهم من الأساتذة الكبار.

❖ كيـف كان نتاجك الفني في أيام حكم الطاغية؟

❧ حتى في هذه الفترة كنت أحترم عملي للغايـة، وكنت أفكر كثيراً بأني سوف يشـرفني التاريخ بأعمال ليست لها علاقـة بالسياسـة. والشـاهد هـو أعمالي الواسـعة فـي العتبات المقدسـة والجوامع الحسينية ويحسـدني كل الخطاطين على مـا قدمـت من إنجـازات في هـذا المجال لأني متأكد من (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).

❖ كيف ينظر الأسـتاذ جاسم لواقع الخط هذه الأيام؟

❧ أنـا متفائـل كثيـراً، ودائمـاً مـا أسـخر مـن أصدقائـي الخطاطيـن المتشـائمين خصوصـاً عندمـا كنت في لبنـان والكويـت والسـعودية، وحتى في تركيا وسـوريا وإيران والأردن أرى كل الخطاطين خائفين من شبح مخيف ألا وهو (الكومبيوتر) ونظرتي مخالفة لهم تماماً، لأني كنـت وبكل فخر أحد المشـجعين

والعاملين في برامج الكومبيوتر، وأنه ظاهرة حضارية كبيرة شئنا أم أبينا وهل نقف أمام التيار الحضاري؟!

❖ ما هي الجوائز التي حصلت عليها في المعارض؟

باختصار حصلت على ما يقارب (١٢) جائزة دولية وعالمية إضافة إلى اعتباري عضواً دائماً في اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي في اسطنبول، ووسامين ذهبيين، وتزويدي بهوية خاصة وهي (اعتباري من رواد الخط العربي) وهوية شرف من اتحاد المؤرخين العرب.

❖ ما هي آثار جاسم النجفي؟

خط الطوق الكبير بالخط الكوفي لساحة ثورة العشرين (من الخارج والداخل).

خط الكتائب للمساجد والجوامع منها: مسجد الهندي ومسجد الجواد ومسجد السيد السبزواري. وخطوط في جامع الحاج عطية جبوري ومرقد ابن نما الحلي في الحلة.

خطوط جامع الشيعة في الموصل، وحسينية الشيخ الوائلي، والواجهة الكبيرة الأمامية لمرقد مسلم بن عقيل(ع) وكتيبة (الله أكبر) في أعلى مسجد الكوفة، وخطوط في مقام صاحب الزمان، ومسجد الصاحب في حي الأمير، زيارات وخطوط متنوعة في الأضرحة المقدسة، ضريح الإمام علي(ع) وضريحي الحسين والعباس(ع) وحسينية فاطمة الزهراء(ع)، وقبة كميل بن زياد(رض)، مع كتابات جوامع في لبنان والأردن ورموز شيعية في لندن ودول أوربية كثيرة، وخط واجهة مرقد السيد رضا الهندي (الشاعر الكبير المعروف) وخط مقبرة السيد محمد كلانتر، وشواهد القبور المهمة منهم

المرحوم السيد البهشتي والشيخ الأميني والشيخ الأنصاري، وغيرهم كثير مما لا أتذكرهم.

وكنت منذ نشأتي خطاطاً لجميع العلماء الأعلام منهم السيد محمد باقر الصدر الذي كان يحبني ويشجعني، وكنت أردد لماذا تخجلني يا سيدي فيقول لي (احتراماً إلى الموهبة الكبيرة) وكذلك سماحة السيد السيستاني الذي غمرني بتقديره لي ولا أنسى ما يحملونه من ذوق عال وحس فني مرهف. إضافة إلى خط آلاف عناوين الكتب والمكتبات الشريفة التي لا أستطيع حصرها في هذا المجال الضيق.

❖ كيف يتم تطوير الموهبة عند هواة الخط؟

بالمتابعة والجدية والصبر.

❖ كيف يتم توظيف الخط من أجل خدمة قضية أهل البيت(ع). هل عن طريق تنوع اللوحات الخاصة بأقوالهم ومن ثم نشر أفكارهم. أم عن طريق إقامة المعارض في حواضرهم المقدسة؟

أحسنت لهذا السؤال الجميل الذي فيه الجواب نفسه..

❖ أمنيات الأستاذ جاسم النجفي؟

أمنياتي أن أرى أي عنوان وأي لافتة وأي شيء مخطوط أو مكتوب بشكل يليق ومكانة النجف الأشرف وأكره الكتابة والخط على الجدران لأنه وللأسف عمل غير لائق ويعبر عن دواخل متخلفة لا تمتلك الحس الراقي..

❖ من أين تستوحي أفكارك؟

من القرآن الكريم الذي هو دستور الحياة الدائم وملهم كل ذوق وعلم وإبداع.

❖ التداخل بين فن الرسم والخط ومتى يكون الرسام خطاطاً أو العكس وهل بالضرورة أن يكون الرسام خطاطاً أو العكس؟

الذوق العالي والعمل الجميل والإتقان والدقة هي عامل مشترك لجميع الفنون وكلها تصب في مجرى واحد. والفرق بين فن الرسم وفن الخط هو أن

الخطـاط يكون ذا ثقافـة قرآنية ولغويـة وأدبية عالية جـداً وإذا لم يكـن يحمـل هـذه المواصفـات سـوف يكون فنه ناقصـاً وطالما نـرى عملاً فنياً محترمـاً فيه دلالة علـى وجود نقـص الثقافـة عندما تـرى خلـلاً واضحاً يكتشـفه من يحمل الخبرة، ومشكلة فن الخط عندما تنسـى الشـدة مثلاً سـوف تصبـح كارثـة فـي المعنى كما في سـورة يوسـف عندما يكتب الخطاط (وغلقـت الأبواب) بدون شـدة سـوف تغير المعنى وتحدث مشـكلة كبيرة تصور إننا نعرف مسـتوى الفنان من عمله إذا كان جاهـلاً أو مثقفـاً والعمل يعكس ذوق صاحبه.

❖ هـل تقيّم اللوحـات الفنية ماديـاً فـي العـراق أو الوطـن العربي؟

↩ قيمـة اللوحـة بعملهـا والتقديـر المادي لا يعتبر مقياسـاً أبـداً.. وأتذكـر عندمـا كنـت في لبنـان أذيـع عن سـيدة جاهلة مليونيرة اشترت عملاً فنياً بملايين الدولارات وعندما كشـف السر ظهـرت أنها تريـد أن تظهر للملأ قدرتها على الدفع لا لشيء آخر.

❖ مـن هـو خليفـة جاسـم النجفي؟

↩ كل مـن يحـرص علـى سمعة النجف الأشرف.

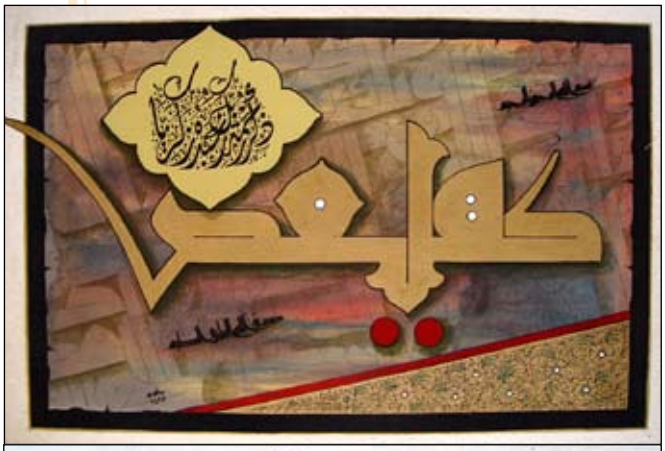

# القديم والجديد
## عن الكوكب زحل وحلقاته

• أ. م. الدكتور طالب هادي قدوري

ينابيع يتعرف المتأمل لأجرام القبة السماوية على كواكب المنظومة الشمسية من خلال حركتها السريعة نسبة لحركة النجوم في مجال نظرة وكذلك من ثبات الضوء المنعكس عنها والواصل إليه (ضوء النجوم يبدو متلألئاً). ولقد أدرك علماء الفلك في وادي الرافدين قديماً هذه الحقيقة وتمكنوا من متابعة خمسة أجرام تمثل الكواكب التي ترى بالعين المجردة (عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل) إضافة للشمس والقمر، وأطلقوا عليها أسماء آلهتهم وخصوا كل منها يوماً من أيام الأسبوع، وقد وردت نصوص قديمة (قبل ألفين إلى أقل من ألف سنة قبل الميلاد) نشير إلى ذكر هذه الكواكب وتربط بين ظهورها في السماء بحالة الجو لذلك الموسم أو تشير إلى دراسات وأحداث أخرى.

كان الكوكب زحل (زحل تسمية لاحقة ذات أصل روماني تعنى آلهة الزراعة) عند قدماء البابليين يمثل إله يوم السبت وهو نجمة الآلهة نينب (Ninib)، ورد بحقه كثير من النصوص القديمة نقتطف منها الآتي:

لقد نص أحد تنبؤات البابليين عن حالة الجو التي وردت على رقم طيني يعود إلى عهد الملك آمي ـ صادوقا (١٦٤٦-١٦٢٦ق.م) على (إذا سار كوكب المشتري وزحل سوية فهذا يعني أن المطر سوف يسقط بغزارة لمدة ثلاثة أيام).

كما ينص رقم طيني يعود إلى عهد الملك نابو ـ ناصر (٧٤٧-٧٣٤) قبل الميلاد على (يتم ظهور الكوكب زحل من خلف الشمس مع تطابق اليوم الأول من الشهر القمري بعد مرور ١٧٧٠ سنة، ويتم تطابق مكان ظهور الكوكب زحل في نفس

الموقع من السماء بعد كل ٥٩ سنة ولكن ليس في نفس التاريخ من الشهر القمري).

وهذا يشير بوضوح إلى مدة تكرار حالة الاقتران وتواجد الكوكب في موقع معين ويؤكد على دراية في الحسابات الفلكية المعقدة.

أما في مجال التجارة والتعامل فقد ورد في نص يعود إلى نفس الحقبة السابقة الآتي (إذا علمت أن الكوكب زحل كان في برج الأسد والقمر في الخسوف وفي هذه الأثناء كان سعر الكور الواحد من الشعير يساوي شيقل واحد من الفضة، فعليك أن تعلم أنه إذا حدث نفس الشيء في المستقبل فان سعر الكور من الشعير سيساوي أيضاً (شيقلا واحدا) من الفضة) (الكور=١٠٠ كغم والشيقل=٥. ٨ غم).

نستشف مما سبق أن الكوكب زحل السادس في ترتيبه عن الشمس مكتشف منذ حقبة زمنية قديمة جداً وان المعرفة التي تولدت عنه آنذاك كانت بداية الطريق لما عرف عن الكوكب في العصور اللاحقة.

أفرزت الدراسات الموجه نحو الكوكب زحل وصفاً عاماً يشير إلى أن الكوكب العملاق ذو قلب صخري ومعدني بقطر (٢٠٠٠٠كم) محاط بطبقة من الأمونيا المذابة بالماء سمكها (٥٠٠٠كم) وغلافه الجوي من الهيدروجين المتأين بسمك (٨٠٠٠كم) والهيدروجين الجزيئي بسمك (٣٧٠٠٠كم) وان أجواءه تحتوي نسبة قليلة من غاز الهليوم، يحيط هذه التركيبة حلقات منفصلة عنه وتدور حوله فوق منطقة الاستواء يبلغ عرضها حوالي (٢٧٠٠٠٠كم) وسمكها بضعة كيلومترات (٣-٤) كم ويدور حول الكوكب مجموعة من الأقمار قد يصل عددها إلى ثلاثين قمراً يقع بعضها مع بقية الأجزاء ضمن الكرة المغناطيسية التي يولدها الكوكب نفسه لا الرياح الشمسية الواصلة أليه، ويمكن لمثل هذا الوصف أن يحتل المسافة بين الأرض والقمر.

إن كوكب زحل بلونه الصفراوي الذهبي ولمعانه الذي يفوق لمعان كثير من النجوم وحلقاته الخلابة يعتبر من أجمل الأجسام الكونية قاطبة عند النظر إليه من خلال مرقاب (تلسكوب) صغير، ويعتبر غاليلو أول من تطلع إليه من خلال المرقاب الذي اخترعه عام ١٦١٠م.

إن أصل هذه الحلقات الخلابة واستمرار بقائها أمر لا يزال محط خلاف بين العلماء فالبعض منهم أفاد بان الحلقات مكونة من أجسام صغيرة مغطاة بطبقة من ثلج الماء قد تكونت أثناء تكوين المنظومة الشمسية أو ظهرت نتيجة تفتت بعض أقمار الكوكب، أما البعض الآخر فيقول إن الحلقات لازالت في تطور كنتجية للتصادم المستمر الذي يحصل بين أجسام من خارج الكوكب (مثل النيازك) وهي بذلك قد تكونت في عصور لاحقة لعصر تكوين المنظومة الشمسية، وعلى أي حال فان حلقات زحل تعتبر المختبر الطبيعي لدراسة طوفان الأجسام الصغيرة السابحة في الفضاء.

أشار هويجنز عام ١٦٥٩م إلى وجود الحلقات واعتبرت في حينها وكأنها قرص صلب عرضه حوالي ٢٧٠٠٠٠كم وسمكه بين ٣ إلى ٤ كيلومتر يحيط بالكوكب عند منطقته الاستوائية وفي عام ١٦٧٥م أفاد جيوفاني كاسيني أن منظومة الحلقات مقسمة على الأقل إلى حزمتين A وB من الحلقات منفصلتين عن بعضهما وبينهما فجوة عريضة تسمى فجوة

كاسيني. في عام ١٨٥٩ أشار جيمس ماكسويل من خلال دراسة نظرية إلى أن الحلقات متعددة وتأيد ذلك لاحقاً من خلال دراسة طيفية أجراها جيمس كبلر الذي بين في حينه أن القرص مكون من ستة حلقات تفصلها فجوات وان كل حلقة مكونة من آلاف الجسيمات الصغير المنفصلة عن بعضها سابحة على شكل أقمار في مدارها حول الكوكب.

إن الفهم الحقيقي لطبيعة هذه الجسيمات تبلور في السنوات القليلة الماضية، حيث تشير دراسة طيف الانعكاس في المنطقة القريبة من الأشعة تحت الحمراء الذي تم الحصول عليه عام ١٩٧٠م إلى أن طيف الجسيمات يشابه طيف غاز الأمونيا المنجمد ولكن سرعان ما تبين أن الطيف أكثر اتفاقاً مع طيف جليد الماء بدرجة حرارة منخفضة وفي عام ١٩٧٢م تم الحصول على انعكاس لموجات رادارية عن الحلقات وحصلت القناعة على أن الحلقات ذات تركيب من دقائق من الجليد أو جسيمات مكسوة بالجليد أقطارها تتراوح بين ٤ إلى ٣٠ سنتمتر وأن سطح الجسيم هش اقرب إلى الثلج منه إلى جليد صلب.

إن ترابط العدد الكبير من الجسيمات المنفصلة في مدارها حول الكوكب رغم اختلاف سرعة دورانها بعضها عن بعض بحكم موقعها ضمن الحلقة أمر محير فالمفروض لمثل هذه الجسيمات أن تتصادم مع بعضها معجلة البعض منها ومبطئة للبعض الآخر وخلال فترة زمنية يؤول مصير البطيئة منها إلى السقوط نحو الكوكب أما السريعة منها فتهرب مبتعدة إلى الفضاء الخارجي.

إن الرأي السائد لاستمرارية وجودها في هيكلية معينة يشير إلى أن قوى الجذب من أقمار الكوكب قد عملت بالتفاعل مع جذب الكوكب على إيجاد توازن جذبي يعمل على بقاء الحلقات بتكوينها وموقعها ولكن الأمر يحتاج إلى دراسة من موقع اقرب لبيان التصور الأوضح.

في صباح يوم ١٢ كانون ثاني سنة ١٩٨٠م وبعد رحلة دامت ثلاث سنوات وشهرين وبسرعة ١٢٨ ألف كيلومتر في الساعة وعندما كان بعد الكوكب زحل عن الأرض ١٤٤٠ مليون كيلومتر، مرت المركبة الفضائية (فويجر١) في أقرب نقطة لها من حلقات الكوكب زحل (١٢٥٠٠٠كم عن القطب الشمالي للكوكب)، وأظهرت الصور المرسلة (يستغرق إرسال الصورة إلى الأرض مدة ساعة واحدة) حقائق جديدة مدهشة عن الحلقات تبعتها بعد ذلك المركبة الفضائية (فويجر٢) حيث وصلت إلى اقرب نقطة لها من الكوكب (١٠١٠٠٠كم) في شهر آب عام ١٩٨١م.

تبين من الصور الفضائية أن كل من الحلقات الست مكون من عدة مئات من الحلقات الثانوية التي لم يكن بالمستطاع تميزها حتى بأقوى التلسكوبات الأرضية، وأن قطر جسيمات الحلقات يبلغ من ميكرومتر إلى عشرات الأمتار وأن عدد الحلقات المميزة قد يبلغ حوالي الألف أو أكثر. في اليوم الخامس من شهر تشرين أول عام ١٩٨٠م عندما كانت (فويجر١) في طريقها إلى الكوكب، أظهرت الصور المرسلة عن بعد حوالي ٥٠ مليون كيلومتر وجود بقع سوداء على سطح إحدى الحلقات تبدو وكأنها أصابع أو عصي (برامق) مطبوعة على محيط الحلقة المضيئة، وقد أثار وجودها

الحيرة، وأن هذه الحلقة تمتاز بان حافتها الداخلية القريبة من الكوكب تكمل دورتها كل ٩ ساعة و٣٠ دقيقة في حين أن حافتها البعيدة تكمل دورة كل ١٠ ساعة و٣٠ دقيقة مع بقائها محتفظة بشكلها (المعروف أن اختلاف السرعة يسبب تشويهاً لشكل الحلقة).

ظهرت البرامق للوهلة الأولى كأنها فجوات ضمن الحلقة ولكن سرعان ما تبين أن البرامق ظهرت خافتة اللمعان عندما انتقلت المركبة من المنطقة المشمسة للكوكب إلى منطقة الظل وأشارت أجهزة القياس أن اللمعان الخافت ناتج عن تشتت الضوء عن دقائق من الغبار وان انعكاس الضوء عنها المخالف لاتجاه انعكاس الضوء عن بقية أجزاء الحلقة يشير إلى أن دقائق هذه البرامق ليست في مستوى الحلقة. إن اختلاف مستوى هذه البرامق يجعل الحلقة أكثر تعقيداً مما بدا سابقاً فهي في صورتها الجديدة تشبه الضفائر حيث تبدو مشكلة من خيوط ملتوية تتخللها عقد أو تجمعات من المادة ويفسر هذا التركيب على أساس أن دقائق الغبار في البرامق مشحونة كهربائياً بفعل حركتها أو نتيجة لقذفها بدقائق مشحونة أخرى وبذلك يعمل المجال المغناطيسي للكوكب على التأثير عليها بمقدار أكبر من قوى الجذب المسلطة على أجزاء الحلقة الأخرى غير المشحونة، ويسبب ذلك تغيراً في مستوى تواجد البرامق ضمن الحلقة.

يتطلب كل ذلك دراسات أكثر حول هذه العجائب نأمل أن توفرها لنا المركبة الفضائية (كاسيني هويجنز) التي أطلقت في تشرين أول عام ١٩٩٧م لتصل إلى الكوكب زحل في الأول من تموز عام ٢٠٠٤م وتدور حول الكوكب أكثر من ٧ مرات قبل أن تغادره لدراسة كواكب أخرى وفي برنامجها دراسة مكثفة عن القمر (تيتان) أحد أشهر أقمار الكوكب ذو الغلاف الجوي المشابه لغلاف جو الأرض في عصور مضت (المكتشف لحد الآن ثلاثون قمراً تدور حول الكوكب، عشرة منها اكتشفت من قبل التلسكوبات الأرضية لحد عام ١٩٦٦م والبقية اكتشفت من قبل تلسكوب هيغل والمركبات الفضائية) ■

**حكمة**

**لمّا مات جالينوس، وجد في جيبه رقعة مكتوب فيها:**

**ما أكلته مقتصداً فلجسمك، وما تصدقت به فلروحك، وما خلّفته فلغيرك، والمحسن حيّ وإن نقل إلى دار البلاء، والمسيء ميت وإن بقي في دار الدنيا، والقناعة تستر الخلة، والتدبير يكثر القليل، وليس لابن آدم أنفع من التوكل على الله سبحانه وتعالى.**

# الوراقة ومفهومها العام

• علي جهاد ظاهر الحساني
مدير مكتبة الإمام أمير المؤمنين(ع) العامة

ينابيع

عند متابعة الأخبار المتناثرة عن الوراقة في التراث القديم والدراسات الحديثة، نتوصل إلى أنها كانت عالماً يحفل بالحيوية والحركة، تداخلت في بنائها جملة من المهن والصنائع ارتكز بعضها على بعض، ناتجها، الكتاب وسبل تيسيره للمستفيدين من اجل تشييد حضارة الإسلام وبنائه. حيث كانت الوراقة دعامة النهضة الحضارية في تأريخ العرب والمسلمين، وكان توافر الورق وانتشاره أبرز المسببات التي أدت إلى التوسع في ممارستها مهنة وتجارة على مستوى العالم الإسلامي المعروف في القديم، فلولا ظهور الورق لظل العلم حبيساً في صدور الرجال، لعدم وجود الوسيلة المساعدة على إخراجه وتعميمه، وهناك صورة توحي بمقدار الحرص على استعمال الورق لقلة المعروض منه، وشحّ وجوده بين أيدي الناس بسبب طبيعة تصنيعه الشاقة المكلفة، فقد ذكر عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، وكان من أصحاب مالك بن أنس صحبه عشرين سنة: (كنت آتي مالكاً، وهو شاب قوي، يأخذ كتابي فيقرأ منه، وربما وجد فيه الخطأ، فيأخذ خرقة بين يديه فيبلّها في الماء فيمحوه، ويكتب لي الصواب)[1]. وندرك من مثل هذه الرواية أن القوم كانوا في القرنين الأول والثاني يعانون من شح المادة التي يكتب عليها وهو ما دفع بمالك بن أنس إلى مثل ذلك الصنيع الذي أشار إليه ابن وهب. وفي مقابل ذلك الشح كان انتشار الورق سبباً في توسع صناعة الكتاب

تأليفاً ونسخاً وتجارة، ففي القرن السابع الهجري بيعت أوراق كتب أحد بني الملجوم قضاه فاس (التي هي غير مجلدة، بل متفرقة بستة آلاف دينار)[٢].

ولشرف هذه المهنة وجلال قدرها اتجه عدد كبير من العلماء الأجلاء إلى اتخاذها صنعة يتكسبون من ورائها أو يسلمون من خلالها في فعل الخير، أو الاثنين معاً، كما هو فعل مسعود بن ناصر بن أبي زيد (٤٧٠هـ) الذي وضعه الذهبي بالإمام المحدث الرحال الحافظ، فقد نقل الذهبي عن عبد الغافر أنه (انتقل في آخر عمره إلى نيسابور وكان على كبر سنه يطوف على المشايخ، ويكتب وينفق ما يفتح على طلبه العلم... وكان يكتب بخط مستقيم ويورق ببغداد وأصبهان)[٣].

ويضارع عالم الوراقة في القديم عند المسلمين عالم النشر في العصر الراهن، والرابط بين الوراقة والنشر مسألة ذهب إليها أكثر من باحث، لأن هدفها واحد، وهو نشر الكتاب وتيسيره للاستخدام ومن ثم فان الوراقة تقابل عملية النشر بمفهوم العصر الحديث. وحوانيت الوراقين كانت تقوم مقام دور النشر في هذه الأيام وكانت الكتابية كالمداد والأقلام، ويؤيد الربط بين الوراقة والنشر. إن بعض الوراقين كان يسعى إلى المؤلفين للحصول منهم على حق النسخ أو حق الوراقة، أو حق الطبع، ثم يدرسون جدوى نسخ المؤلف أو نشره بعرض العمل على طلبة العلم، فيتفقون معهم على نُسخ المؤلف وعلى سعره وعلى عدد النسخ المطلوبة منه.

لذا نجد أن مفهوم الوراقة لم يكن قاصراً على النسخ أو التجارة، بل كان شمولياً في بعض الأحيان يحتوي النسخ والتجارة إضافة إلى الاشتغال بجزأيه ترتبط بصناعة الكتاب، مثل التذهيب والتجليد، يدل على ذلك ازدواج النَسَبْ التي حملها أعلام مارسوا هذه المهنة، من مثل الوراق دلال الكتب، والناسخ الوراق، وأكثر من ذلك (الناسخ المجلد الصحاف).

وفي إطار تبادل المصطلحات نجد المذهب أو المجلد يلقب بـ(الكتبي)، وهو مصطلح لا يفرق عن الوراقة في الدلالة والمفهوم. وعند البحث والتقصي فيما يخص أسواق الوراقين، يجب ملاحظة أن إطلاق الاسم عليها لا يعني تفردها بهم وحدهم، بل قد يكون في السوق أصحاب مهن أخرى أو تجار مواد مختلفة، فقد ذكر أن إبراهيم بن فخر الدين عثمان المشهور بالرقي (٨٧٦هـ) كان والده رئيساً حشماً زهراً نوراً تاجراً بسوق الوراقين يبيع المسك والطيب والماورد الصيني[٤].

والوراقة من مرتكز العلاقة الوثيقة التي تربطها بالكتاب العربي المخطوط هي واحدة من أهم السبل التي يمكن أن تقف من خلالها على مؤشرات تساند البحث في أمور المخطوطات العربية المتوافرة بين أيدينا اليوم. فالأخبار عن المزورين والكتب المزورة والنسخ المقلدة نافعة لنا عند الوقوف على نماذج ترد فيها أسماء نساخ أو مؤلفين أو عناوين، أشير إليها في أخبار الوراقة المتناثرة بكتب التراث العربي، فهنا قد نمض النظر ونفحص ما بين أيدينا مرات ومرات للتأكد من سلامة النص مضموناً أو شكلاً حتى لا نقع في دائرة

الوهم.

والحديث عن المواد التي كانت تستعمل في التوريق فيه فوائد كثيرة فبعضه يوضح لنا النمط السائد والصعوبة في توفيره، مما يعني إعادة الاستعمال كما في خبر ابن وهب الذي أشار إلى ما كان يصنعه مالك بن أنس عندما كان يصحح الأخطاء في كتابه. فهنا مادة علمية تفيد في معرفة زمن انتشار الورق، ونوعيه المواد التي كانت تسود قبله، وكيفية التعامل بها. وخبر كخبر ابن وهب يوحي بأن أكثر هذا التراث يمكن أن يكون قد ضاع في حالات تمثلت في إعادة الاستعمال بان يمحو مؤلف أو ناسخ عمل سابق لأجل أن يكتب عليه عمله هو.

وتوضح بعض الأخبار أسباب ازدهار حركة النسخ من خلال تعرف مقدار الصرف على شراء بعض مواد النسخ في زمن دون غيره، وتظهر مقدار ما كان يبذله العلماء على العلم. وكذا رواج تجارة مواد الكتابة، فهذا ابن شاهين يؤلف ثلاثمائة وثلاثين مصنفاً أحدها التفسير الكبير ألف جزء، وألف وثلاثمائة جزء.. وعندما حسب مقدار ما صرفه على شراء الحبر وجد أنه بلغ سبعمائة درهم، ووضح راوي الخبر الداودي أنهم كانوا يشترون الحبر كل أربعة أرطال بدرهم[٥].

لذا إن عالم الوراقة يظل عالماً حافلاً بالغرائب، مليئاً بالأعاجيب موضحاً لكثير من مشكلات المخطوط العربي، غير أنه في حاجة إلى دراسة شمولية، تقوم على جهد جماعي وليس على جهد فردي حتى تكتمل الصورة الفعلية للوراقة ويظهر دورها في تأسيس الحضارة العربية الإسلامية وبنائها ■

**الهوامش:**

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك/ عياض بن موسى اليحصبي ت٥٤٤هـ/بيروت ـ دار مكتبة الحياة/١٩٦٧م.

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج١/ ٤٢٧/ احمد بن محمد المقري التلمساني ت ١٠٤١هـ/تحقيق احسان عباس/بيروت ـ دار صادر/١٩٦٨م.

(٣) سير أعلام النبلاء/محمد بن احمد الذهبي ت ٧٤٨هـ/ج٢/٥٠٢/ تحقيق شعيب الأرناؤوط ونعيم العرقسوسي/بيروت مؤسسة الرسالة/ ١٩٨٥.

(٤) أنباء الغمر بأبناء العصر/ ج ١٨ ص٥٣٢/ علي بن داود الصيرفي/ تحقيق حسن حبشي/القاهرة ـ دار الفكر العربي/١٩٧٠ ص٢٩٧.

(٥) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام/ محمد بن احمد الذهبي ت ٧٤٨هـ/تحقيق عمر عبد السلام تدمري بيروت ـ دار الكتاب العربي/١٩٨٨ ص١٠٧.

**دحو الأرض...**

**عن الحسن بن علي الوشاء قال: كنت مع أبي وأنا غلام فتعشينا عند الرضا(ع) ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة، فقال له: ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم(ع) وولد فيها عيسى بن مريم وفيها دحيت الأرض من تحت الكعبة، فمن صام ذلك اليوم كان كمن صام ستين شهراً.**

# من مخاطر الغزو الثقافي

• بهاء حمزة عبّاس
عضو المركز الثقافي في الزبير

ينابيع إنّ الغزو الثقافي يستهدف هوية الأمة بكل سماتها ومعالمها الحضارية والدينية ـ وكما أوضحنا في مقالات سابقة ـ وأن ذلك يتخذ محاولة المسخ التدريجي لها، ليصبح الأفراد عاشقاً ومقلداً لنموذج الحياة الأمريكية، ومن أجل أن نعي حجم الخطر الغربي كان علينا أن نقف إجمالاً على أهم ما يرد بنا وعلى المخاطر الناتجة من الغزو الثقافي حتى لا نكون ضحية جديدة لإستراتيجية الغرب الذي تحاول الهيمنة على مقدراتنا وعقولينا، ومن أهم هذه المخاطر:

١. ترسيخ التبعية: إن سمة التبعية من السمات التي تقف أمام الإبداع والتجديد والبناء والتطوير، فهي بذلك من سمات التخلف والتقهقر عند الأمم، وقد رافق ظهور الحضارة المادية كتجربة رائدة في أعين الساسة والمثقفين العرب والمسلمين فتجسدت ظاهرة التبعية بأشكالها المختلفة كأوضح السمات منذ منتصف القرن العشرين ومازالت في حالة تزايد رغم الانفتاح الحضاري والرقي في فهم آليات التطور والنهوض، وكأننا لا يمكن أن نحقق تطلعات الأمة وعوامل نهضتها أو حل إشكاليات العصر إلا بإتباعنا للنموذج الغربي.

يرجع بعض المفكرين ظاهرة التبعية إلى الانهيار بالنموذج الغربي الذي قاد الحضارة الحديثة بعد مرحلة الاستعمار المباشر، فالعالم العربي الإسلامي صار

ينظر إلى نفسه باعتباره يفتقر إلى التجربة الاقتصادية والسياسية التي تؤهله للخروج من بوتقة المشكلات الآنية وللوصول إلى ركب الحضارة ذات الرقي والازدهار والتي حققت وتحقق لشعوبها مستوى من التعايش المادي الرحب خاصة إذا نظر إليها من عين الفقر والفاقة.

إن أحد أهم أهداف الغزو الثقافي للأمم يكمن في ترسيخ هذه التبعية وبلورتها في الأذهان على أساس كونها الحقيقة التي لا مناص من الاعتراف بها، فالغرب وحدة من يستطيع أن ينهض بالمسلمين لبناء اقتصادهم والرقي بثقافتهم حتى يستطيعوا أن يواكبوا عصر السرعة والذرة والكومبيوتر.

إن فهم حقيقة خطر التبعية يعود إلى تلك النظرة الدونية التي يُنظر فيها إلى عالمنا والتي ستساعد الغرب على تحقيق الهيمنة على مقدارتنا وخيراتنا بل وأفكارنا إن لم نسارع في علاج هذه الظاهرة وتقليل تداعياتها، حتى لا نكون كالعبد ينتظر ما يجود عليه سيده من منّة وإحسان دون أن يحق له أن يرفع بصره إلى ما فوق ذلك.

٢. الضياع الفكري: قد يُعدُّ هذا الخطر من الأمور التي تصاحب مرحلة الشباب عموماً. فالفرد في مقتبل عمره إذا لم يتم توجيهه إلى الطريق السوي في معالجة الأفكار وتبنيها واتخاذ المسارات الصحيحة ورقيها وبما يحقق الآمال والتطلعات حتى يخدم نفسه ومجتمعه فانه سيكون ضحية لتلك الإعلانات المثيرة في أجهزة الإعلام التلفاز والمجلات والتي تحاول أن تملأ ذهن الإنسان بالصور المثيرة الفارغة من أي معنى، والتي لا تعزز إلا صفات الاستسلام والخضوع والذل وبالتالي تحقق لديه أقسى ألوان القلق والتذبذب واللذان هما آفتا العصر كما يعبر علماء النفس.

إن من أهم مخاطر الضياع الفكري هو الإحساس بعدم الانتماء، فان مشاعر الغربة والوحشة والانسلاخ والتي توحي للفرد بالغربة في وطنه إنما تتأتى من خلال ذلك الفراغ الثقافي الذي يبعد الإنسان عن هوية أمته، وتصيره تائها يبحث عن موطن وملجأ يرجع إليه ليجد مشاعر الأمن وحرارة الانتماء كالطفل الصغير الذي لا يرتاح إلا في أحضان والديه،

**اللغة العربية**

**ورد في المعاجم اللغوية أن الأسد يقال له أبو الحرث، وللضبع أم عامر، وللثعلب أبو الحصين، وللنمر أبو عون، وللذئب أبو جعدة، وللكلب أبو ناصح، وللبغل أبو الأثقال، وللحمار أبو زياد.**

**ويقال للديك أبو يقظان، وللهرة أم خداش، وللبطة أم حفصة، وللفأرة أم فاسد، وللخنفساء أم سالم، وللدينار أبو الفضل وأبو الحسن بضم الحاء وسكون السين، وللدرهم أبو كبر وأبو صالح، وللخبز أبو جابر، وللملح أبو صابر، وللبقل أبو جميل، وللحم أبو الخصيب، وللأرز أبو لؤلؤة، وللجبن أبو مسافر.**

والكثير من شبابنا صاروا بسبب ثقافتهم الضحلة ووعيهم السقيم صحية للإغراءات العالمية فتجدهم ولا همَّ لهم إلا السفر خارج أوطانهم وما ذلك إلا لقلة شعورهم بالانتماء إلى هذه الأمة.

إن إرهاصات هذا الجانب كبيرة وكثيرة لا يمكن الوقوف عليها في هذه العجالة، ولكن يمكن لنا إن نحدّ من تداعياتها بتوعية الشباب المتطلع إلى المستقبل بان نعرفه بماضي الأمة وحاضرها وعوامل نهضتها وأن نؤصل فيه مشاعر الانتماء والمواطنة ليكون قادراً على الصمود أمام كل التيارات المتغربة الطارئة على واقعنا وليكون إنساناً رسالياً واعياً.

٣. الانحلال الخلقي: إن الحملة الغربية المادية ضد الأديان وخاصة الإسلام لا يمكن حملها إلا أنها ردة حضارية ضد القيم والمبادئ والأخلاق، التي يحاول الغرب أن ينسلخ منها حتى يسهل عليه كل الأمور النفعية الخاصة التي لا تعترف بأحد أمام أطماع وشهوات الذات.

إن الاستسلام لأجهزة الإعلام الحالية من تلفاز وانترنت ومجلة وجريدة مع فراغ معرفي لا يكون رصيداً يرجع إليه الإنسان لدى الحاجة تفرز مخاطر متنوعة، فالعالم اليوم يعاني أزمة في فهم حقيقة وجوده فهو في تسابق مع الزمن من اجل أن يلتذ ويمرح بلا التفاف إلى العواقب التي تترتب على النفس والآخرين، فالمهم لدى الإنسان المعاصر من المنظور الغربي أن يقضي أكثر عمره بعيداً عن القلق والتوتر حتى لو كان ذلك بالارتماس في مستنقع الرذيلة والمفاسد والانحلال الخلقي.

وهنا علينا أن نتنبه إلى أن بعض تلك المؤسسات (العظمى) ذات أكبر رؤوس الأموال التي تهيمن على أسس التجارة والإعلام والثقافة في العالم المعاصر تستخدم من أجل زيادة الربح والإنتاج، فالمعادلة لديها كيف نكسب الأموال؟ حتى لو كان على حساب الإنسان نفسه وهذا ما لا يلتفت إليه أكثر الناس إلا بعد فوات الأوان وضياع الأخوان؛ فما الأفلام الإباحية والإعلانات التجارية والسينما العالمية والمجلات الشبابية إلا صور متعددة لتلك اللعبة التي يراد بها تحفيز الغرائز والشهوات على حساب الفكر والثقافة.

فالإنسان لو هيمنت عليه قواه الشهوية لأصبح يعاني من الضياع فإنه سيخسر كل شيء، فيميل ذاتياً إلى باقي أشكال الانحراف والتي منها الجريمة بكل أنواعها وأصنافها، فالدول الغربية ـ كما نرى ونسمع ـ ترتفع فيها نسب الجرائم من القتل وسرقة واغتصاب وغيرها عن أي معدلات أخرى عند أكثر الدول تخلفاً وهمجية، فهل يتمنى أحد أن نصل إلى ما وصل إليه الغرب بعد طول معاناتنا، أم أن نكون أمة تعي رسالتها وترقى للتطور والتكامل بما فيه نفعها وفلاحها في الدنيا والآخرة ■

# بيعة الغدير

• المهندس: عبد الرزاق عبود

لأنَّ ولـيَّ النـاس مـن كان عارفـاً

سَـمَوْتَ فَضاقَ الوَصْفُ فِيكَ وَقَصَّرا ... وَتـاهَ خَيـالُ المبدعِيـنَ تَحيُّـرا
سَـمَوْتَ عَلى رَغمِ الأنـوفِ فَأوغِرَتْ ... عَليـكَ صُـدورُ الحاسِـدينَ تنكُّـرا
فَمَـن ذا الـذي فِـي لَـمِّ فكـرِكَ يَدَّعي ... وَفيـكَ انطـوى فِكـر النَبـيِّ وصُـوِّرا
وُلـدتَ ببيـتِ اللهِ أَشـرفِ بقعـةٍ ... كفـاكَ بهـذا الشّـأنِ عِـزاً ومَفخَـرا
تربَّيَـت فـي بَيـتِ الحبيـبِ مُحَمـدٍ ... يُغذّيـكَ فـي صُنـعِ البديـعِ تَفكُّـرا
وأجريـتَ دَمـعَ العيـنِ بالليـلِ رهبـةٍ ... وأرهَبْـتَ مـن في الغَـيِّ ظُلمـاً تَجَّبرا
وكنـتَ بـكلّ الحالـكاتِ مُجَّربـاً ... تُدَبِّـرُ مـا أَضنـى سـواك وكـدَّرا
وقـد كُنـتَ مرجـوّاً لـكلِّ عظيمـةٍ ... وفيـكَ يليـنُ الأمـرُ لومـا تَعَسَّـرا
أَليـسَ يقـولُ الشـيخ يومـاً عسـيرةٌ ... عَلـيَّ أمـورٌ لـو أفـارِقُ حيـدرا
ويكفـي بـأنَّ الحـقَّ فـي الكـون دائرٌ ... إلـى حيـثُ تومـي بالبنـانِ مؤشِّـرا
ألا يـا أميـرَ المؤمنيـن وَمَـن سـوى ... علـيٍّ علـى أهـلِ الهدايـةِ أُمِّـرا
لأَنَـك نفـسٌ للرسـولِ وأنَّمـا ... سـواكَ مِـراراً لِلعُهـودِ تنكَّـرا
أَلا أنَّمـا أَنَـت الوصـيُّ ومـن سـعى ... إلـى حَـرفِ ذاكَ الحـقِّ كان مُـزوِّرا
لأَنَّ ولـيَّ النـاسِ مـن كان عارفـاً ... بصيـراً لـكلِّ الواقعـاتِ مفسِّـرا
لذاك دعاك المصطفـى في جموعهمْ ... وأعطـاكَ عَهـدَ اللـهِ فرضـاً وأَجْهَـرا
وقـد بايَعـوا يـومَ الغديـرِ وأقسَـموا ... علـى حفـظ مـا قـالَ النبـيُّ وقَـرَّرا
وَمَـدّوا الأيـادي الطائعـاتِ مُقـرَّة ... بخُـمٍّ ومـا أَبـدَوا هنـاك تعـذُّرا
هنيئـاً أَميـرَ المؤمنيـن ولايـة ... علينـا ونحـنُ الطائعـون تَخيُّـرا
فـوا أَسـفاً خـانَ الرعيـةُ والياً ... قويمـاً وَلَـم يوُلـوا الأمـورَ تدبُّـرا
وإنـي لتعلونـي الكآبـةُ والأسـى ... لأنـي أَرى حُكـمَ الطغـاةَ تَسَـوَّرا
أنـاسٌ هُـمُ واللهِ لا ديـنَ يُرتجـى ... لديهـمْ ولا عقـلٌ سـديدٌ لهـم يُـرى
وأَنـتَ كتـابُ اللهِ بالصـدقِ ناطِـقٌ ... تُغيَّـبُ عـن أمـرِ الرعَّيـةِ مُجبَـرا

## مسجد الأزهر

هو مسجد في القاهرة بناه جوهر الصقلي في سنة ٩٧٢هـ بأمر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، سمي بالأزهر، إشارة إلى فاطمة الزهراء عليها السلام، يقصده أهل التقى لاسيما طلاب العلوم من كل صوب، يسمون (المجاورون) لسكناهم بجواره، أما الأساتذة (المدرسون) فيسمون أنفسهم (خدمة العلم) وغايتهم نقل ما ورثوه من السلف في أمانة وإخلاص وبرامج العلوم في الأزهر تتناول النحو واللغة والبيان والمنطق والأدب والعلوم الدينية من علم التوحيد والفقه والحديث والتصوف وغير ذلك.

أصبح عام ١٩٣٦م جامعة تضم كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية، أضيفت إليها عدة كليات بعد ١٩٦١م.

**أم فاطمة الموسوي**

## حنظلة.. غسيل الملائكة

كان أبو حنظلة بن عامر عدواً للإسلام والمسلمين، ومن العناصر الحاقدة على الإسلام، كما أنه كان مؤسس مسجد ضرار المشهور، وعلى العكس من أبيه كان حنظلة مسلماً حرّاً وصادقاً.

ولقد كان حنظلة في الليلة التي سبقت معركة أحد وبعد سماعه لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالجهاد طلب أن يعفى من ذلك ليلة واحدة، ثم شوهد في اليوم التالي يتصيد المشركين في ساحة المعركة، فقد شهر سيفه بشجاعة بوجه أبي سفيان إلا أن الحظ لم يحالفه في إصابته.

ثم استشهد على أثر رمح من جهة العدو أصابه وهو في الرابعة والعشرين من عمره، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد رأيت بأم عيني ملائكة تغسل حنظلة.

فسمي حنظلة بغسيل الملائكة.

**أبو مرتضى العزاوي**

## من النباتات

اليانسون: تزهر هذه العشبة في تموز وآب، وهي من النباتات الأصيلة في شرق المتوسط. القسم الذي يجمع لأجل العقار التجاري هو الثمر إذ تقطع الرؤوس ذات البذور عندما يبدأ لونها بالتحول إلى الأصفر، وقريباً من النضوج تربط في باقات لحين أن تنضج الثمار تماماً.

لليانسون فعل مضاد لتشنج العضلات وهو طارد للسعال يستعمل باطنياً بشكل منقوع لاضطرابات المعدة والأمعاء ولإثارة الشهية.

**علي الخزرجي**